بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية

كلية الدراسات العليا

قسم الدراسات العليا لعلوم

الشريعة والحقوق والسياسة

منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره

١٨
٤٥٤٠

إعداد الطالب

عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل

إشراف الأستاذ الدكتور

الدكتور
فضل حسن عباس

فضل حسن عباس

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

وعلوم القرآن بكلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٣/٣/١٩٩٣م

إعداد الطالب : عبد الرحمن يوسف الجمل

لجنة المناقشة :

الاسم		التوقيع
الأستاذ الدكتور : فضل حسن عباس	مشرفاً	
الدكتور : أحمد نوفل	عضواً	
الدكتور : أحمد فريد	عضواً	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً : توطئة :

الحمد لله الذي منَّ علينا أن بعث فينا خير الأنام سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء ، ويسره للذكر ، وحضنا على قراءته ، ورغبنا في تدبره وإنعام النظر في آياته ؛ لاستخراج درره ، والوقوف على عجائبه وسر إعجازه . فقال - تعالى ذكره - *[ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر]* (١) ، وقال تعالى *[كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب]* (٢) ، وقال عز وجل *[أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً]* (٣) .

فأحمد ربي الرحمن ، الذي علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، سيدنا وحبيبنا محمد ، المبعوث رحمة للعالمين ، الذي وصفه ربه فقال - جل ذكره - *[لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم]* (٤) ومن مظاهر رحمته - صلى الله عليه وسلم - طلبه التخفيف على أمته بقراءة القرآن الكريم على أكثر من حرف ، تيسيراً عليهم ، ورفعاً للحرج عنهم .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فإن خير ما يصرف الإنسان فيه وقته هو كتاب الله العزيز ، المعجزة الخالدة على مر العصور والأزمان ، والعلوم المتعلقة به .

---

(١) سورة القمر : الآية (١٧) .   (٢) سورة ص : الآية (٢٩) .   (٣) سورة النساء : الآية (٨٢) .   (٤) سورة التوبة : الآية (١٢٨) .

وإن العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى كثيرة متنوعة ، منها علم القراءات ، وهو علم مستقل بذ ، له رجاله الذين أفنوا أعمارهم في تعلمه وتعليمه رواية ودراية ، وله مؤلفاته الخاصة به ، وهو من ال م الضرورية التي لا غنىً لطالب التفسير عنها ، كما أشار إلى ذلك غير واحد من العلماء الأجلاء ، و ون علم القراءات يخفى على المفسر كثير من المعاني القرآنية التي تتعلق باختلاف القراءات ؛ وذلك أن كل قراءة من القراءات الصحيحة تسد مسد آية ، وتنوب منابها فيما تعطيه من المعاني الكثيرة ال ظيمة ، وفيما ترشد إليه من الهداية والرشاد . لذا نجد أنه لا يخلو تفسير من الإشارة إلى القراءات ، وإي ح معنى الآية على كل قراءة منها ، على تفاوت بين المفسرين في ذلك .

ومع عظم أهمية علم القراءات وكثرة فوائده إلا أننا نجد العارفين به ، والمدركين لكنهه ، والآخذين له في زماننا قليلين ، وصار كثير من العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية فضلاً عن طلاب العلم شرعي لا يعرفون عن هذا العلم إلا اسمه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد أ ، في هذا العلم علماء أجلاء قديماً وحديثاً كتباً قيمة ، عظيمة أهميتها كثيرة فوائدها ، وكان من بين الم مين والمشتغلين به تلقياً وتعليماً وتأليفاً إمامنا أبو جعفر الطبري - رحمه الله - فقد ألف كتاباً في القراءات جمع فيه نيفاً وعشرين قراءة ، ولكن هذا المؤلف العظيم قد ذهب وعفت آثاره شأنه في ذلك شأن ءشرات بل مئات الكتب القيمة التي أجهد العلماء أنفسهم وعقولهم في كتابتها وتأليفها ثم عدت عليها السنون ، ومع ضياع كتاب الإمام الطبري في القراءات إلا أن مجهوده - رحمه الله- في علم القراءات لم يذهب كله . فهذا تفسيره الذي بين أيدينا زاخر بالقراءات ، وقد كان حديثه عنها مستفيضاً ، وأولاها -رحمه الله - أهمية خاصة ، من حيث نسبتها لمن قرأ بها ، وتوجيهها على المعاني المختلفة ، وتعليلها ، والاحتجاج لها ، وبيان اختياره منها وعلة هذا الاختيار .

وقد جعلت رسالتي هذه في بيان منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره .

ثانياً : أهمية هذا الموضوع وبواعث اختياره :

استطيع إجمال أهمية الموضوع وبواعث اختياره في خمس نقاط :

أولها : تستقي هذه الدراسة أهميتها من كونها تتناول كتاباً عظيماً ، له مكانته وأهميته بين كتب التفسير ، فتفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للإمام الطبري - رحمه الله - من التفاسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأصيلة ، بل هو أول ما وصلنا منها .

وقد شهد العلماء العارفون بأنه لا نظير له في التفاسير .

يقول ابن خزيمة - رحمه الله - وقد نظر تفسير الطبري :" قد نظرت فيه من أوله إلى آخره ، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير " (١) .

ويقول الذهبي - رحمه الله - :" أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري " (٢) .

ويقول أبو حامد الإسفراييني - رحمه الله - :" لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً " (٣) .

ويقول أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني - رحمه الله - :" لو ادعى عالم أنه يصنف من تفسير ابن جرير عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد عجيب مستقصى لفعل " (٤) .

ثانيها : إن صاحب التفسير وهو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - رحمه الله - من العلماء القدماء ، فقد كانت وفاته سنة عشر وثلاثمائة للهجرة ، وهو كذلك من العلماء المبرزين في ميادين شتى وعلوم متنوعة ، منها علم القراءات ، الذي كان له في حياته العلمية اهتمام مميز ، وكان له في القراءات منهج مميز سار عليه في تفسيره ، وكان له الأثر الواضح فيمن جاء بعده من المفسرين ، لذا كان لابد من الكشف عن القيمة العلمية للقراءات في تفسيره ومنهجه فيها .

ثالثها : إن توجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها هو أدخل علوم القراءات في التفسير ، ثم إن هدف الإمام الطبري - رحمه الله - من تفسيره هو البيان عن تأويل آي القرآن ، لذا كان تناوله للقراءات في تفسيره فيما يخدم هذا الهدف ، ويُبين عن تأويل الآية على كل قراءة من القراءات الواردة فيها .

رابعها : رغبتي في إبراز القيمة العلمية للقراءات في تفسير الإمام الطبري - رحمه الله - وجعلها

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٢٧٣) ، طبقات المفسرين للداودي (٢/١١٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٢٧٠) .

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/١٦٣) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٢٧٢) .

(٤) طبقات المفسرين للداودي (٢/١١٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في متناول أيدي الباحثين وطلاب العلم للاستفادة منها .

خامسها : رغبتي في أن يكون هذا الموضوع امتداداً لتخصصي في المرحلة العلمية السابقة ، وذلك أن تخصصي في المرحلة الجامعية الأولى كان في القراءات القرآنية .

جميع هذه الأمور وغيرها شجعتني ، وقوت رغبتي على اختيار هذا الموضوع ليكون محور دراستي لاستكمال متطلب الماجستير في قسم أصول الدين شعبة التفسير .

ثالثاً : أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ما يلي :

١- إبراز القيمة العلمية للقراءات القرآنية في تفسير الإمام الطبري - رحمه الله .

٢- بيان الضوابط التي على أساسها يقبل - رحمه الله - القراءة أو يردها .

٣- بيان منهجه - رحمه الله - في نسبة القراءة إلى من قرأ بها ، وهو يعكس منهج العلماء في القرون الأولى من حيث نسبة القراءة لمن قرأ بها .

٤- توضيح منهجه - رحمه الله - في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها وتعليلها ، وارتباط ذلك بتأويل آيات كتاب الله تعالى .

٥- إظهار منهجه - رحمه الله - في الترجيح بين القراءات ، واختياره لبعضها ، والذي يعكس منهج العلماء والقراء في اختياراتهم للقراءات ، والعلل التي أدت إلى اختيار المختارة منها .

٦- إبراز معالم شخصية الإمام الطبري - رحمه الله - العلمية من خلال مقارنة منهجه في الترجيح في القراءات بمنهجه في الترجيح في التفسير .

رابعاً : طبيعة عملي في البحث :

استطيع حصر جهودي في هذا البحث في ست نقاط :

أولها : تتبعت المواضع التي تحدث فيها الإمام الطبري - رحمه الله - عن القراءات في تفسيره (جامع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيان) فحصرتها ، وأجلت النظر فيها ، ووقفت على كل موضع أتامله ، وأمعن النظر فيه : لمعرفة منهجه - رحمه الله - فيه ، ثم صنفت هذه المواضع تصنيفاً موضوعياً وفق الخطة العامة للبحث ، فجمعت النظير إلى النظير ، ثم شرعت في استنباط معالم منهجه في القراءات في تفسيره .

ثانيها : عقبت على بعض الأمثلة التي استشهدت بها للتدليل على منهجه ، سواء كان ذلك بالثناء على كلامه وذلك ببيان ما يؤخذ منه من فوائد أم بالمناقشة والاعتراض والرد .

ثالثها : عزوت آيات القرآن الكريم إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية فيها .

رابعها : خرجت الأحاديث التي وردت في الرسالة تخريجاً علمياً من مصادرها الأصيلة .

خامسها : بينت في الحاشية من قرأ بالقراءات التي نسبها الإمام الطبري - رحمه الله - إلى أهل بلد -من القراء العشرة المشهورين ، وكنت أشير أحياناً إلى الأربع الشواذ عند الحاجة لذلك .

سادسها : عزوت الأبيات الشعرية التي وردت في الرسالة لأصحابها ، وبينت بعض المواطن التي وردت فيها ، وقدمت شرحاً موجزاً لها إذا كانت بحاجة لذلك .

خامساً : الجهود السابقة :

لقد قمت بالبحث والاستقصاء في الفهارس التي خصصت للرسائل الجامعية في الجامعات المختلفة تلك الموجودة في مكتبة الجامعة الأردنية ، فلم أجد من كتب في (منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره) .

وأثناء بحثي وجدت كتيباً للدكتور لبيب السعيد عنون له بـ (دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر) وكان منهج الكاتب في مؤلفه يرتكز على إيراد بعض القراءات التي ردها الإمام الطبري - رحمه الله - أو قلل من شأنها ، ثم رد عليه رداً موجزاً .

وأثناء كتابتي في هذا الموضوع أخبرني الدكتور أحمد العوايشة أن عنده رسالة علمية قدمها الدكتور أحمد خالد بابكر لنيل درجة الدكتوراة في كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة بعنوان (القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة والنحو) ، فطلبتها منه ، فأعطاني المجلد الأول منها مشكوراً مع رسالته عن الإمام الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف . وبعد قراءتي رسالة القراءات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجدتها لا تفي بما أريد بحثه ؛ لأن الباحث لم يتعرض في رسالته لبيان منهج الإمام الطبري في القراءات ، إنما كانت عنايته موجهة لإبراز الجهود اللغوية والنحوية لأبي جعفر الطبري – رحمه الله – من خلال توجيهه للقراءات التي أوردها في تفسيره .

وبعد انتهائي من معظم الرسالة أخبرنا الدكتور أحمد شكري أن طالباً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كتب رسالة ماجستير بعنوان (القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير في تفسيره والرد عليه) ، فطلبتها منه فأعطانيها مشكوراً ، فقرأتها فوجدت منهج الباحث في رسالته أشبه ما يكون بمنهج لبيب السعيد في كتابه (دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر) إلا أن الباحث قد استقصى القراءات التي ردها ابن جرير أو قلل من شأنها من أول تفسيره إلى آخرسورة التوبة ، وكانت دراسته أوسع وأكثر تركيزاً من لبيب السعيد ، ثم إن الباحث لم يتعرض للحديث عن منهج الإمام الطبري في القراءات .

هذه هي الجهود التي بذلت – فيما أعلم – في موضوع القراءات عند الإمام الطبري في تفسيره. وقد أفدت من هذه الرسائل ، ومن رسالة الدكتور أحمد العوايشة أثناء حديثي عن حياة الإمام الطبري -رحمه الله – وعصره .

سادساً : خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في تمهيد وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالي :

التمهيد : في بعض المباحث المتعلقة بالقراءات ويشتمل على :

أولاً : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً .

ثانياً : العلاقة بين القراءات والقرآن .

ثالثاً : نشأة القراءات .

رابعاً : صلة القراءات بالأحرف السبعة .

خامساً : أنواع القراءات وأقسامها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول : الإمام الطبري وعصره وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عصره ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحالة السياسية .

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية .

المطلب الثالث : الحالة العلمية .

المبحث الثاني : حياته الشخصية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : اسمه وكنيته ونسبته ونسبه .

المطلب الثاني : مولده ونشأته .

المطلب الثالث : وفاته .

المبحث الثالث : حياته العلمية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : رحلاته في طلب العلم .

المطلب الثاني : شيوخه .

المطلب الثالث : تلاميذه .

المطلب الرابع : علمه وآثاره .

الفصل الثاني : قضايا القراءات في مقدمة تفسيره . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .

المبحث الثاني : هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة .

المبحث الثالث : صلة القراءات بالأحرف السبعة .

الفصل الثالث : منهج الإمام الطبري في القراءات ، ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المعالم العامة لمنهجه في القراءات ، ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أنواع القراءات التي استعرضها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : نسبة القراءة إلى قارئها .

المطلب الثالث : ضوابط قبول القراءة وردها .

المبحث الثاني : منهج الإمام الطبري في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها .

المبحث الثالث : الترجيح والاختيار في القراءات ومنهجه فيه .

الفصل الرابع : الترجيح في التفسير مقارناً بالترجيح في القراءات ، ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : منهج الإمام الطبري في الترجيح في التفسير .

المبحث الثاني : مقارنة بين منهجه في الترجيح في كل من القراءات والتفسير .

الفصل الخامس : القراءات عند الإمام الطبري في الميزان .

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

بعد شكر الله تعالى ، وانطلاقاً من قوله سبحانه [*ومن شكر فإنما يشكر لنفسه*] ، ومن قول النبي -صلى الله عيه وسلم « *من لا يشكر الناس لا يشكر الله* » ، واعترافاً بالفضل لأهله ، ووفاء للبذل والعطاء ، وعرفاناً بالجميل ، أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى شيخي وأستاذي

فضيلة الأستاذ الدكتور : فضل حسن عباس - حفظه الله .

على ما حظيتُ به من إشرافه ، وتوجيهاته القيمة ، ونصائحه السديدة ، فقد رعى - حفظه الله - هذا البحث منذ أن كان فكرة إلى أن استوى على سوقه ، ومنحني من علمه الجم ، ومعارفه الواسعة ، وتجاربه الثرية ، ورأيه السديد ، وملحوظاته الدقيقة ما جعل عصي هذا البحث ذلولا ، فقد كنت ألقاه حيثما شئت ، ومتى أردت ، دون تقيد بالزمن المحدد للإشراف ، وكنت أجلس معه الساعات الطوال ، فما شعرت منه بضيق ولا حرج ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر والتقدير لإستاذي الكريمين الفاضلين ، عضوي لجنة المناقشة :

فضيلة الدكتور : أحمد نوفل - حفظه الله

وفضيلة الدكتور : أحمد فريد - حفظه الله

وذلك على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، ليثرياها بالملحوظات ، والتوجيهات السديدة النافعة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الكرام، وإلى كلية الشريعة الغراء بالجامعة الأردنية.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعتنا الجامعة الإسلامية بفلسطين الحبيبة ، وأدعو الله أن يحفظها منارة للعلم ونبراساً للعطاء .

وأتقدم بالشكر والتقدير والإجلال إلى والدي الحبيب ووالدتي الفاضلة وأشقائي وشقيقاتي وزوجتي وأولادي على تحملهم مشاق الدراسة معي .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم لهذا البحث يداً ، أو يسر مصدراً ، أو دل على مرجع من أساتذتي الكرام ، وزملائي الأفاضل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيــــد

القراءات القرآنية

ويشتمل على

أولاً : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً

ثانياً : العلاقة بين القراءات والقرآن

ثالثاً : نشأة القراءات

رابعاً : صلة القراءات بالأحرف السبعة

خامساً : أنواع القراءات وأقسامها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

القراءات القرآنية

أولاً : تعريف القراءات لغة واصطلاحاً :

القراءات لغة جمع قراءة ، وهي مصدر قرأ ، يقال : قرأ فلان ، يقرأ قراءة ، وهي بمعنى الجمع والضم .

قال ابن منظور -رحمه الله- (١) :« قرأه ، ويقرَؤه ، ويقرُؤه ، قَرْءاً ، وقراءة ، وقرآناً ، فهو مقروء... ومعنى القرآن معنى الجمع ، وسمى قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها ، وقوله تعالى *﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾* (٢) أي قراءته ... وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سلىً قط ، وما قرأت جنيناً قط ، أي لم يَضْطَمَّ رحمها على ولد .

وقال ابن الأثير -رحمه الله- (٣) : « تكرر في الحديث ذكر القراءة ، والاقتراء ، والقارئ ، والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته » (٤) ... (٥) » .

وقال الراغب -رحمه الله- (٦) :« والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل ، وليس يقال ذلك لكل جمع ؛ لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم ؛ ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة » (٧) .

---

(١) هو محمد بن جلال الدين مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي ، جمال الدين ، أبو الفضل المعروف بابن منظور ، الأديب اللغوي المعروف ، له مؤلفات كثيرة نافعة منها لسان العرب ، ت ٧١١هـ (هداية العارفين في أسماء المؤلفين للبغدادي ١٤٢/٢) .

(٢) سورة القيامة : الآية (١٨) .

(٣) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي ، يكنى أبا السعادات ، ويعرف بابن الأثير ، جمع بين علم العربية والقرآن ، والنحو ، واللغة ، والحديث ؛ وكان عالماً فاضلاً ، له مؤلفات كثيرة نافعة ، ت ٦٠٦ هـ . (معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧١/١٧).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (قرا) (٣٠/٤) .

(٥) لسان العرب لابن منظور مادة (قرأ) .

(٦) هو الحسين بن محمد بن الفضل ، أبو القاسم ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، أديب ، إمام ، اشتهر بالتفسير واللغة ، له مؤلفات كثيرة قيمة ، منها : تحقيق البيان في تاويل القرآن ، وتفسير الراغب . ت ٥٠٢ هـ (معجم المفسرين لعادل نويهض ١٥٨/١) .

(٧) المفردات في غريب القران للراغب الأصفهاني (٤٠٢).

University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يلاحظ من التعريفات السابقة أن ما قاله كل من ابن منظور وابن الأثير في معنى (قرأ) أعم وأشمل مما قاله الراغب في مفرداته .

واسم الفاعل من قرأ : قارئ ، وجمعه قرأة ، وقراء ؛ والقارئ يضم أصوات الحروف لتكوين الكلمة والكلمات التي ينطق بها (١) .

تعريف القراءات اصطلاحاً :

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القراءات اصطلاحاً ، اختلاف تنوع وتغاير ، لا اختلاف تناقض وتضاد ؛ وجميع التعريفات التي ذكرها العلماء في معنى القراءات تدور في فلك واحد ، إلا أن بعضها أشمل وأعم وأكثر استيعاباً من بعضها الآخر .

يقول المحقق ابن الجزري (٢) -رحمه الله- :« القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله » (٣) ، ثم تابع كلامه معرفاً المقرئ فقال :« والمقرئ : العالم بها رواها مشافهة ؛ فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه ، إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً ، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة » (٤) .

يلاحظ في تعريف ابن الجزري -رحمه الله- للقراءات ، أنه ركز على قضية مهمة حرية بالتنبيه عليها ، والتنبه لها ، ألا وهي : اعتماد القراءات القرآنية على السماع ، والمشافهة ، والتلقي عمن تلقاها وسمعها وأخذها مشافهة عن شيوخه ، مسلسلاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – .

وهذه القضية رغم ما لها من أهمية كبيرة إلا أن كثيراً من الناس يغفلون عنها ، فيظن بعضهم أنه إن حفظ بعض متون القراءات ، وقرأ بعض الكتب الخاصة بالقراءة والأداء والتلاوة ، أصبح قارئاً ، وبإمكانه أن يقرئ الناس ويعلمهم ما تلقاه وأخذه عن الكتب والصحف ؛ وهذا أمر خطير لماله من

---

(١) انظر : المعجم الوسيط مادة (قرأ) ، والصحاح للجوهري مادة (قرأ) .

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري ، يكنى أبا الخير ، ألف في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والعربية ؛ ونظم كثيراً من العلوم ، من ذلك : طيبة النشر في القراءات العشر ، والجوهرة في النحو . ت ٨٣٣ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء له ٢/٢٤٧) .

(٣) ، (٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (٣) .

University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عواقب وخيمة ، فعلى مريد القراءة ، وتعلم أحكامها أن يعرف عمن يأخذ ذلك ، وعمن يتلقى الكيفية الصحيحة التي يقرأ بها كتاب الله تعالى .

وقال الزركشي (١) - رحمه الله - في تعريفه للقراءات :« القراءات : اختلاف ألفاظ الوحي في كتبة الحروف ، أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما » (٢) .

يؤخذ على تعريف الزركشي إغفاله قضية العزو والنقل ، ثم إنه قصر القراءات في الألفاظ المختلف فيها دون المتفق عليها ؛ فتعريفه لأجل ذلك يعد قاصراً عن المعرف ، غير جامع لجميع أفراده .

أما أحمد بن عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنا فقد عرف القراءات بقوله :« علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى ، واختلافهم في الحذف ، والإثبات ، والتحريك ، والتسكين ، والفصل ، والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع » (٣) .

يلاحظ في التعريف السابق أن البنا الدمياطي -رحمه الله- ختم تعريفه للقراءات بالقضية التي سبق التنبيه عليها ، والتي ذكرها ابن الجزري في تعريفه ، فالبنا يرى أن الاختلافات الحاصلة بين النقلة في الحذف والاثبات ، والتحريك والتسكين ، والفصل والوصل ، والإبدال ، وغير ذلك ، لابد فيها من السماع والمشافهة ، فهي أمور لا تحفظ من الكتب إنما تؤخذ مشافهة .

ويقول -رحمه الله- في تعريفه للمقرئ :« من علم بها أداء ، ورواها مشافهة فلو حفظ كتاباً ، امتنع عليه إقراؤه بما فيه ، إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً ، لأن في القراءة شيئاً لا يحكم إلا بالسماع ، والمشافهة ، بل لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التحمل ، وإن اكتفوا به في الحديث ، قالوا : لأن المقصود هنا كيفية الأداء ، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء ، أي فلابد من قراءة الطالب على الشيخ » (٤) .

أما محمد عبد العظيم الزرقاني فقد عرف القراءات بقوله :« وفي الاصطلاح مذهب يذهب إليه

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن بهادر ، بدر الدين ، أبو عبد الله المصري الزركشي الشافعي ، كان -رحمه الله- فقيهاً ، أصولياً ، مفسراً ، أديباً ، فاضلاً في جميع ذلك ، له مؤلفات نافعة مشهورة . ت ٧٩٤ هـ (طبقات المفسرين للداودي ١٦٢/٢) .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣١٨/١) .

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطي (٥) .

(٤) المرجع السابق .

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمام من أئمة القراءات مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم ، مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها » (١) .

إن تعريف الزرقاني السابق يوهم أن القارئ يجتهد في القراءات ويأتي بها من عند نفسه - وإن كان الزرقاني لم يرد ذلك مطلقاً - لذا أرى أن الأولى في التعريف أن يكون واضحاً بيناً بعيداً عن الوهم والخطأ في فهم المراد منه .

وبالنظر في التعريفات السابقة نتبين أن أضبطها وأعمها وأشملها هو تعريف الإمام ابن الجزري -رحمه الله- . فقد كان تعريفه على قلة كلماته واضحاً في الدلالة على المعرف جامعاً مانعاً .

وخلاصة القول في ذلك : أن القراءات هي تلك الاختلافات الحاصلة في أداء وتلاوة ألفاظ القرآن الكريم ، والتي أنزلها الله - جل ذكره - تيسيراً على الأمة ، ورفعاً للحرج عنها ، وذلك أن القرآن الكريم نزل لفظه ونصه وكيفية أدائه بالأوجه المختلفة من عند الله تعالى ، وعلمه جبريل - عليه الصلاة والسلام- رسولنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - ، الذي قام بدوره فعلمه بنفس الكيفية التي تلقاها عن جبريل - عليه الصلاة والسلام - للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وعلموه بنفس الكيفية التي تلقوه عليها للتابعين ، وعلمه التابعون لأتباعهم ، وهكذا إلى وقتنا الحاضر .

ثم إن هذه الاختلافات الموجودة بين الرواة في كيفية أداء القرآن الكريم وتلاوته ، يعزوها كل راوٍ بسنده عمن تلقى عنهم مسلسلاً إلى النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - فكما أن القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى ، ولا يشك في ذلك إلا معاند ومكابر ؛ فكذلك قراءاته من عند الله تعالى ، نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- . هذا أمر لابد أن نعيه ونفهمه جيداً ، وأن لا يساورنا فيه أدنى شك ؛ لندحض به أباطيل المستشرقين ومن سار سيرهم ، واقتفى أثرهم من أبناء العرب والمسلمين الذين زعموا أن القراءات القرآنية ليست توقيفية ، إنما كانت باجتهاد من الصحابة ومن جاء بعدهم ، فيما وافق خط المصحف ؛ وما أرادوا بذلك إلا فتح باب واسع للطعن في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ذكر جولد تسيهر المستشرق اليهودي الماكر في كتابه (المذاهب الإسلامية في التفسير) أن القسم

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٤١٢/١) .

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي ، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة ، قد يقرأ بأشكال مختلفة ، تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود حركات النحو ، وفقدان الشكل في الخط العربي ، يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب ، فهذه التكميلات للرسم الكتابي ، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل ، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه ، أو شكله من القرآن (١) .

وأنا لا أعجب ، ولا استغرب كثيراً من قول هذا اليهودي الماكر الذي ما قصد إلا الطعن في كتاب الله العزيز ، لأن هذا أمر متوقع منه ومن أمثاله من أعداء الإسلام والمسلمين ؛ ولكن العجب كل العجب من أولئك الذين تابعوا هذا المستشرق فيما قاله ممن يتسمون بأسماء المسلمين أمثال طه حسين ، وجواد علي وغيرهما ممن تتلمذوا على أيدي المستشرقين .

فمن الأمور المسلم بها أن الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – لم يكن اعتمادهم في قراءة القرآن الكريم بأحرفه المتعددة على خط المصحف العثماني ، وذلك لأن المصحف العثماني إنما كتب بعد ذلك ؛ وإنما كان اعتمادهم الوحيد في قراءتهم القرآن الكريم بأوجهه المتعددة على التلقي من النبي – صلى الله عليه وسلم – والأخذ عنه ، والأحاديث الواردة في اختلاف الصحابة – رضي الله عنهم – في قراءة القرآن الكريم ، وتحاكمهم إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وقول المنكر عليه في جميع ذلك : أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – أقرأه هكذا ، خير شاهد على ذلك .

---

(١) انظر المذاهب الإسلامية في التفسير لجولد تسيهر (٨) .

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : العلاقة بين القراءات والقرآن :

ذهب الإمام الزركشي -رحمه الله- إلى أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . حيث يقول :«واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ؛ فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما » (١) .

وتبعه على ذلك القسطلاني في كتابه لطائف الإشارات (٢) ، وأحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنا في كتابه : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر (٣) .

قلت : إن كان الزركشي - رحمه الله - قصد من قوله : إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان جميع القراءات الواردة ، المتواترة منها وغير المتواترة ، الموافقة لخط المصحف والمخالفة له ، فإن قوله صحيح ، وذلك أننا لا نقول بقرآنية إلا ما ثبت تواتره من القراءات ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، أما القراءات الأخرى المنقولة بأخبار الآحاد فهي مغايرة للقرآن ، لأننا لا نقطع على كونها قرآناً .

إما أن عنى بقوله هذا القراءات المتواترة ، فقوله فيه نظر ، وذلك أن القراءات المتواترة هي وحي منزل من عند الله تعالى ، كما أن القرآن وحي منزل من عند الله تعالى ، فإن الوحي نزل بكل وجه من الأوجه المتواترة التي يقرأ عليها القرآن الكريم ، فكما أن الوحي نزل بقراءة (نُنْشِزُها) وهي من القرآن دون شك ، فقد نزل كذلك بقراءة (نُنْشِرُها) وهي من القرآن أيضاً فكل قراءة من القراءات المتواترة سدت مسد آية ، كما أن القرآن المقروء بأي قراءة من القراءات المتواترة ، هوالوحي المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - للبيان والإعجاز ؛ فالقرآن الذي بين أيدينا مكتوب ومقروء على رواية حفص عن عاصم ، وهو الوحي المنزل من عند الله تعالى دون شك ؛ وكذلك المصحف الذي في بلاد المغرب مكتوب ومقروء على قراءة نافع ، من رواية قالون عنه في تونس ، ومن رواية ورش عنه في الجزائر ، وهو دون شك الوحي المنزل من عند الله تعالى ، وكذلك المصحف الذي في بلاد الصومال فهو

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣١٨/١) .

(٢) انظر لطائف الإشارات في فنون القراءات (١٧١/١) .

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر (٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكتوب ومقروء على قراءة أبي عمرو البصري وهو الوحي المنزل من عند الله تعالى ، وكذلك الحال في كل قراءة من القراءات المتواترة ، لوكان مقروءاً بها في أي مصر من أمصار المسلمين ، فلا فرق بين القرآن المكتوب والمقروء على أي قراءة من القراءات المتواترة وغيره المكتوب والمقروء على قراءة أخرى، فالجميع هو الوحي المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - للبيان والإعجاز .

فالقراءات القرآنية المتواترة ، هي أبعاض القرآن وأجزاؤه ، وبعض الشيء وجزؤه لا يقال عنه هو غيره .

وقد تعرض الدكتور محمد سالم محيسن لهذه القضية في كتابه (المغني في توجيه القراءات العشر) ، فقال بعد أن نقل كلام الزركشي :« ولكني أرى أن الزركشي - مع جلالة قدره - قد جانب الصواب في ذلك ، وأرى أن كلاً من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد ، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما ، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات (١) » .

وقد نسب محمد عارف الهرري القول بعدم الفرق بينهما طالما ثبت تواتر القراءات للجمهور(٢).

وكذلك الدكتور عبد الرحمن المطرودي حيث يقول :« اختلف العلماء في ذلك على قولين هما :

القول الأول : إن القرآن والقراءات القرآنية حقيقتان متطابقتان .

يرى جمهور العلماء والمقرئين أن كل قراءة قرآنية - القراءات المشهورة - قرآن .

القول الثاني : إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان » (٣) .

وقال الدكتور عبد الهادي الفضلي إن رأي جمهور العلماء والمقرئين هو التفرقة بين ما توافرت فيه شروط القراءة الصحيحة وما لم تتوافر ، فما توافرت فيه شروط القراءة الصحيحة يعد قرآناً ، وإلا فهو قراءة فقط (٤) .

---

(١) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن (١/٤٦، ٤٧) .

(٢) انظر: القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه لمحمد عارف الهرري (١١٠).

(٣) القراءات القرانية للدكتور عبد الرحمن المطرودي(٥٦).

(٤) القراءات القرانية تاريخ وتعريف للدكتور عبد الهادي الفضلي (٧٠).

University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : نشأة القراءات :

نزل القرآن الكريم على قلب سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وكان - صلى الله عليه وسلم - يتلقى عن جبريل - عليه الصلاة والسلام - ألفاظ القرآن وكيفية أدائه على حد سواء ، وكان -صلى الله عليه وسلم - يحرك لسانه به أثناء قراءة جبريل - عليه الصلاة والسلام - وقبل أن ينتهي من قراءته عليه ، حرصاً منه - صلى الله عليه وسلم - على أن لا يفوته شيء من القرآن ، فنزل قول الله تعالى { ***لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه*** } (١) فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول هذه الآيات ينتظر حتى ينتهي جبريل من قراءته ، ثم يقرؤه كما سمعه منه دون تغيير أو تبديل .

فالقرآن الكريم كما أن ألفاظه من عند الله تعالى ، فكذلك كيفية أدائه وتلاوته من عند الله تعالى.

يقول ابن الجزري في طيبته :

والأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم

لأنه به الإله أنزلا   وهكذا عنه إلينا وصلا (٢)

ثم أقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - القرآن كما تلقاه وسمعه من جبريل - عليه الصلاة والسلام .

وكان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة المرحومة ، أمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - أن أنزل القرآن على سبعة أحرف تيسيراً عليها ، ورفعاً للحرج عنها .

وقد تلقى النبي - صلى الله عليه وسلم - الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن عن جبريل - عليه الصلاة والسلام - ؛ وتلقاه الصحابة - رضي الله عنهم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مشافهة ؛ وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يُقرئ كل صحابي الحرف الذي يسهل عليه النطق به رفعاً للحرج عنه .

وقد حصل أن اختلف الصحابة - رضي الله عنهم - في كيفية أداء ألفاظ القرآن الكريم لكونه

---

(١) سورة القيامة آية (١٦-١٩).

(٢) طيبة النشر في القراءات العشر (٨).

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزل على سبعة أحرف ، فتخاصموا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ففصل بينهم بقوله :« إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » من ذلك ما كان بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم - رضي الله عنهما - وسيأتي الحديث بتمامه في أول الفصل الثاني .

وتفرق الصحابة - رضي الله عنهم - وهم على هذه الحال في الأمصار ، وأقرأ كل صحابي أهل المصر الذي ذهب إليه القرآن بالحرف الذي أقرأه به النبي - صلى الله عليه وسلم - فاختلفت القراءة بين الأمصار ، واختلف أخذ التابعين عن الصحابة ، وكذلك أخذ تابعي التابعين عن التابعين ، وهكذا حتى وصل الأمر إلى القراء المشهورين الذين انقطعوا للقراءة والإقراء ، وأمضوا حياتهم في التلقي وضبط القراءة ، فاختاروا لأنفسهم من القراءات الكثيرة التي تلقوها قراءة ، لزموا القراءة بها والمداومة عليها حتى نسبت إليهم .

يقول ابن الجزري - رحمه الله - :« ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية ، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ، ويرتحل إليهم ، ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءاتهم بالقبول ، ولم يختلف عليهم اثنان ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم » (١) .

وقد كثر عدد القراء في القرنين الثاني والثالث ، حتى جاء ابن مجاهد (٢) - رحمه الله - فاختار من القراء الكثيرين سبعة ، ليسهل حفظ قراءاتهم ، ووافقه الناس على ذلك ، فأصبحت قراءات هؤلاء القراء السبعة ، هي المشهورة والمتداولة بين الناس ، وإنما وقع اختيار ابن مجاهد على هؤلاء السبعة لثقتهم ، وأمانتهم ، وحسن دينهم ، وكمال علمهم ، وطول عمرهم في الإقراء ، واشتهار أمرهم ، وإجماع أهل الأمصار على عدالتهم فيما نقلوا ، وثقتهم فيما قرأوا ورووا (٣) .

يتبين مما سبق - دون أدنى شك - أن القراءات القرآنية التي أجمع العلماء على قبولها ، هي من عند الله تعالى ، نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم - وأنها

٤٠٦٧٥٦

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٨/١) .

(٢) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الحافظ ، الأستاذ أبو بكر بن مجاهد البغدادي ، شيخ الصنعة ، وأول من سبع السبعة ، مؤلف كتاب السبعة ، روى القراءة سماعاً عن أبي جعفر الطبري ت ٣٢٤ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٣٩) .

(٣) انظر الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٦٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليست ناتجة عن اجتهاد أو قياس أو رأي ، وذلك أن كل قارئ يقرأ بما ثبت عنده ، وصح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ به ، أو أقرأ به أحداً من الصحابة - رضي الله عنهم .

ثم إن الاختلافات التي كانت بين الصحابة - رضي الله عنهم - في كيفية أدائهم ، وتلاوتهم للقرآن الكريم - والتي هي أساس القراءات - معزوة كلها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سماعاً منه ، أو تلقياً عنه ، فقد كانت حجة المعترض عليه في جميع ما ورد من آثار في اختلاف الصحابة : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقرأه هكذا . والرسول - صلى الله عليه وسلم - أقرأ كل واحد منهم بالوجه الذي أقره عليه عندما اختلفوا ، ففصل بينهم بقوله :« هكذا أنزل » .

فالقراءة إذن سنة متبعة يتلقاها الآخر عن الأول ، وقد تضافرت أقوال العلماء في تقرير هذه الحقيقة ، وبيانها ، والتأكيد عليها ، لما لها من أهمية كبيرة في علم القراءات ، وهاك بعض أقوال العلماء في ذلك :

يقول أبو عمرو الداني (١) -رحمه الله -:« وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها ، والمصير إليها »(٢).

وقال ابن الجزري - رحمه الله - :« وليحذر القارئ الإقراء بما يحسن في رأيه دون النقل ، أو وجه إعراب ، أو لغة دون رواية » (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٤) - رحمه الله - :« إن القراءة - كما قال زيد بن ثابت - سنة يأخذها الآخر عن الأول » (٥) .

وقال الزرقاني :« إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة ، وإماماً عن إمام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم » (٦) .

---

(١) هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر ، أبو عمرو الداني القرطبي ، أحد الأئمة في علم القرآن ، ورواياته ، وتفسيره ، ومعانيه ، وطرقه ، وإعرابه ، ألف في ذلك تواليف قيمة منها الإقناع في رسم المصحف ، ت ٤٤٤ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ٥٠٣/١).

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١١/١) .

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (٤) .

(٤) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني الدمشقي ، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية ، الإمام ، العالم ، المعروف ، له تواليف كثيرة في علوم متنوعة . ت ٧٢٨ هـ (طبقات المفسرين للداودي ٤١/١) .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٩٤/١٣) .

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٤٠٥/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجدر الإشارة هنا ونحن نتحدث عن نشأة القراءات إلى قضية بدء نزول الأحرف السبعة ، أين كان ؟ أفي مكة المكرمة مع بدء نزول القرآن الكريم على قلب سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؟ أم في المدينة المنورة ، بعد هجرته - صلى الله عليه وسلم - ودخول الناس في دين الله أفواجاً ؟ .

اختلف العلماء في ذلك على رأيين :

أولهما : أن الأحرف السبعة ابتدأ نزولها مع بدء نزول القرآن الكريم ، في مكة المكرمة ، واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :« أقرأني جبريل على حرف واحد فراجعته ، فلم أزل استزيده ، ويزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف »(١) .

ومنها : أن معظم سور القرآن الكريم مكي ، وفيها من الاختلاف والأحرف ما في السور المدينة ، ولم يرو أن هذه السور نزلت مرة أخرى في المدينة .

وقد رجح الدكتور محمد سالم محيسن هذا الرأي ، وقال : وهو الأحوط (٢) .

وثانيهما : أن الأحرف السبعة ابتدأ نزولها في المدينة المنورة ، بعد الهجرة ، وبعد دخول كثير من قبائل العرب في دين الله تعالى .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

ما رواه مسلم في صحيحه عن أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- كان عند أضاة بني غفار ، فأتاه جبريل ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ؛ ثم أتاه الثانية ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة ، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ؛ ثم جاءه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٠٩/٤ ح ٤٧٠٥) . ومسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦١/١ ح ٢٧٢) . وأحمد في مسنده : (٢٦٣/١ ، ٢٩٩ ، ٣١٣) ، والطبري في تفسيره (١٤/١) .

(٢) انظر المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة لمحمد سالم محيسن (٨٥/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرأوا عليه فقد أصابوا » (١) .

واستدلوا كذلك بالأحاديث الواردة في اختلاف الصحابة - رضي الله عنهم - كحديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم - رضي الله عنهما - ، وحديث أبيّ بن كعب - رضي الله عنه - عند مسلم ، وفيه « كنت في المسجد ، فدخل رجل يصلي .... » (٢) .

فهذه الأحاديث فيها دلالة على أن الخلاف بين الصحابة - رضي الله عنهم - في كيفية تلاوة القرآن الكريم إنما كان في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية ، وذلك أن الأحاديث أشارت إلى حدوث ذلك في المسجد .

وبعد فإن الذي تميل إليه النفس ، ويطمئن إليه القلب من هذين الرأيين هو الرأي الثاني ، الذي ينص على أن الأحرف السبعة إنما كان ابتداء نزولها في المدينة المنورة ، بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو الرأي الذي أراه راجحاً لعدة أمور منها :

١- إن الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف التيسير على المسلمين ، ورفع الحرج عنهم ، إذ لو حُملوا جميعاً على قراءة القرآن على حرف واحد ، لشق ذلك عليهم ، ولوقعوا في حرج شديد ، ولم تظهر الحاجة إلى ذلك إلا في المدينة ، بعد هجرة النبي- صلى الله عليه وسلم - حيث أصبح للمسلمين دولة ، ودخلت قبائل العرب في دين الله تعالى ، وجاءت الوفود من أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية معلنة إسلامها . ومن المعلوم أن القبائل مختلفة لغاتها فهذه القبيلة تهمز ، وتلك تسهل الهمز ، وهذه من لهجتها الإمالة ، وأخرى تقرأ بالفتح ، وثالثة بين بين وهكذا ، فكان لابد لرفع الحرج عنهم من أن يقرأ أهل كل قبيلة القرآن بما يوافق لهجتهم ، فكانت عناية الله ورحمته أن أنزل القرآن على سبعة أحرف ، لتقرأ كل قبيلة القرآن على الحرف الذي يوافق لهجتها .

أما في مكة المكرمة فكان الأمر على خلاف ذلك ، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يدعو قومه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦٢/١ ح ٢٧٤) ، وأبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٦٠/٢ ح ١٤٧٨) ، والنسائي في سننه : كتاب افتتاح الصلاة ، باب جامع ما جاء في القرآن (١٥٢/٢ ح ٩٣٩) ، والطبري في تفسيره (١٧/١) .

(٢) سيأتي الحديث بتمامه في المبحث الأول من الفصل الثاني ، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين / باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦١/١ ح ٢٧٣) ، وأحمد في مسنده (١٢٧/٥) ، والطبري في تفسيره (١٦/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للإسلام ، وكان جل الداخلين في الإسلام في ذلك الوقت من قريش وما جاورها من القبائل ، فلم تكن الحاجة ماسة لنزول القرآن على غير لغة قريش .

٢- ما ورد من أحاديث تفيد أن القرآن نزل بلسان قريش منها ما جاء في صحيح البخاري " باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب قرآناً عربياً ، بلسان عربي مبين " .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري ، وأخبرني أنس بن مالك قال : فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا " (١) .

فهذا الحديث يدل على أن القرآن الكريم نزل في مكة بلسان قريش ثم لما دعت الحاجة إلى نزوله على لغات أخرى أنزله الله على سبعة أحرف وكان ذلك في المدينة بعد الهجرة .

يقول أبو شامة (٢) - رحمه الله - « وقد قال بعض الشيوخ : الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب ، ثم أباح للعرب المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها » (٣) .

يقول محمد أبو شهبة - رحمه الله - معقباً على حديث عثمان ، وقوله للرهط القرشيين :« إن قول عثمان محمول على ابتداء نزوله ، وهو الحرف الأول الذي نزل به جبريل ، وطلب النبي - صلى الله عليه وسلم - الزيادة عليه ، فقد نزل جبريل بهذا الحرف أولاً ، ثم كان يأتي بالحروف في عرضاته القرآن مع النبي - صلى الله عليه وسلم - كل عام في رمضان ، فكان ينزل الله سبحانه في هذه العرضات ما شاء أن ينزل من ألفاظ اللغات الأخرى التي تدعو إليها الحاجة " (٤) .

أما قول من قال : إن معظم سور القرآن الكريم مكية وفيها من الاختلاف في الأداء ما في السور

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : فضائل القرآن / نزل القرآن بلسان قريش والعرب (١٩٠٦/٤ ح ٤٦٩٩) .

(٢) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن عثمان أبو القاسم المقدسي ثم الدمشقي الشافعي المعروف بأبي شامة ، الشيخ الإمام الحجة والحافظ ذو الفنون ، صنف الكثير في أنواع من العلوم ت ٦٦٥ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٦٥) .

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة (٩٥) .

(٤) المدخل لدراسة القرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة (١٨٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدنية ، وأنه لم يرو أنها نزلت مرة أخرى في المدينة .

فيجاب عنه : بأن السور المكية نزلت في مكة على حرف واحد وهو حرف قريش ، ثم لمّا دعت الحاجة إلى الأحرف الأخرى بعد دخول القبائل في الإسلام ، أقرأ جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه السور نفسها بالأحرف الستة الأخرى ، ولا يعد هذا نزولاً آخر لهذه السور .

أما الحديث الذي استدل به أصحاب الرأي الأول فلا دلالة فيه على ما ذهبوا إليه ، وذلك أن غاية ما يدل عليه الحديث أن جبريل - عليه الصلاة والسلام - أقرأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - على حرف ، فراجعه النبي - صلى الله عليه وسلم - طالباً الزيادة ، ولم يزل النبي - صلى الله عليه وسلم - يراجعه حتى انتهى إلى سبعة أحرف ، أما متى كان ذلك وأين فليس في الحديث ما يدل على ذلك .

وقد ذهب الدكتور عبد الصبور شاهين إلى أن ابتداء نزول الأحرف السبعة إنما كان في المدينة المنورة حيث يقول :« إن منطوق الأحاديث ومفهومها يدلان على أن زمن التصريح بقراءة القرآن على سبعة أحرف لم يكن خلال الفترة المكية ، وإنما كان خلال الفترة المدنية ، فأما المنطوق : فأن يرد في بعضها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أحجار المراء بالمدينة ، أو عند أضاة بني غفار ، وهو موضع بالمدينة ، وأما المفهوم : فإن أغلب الأحاديث التي ذكرت خلافاً بين الصحابة حول شيء من القرآن أشارت إلى حدوثه بالمسجد ، كما أشارت إلى صورة من الاحتكام إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والمسجد : هو مسجد المدينة ، بلا مراء ، والاحتكام لم يكن إلا حيث وجدت للمسلمين في شخص النبي -صلى الله عليه وسلم- (حكومة) بالمعنى العام ، وهو ما تشير إليه الآية المدنية : ﴿ ***فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما*** ﴾(١) (٢) .

---

(١) سورة النساء : آية (٦٥) .

(٢) تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين (٣٩) .

University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : صلة القراءات بالأحرف السبعة :

إن للقراءات القرآنية صلة وثيقة بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ، فالأحرف السبعة توقيفية لا مجال للرأي والاجتهاد والقياس فيها كما سبق بيان ذلك ، وكذلك الأمر في القراءات القرآنية ، فكما أن الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - كانوا لا يقرأون إلا بما أقرأهم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أو من أقرأه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكذلك القراء لم يكونوا يقرأون إلا بما تلقوه عن شيوخهم مسلسلاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف العلماء في تحديد العلاقة بين القراءات والأحرف السبعة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : إن جميع القراءات التي يقرأ بها ترجع إلى حرف واحد من الأحرف السبعة .

القول الثاني : إن القراءات التي يقرأ بها هي الأحرف السبعة .

القول الثالث : إن القراءات التي يقرأ بها جزء من الأحرف السبعة .

وسيأتي مزيد تفصيل في هذه المسألة في المبحث الثاني من الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

خامساً : أنواع القراءات وأقسامها :

أقرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة القرآن على الأحرف السبعة التي نزل عليها ، فكان كل واحد منهم يقرأ القرآن على الحرف الذي تلقاه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فوقعت بينهم لأجل ذلك بعض الخلافات ؛ فرفعوا ذلك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ ففصل بينهم بقوله :«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف »(١) ، ومن ثم لم ينكر أحد منهم على من قرأ خلاف قراءته .

واستمر الأمر على ذلك إلى أن وقع الخلاف بين المسلمين في خلافة عثمان - رضي الله عنه - وكاد يكفر بعضهم بعضاً ؛ لاختلافهم في قراءة القرآن الكريم ؛ فجمعهم عثمان - رضي الله عنه - على حرف واحد ، وكتب القرآن على حرف واحد ، ووجه المصاحف التي كتبها إلى الأمصار ، وبعث مع كل مصحف قارئاً يقرئ أهل المصر القرآن كما تلقاه وسمعه من النبي - صلى الله عليه وسلم - بما يحتمله رسم المصحف ، وأمر الناس بترك القراءات التي تلقوها ، وخالفت مرسوم المصحف الذي وجه إليهم .

---

(١) سيأتي الحديث بتمامه وتخريجه ص ١٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - :« وجمعهم - أي عثمان - على مصحف واحد ، وحرف واحد ، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه ، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه ، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، طاعة منها له ، ونظراً منها لأنفسها ، ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها ، وتتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها ، ولكن نظراً منها لأنفسها ، ولسائر أهل دينها »(١) .

وبعد أن جمع عثمان - رضي الله عنه - الناس على حرف واحد ، ومصحف واحد ، انقسمت القراءات إلى قسمين :

الأول : ما يقبل ويقرأ به : وهو ما وافق خط المصحف المجمع عليه مما نقله الثقات وتلقوه مسلسلاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم .

الثاني : ما لا يقبل ولا يقرأ به : وهو ما خالف خط المصحف المجمع عليه مخالفة شديدة ظاهرة كزيادة كلمة ، وتبديل كلمة مكان أخرى ، ونحو ذلك .

واستمر الناس يقرأون القرآن ويتلقونه مشافهة على الحرف الذي جمع عثمان الأمة عليه ، وما يحتمله رسم المصحف من الأحرف الأخرى التي أقرأها النبي - صلى الله عليه وسلم - للصحابة -رضي الله عنهم - ، وعلمها الصحابة لمن بعدهم وهكذا .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الصحابة قد تصدروا لإقراء الناس القرآن الكريم ، وتصدر بعض التابعين لذلك ، وكان في كل مصر من أمصار المسلمين أئمة اشتهروا بالقراءة والإقراء بعد ذلك ، فإن هذه السلسلة لم تنقطع في أي عصر من العصور ؛ وذلك أن القرآن الكريم يعتمد على التلقي والمشافهة عمن شوفه به ، ثم إن عصور المسلمين لم يخل عصر منها من الأئمة المتقنين الضابطين ، ومع ذلك فقد وجد من هم دون ذلك وهذه هي طبيعة البشر فهم ليسوا سواء .

يقول ابن الجزري -رحمه الله- :« ثم كثر الاختلاف أيضاً فيما يحتمله الرسم ، وقرأ أهل البدع

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري (٢٨/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأهواء بما لا يحل لأحد من المسلمين تلاوته ، فوضعوه من عند أنفسهم وفاقاً لبدعتهم ، كمن قال من المعتزلة (وكلم اللهَ موسى تكليما) بنصب الهاء ، ومن الرافضة (وما كنت متخذ المضلَّين عضدا) بفتح اللام ، يعنون : أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - فلما وقع ذلك رأى المسلمون أن يجتمعوا على قراءات أئمة ثقات ، تجردوا للقيام بالقرآن العظيم ، فاختاروا من كل مصر وجه إليه مصحف أئمة مشهورين بالثقة ، والأمانة في النقل ، وحسن الدين ، وكمال العلم ، أفنوا أعمارهم في القراءة والإقراء، واشتهر أمرهم ، وأجمع أهل مصرهم على عدالتهم فيما نقلوا ، وتوثيقهم فيما قرأوا ورووا ، وعلمهم بما يقرئون، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم » (١) .

وقد أشار مكي بن أبي طالب (٢) إلى أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيراً في العدد كثيراً في الاختلاف ، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق خط المصحف على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به ؛ فتصدى ابن مجاهد -رحمه الله - لهذا العمل الجليل ، فاختار من بين القراء الكثيرين الذين كانوا في عصره سبعة قراء ، فجمع قراءاتهم ، وحرر طرقهم ، وتابعه الناس على ذلك (٣) .

ومع متابعة الناس لابن مجاهد في أخذهم للقراءات السبع التي اختارها ، لكنهم كانوا يقرأون معها ببعض القراءات الأخرى التي هي لبعض شيوخ هؤلاء الأئمة الذين اختارهم ابن مجاهد كقراءة يعقوب الحضرمي ، وقراءة أبي جعفر وشيبة إمامي نافع .

وبعد أن جمع ابن مجاهد - رحمه الله - قراءات الأئمة السبعة ، وأودعها كتابه السبعة ، أصبح يطلق على ما عداها من القراءات (شاذة) ، رغم أن بعضها صحيح منقول عن الثقات .

وقد أوضح ابن جني (٤) - رحمه الله - ذلك حيث قال :« القراءات على ضربين :

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (٢٢-٢٣) .

(٢) هو مكي بن أبي طالب حموش بن مختار القيسي ، أبو محمد القيرواني ثم الأندلسي ، كان إماماً في وجوه القراءات ، متبحراً في علوم القرآن ، والعربية ، والنحو ، كثير التاليف . ت ٤٣٧ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٠٩) .

(٣) انظر : الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٦٤) .

(٤) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي ، كان من حذاق أهل الأدب ، وأعلمهم بعلم النحو والتصريف ، صنف في النحو والتصريف كتباً أبدع فيها كالخصائص ، والمنصف ، وسر الصناعة وغيرها . ت ٣٩٢ هـ (نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ٢٤٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول : ما اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار ، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد -رحمه الله- كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو بشهرته غان عن تحديده .

الثاني : ما تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، محفوف بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله ، أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه » (١) .

ويقول أيضاً :« إلا أننا وإن لم نقرأ في التلاوة به مخافة الانتشار فيه ، ونتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية ، فإنا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً ، وأنه مما أمر الله تعالى بتقبله ، وأراد منا العمل بموجبه ، وأنه حبيب إليه ، ومرضي من القول لديه » (٢) .

فواضح من كلام ابن جني السابق أن القراءات القرآنية انقسمت بعد اختيار ابن مجاهد للقراءات السبع إلى قسمين :

الأول : القراءات الصحيحة التي أجمع عليها أكثر القراء ، وهي قراءات الأئمة السبعة .

الثاني : القراءات الشاذة ، وهي ما خلا القراءات السبع التي أودعها ابن مجاهد في كتابه السبعة .

ومن الجدير بالذكر أن القراءات التي أطلق عليها قراءات شاذة وسميت بذلك في عصر ابن مجاهد كان كثير منها قراءات صحيحة منقولة عن الثقات ، واستمر نقل بعضها مع القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد - رحمه الله .

وليس أدل على ذلك من المؤلفات التي ألفت في عصر ابن مجاهد في القراءات العشر ، فابن مهران (٣) - رحمه الله - المتوفى سنة (٣٨١ هـ) ألف كتابي (الشامل والغاية في القراءات العشر) فجمع فيهما قراءات الأئمة السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ، وأضاف إليهم قراءات الأئمة الثلاثة

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني (٣٢/١) .

(٢) المرجع السابق (٣٣/١) .

(٣) هو أحمد بن الحسين بن مهران ، الأستاذ أبو بكر الأصبهاني ثم النيسابوري ، محقق ثقة صالح مجاب الدعوة ، له مؤلفات قيمة منها كتاب طبقات القراء ، وكتاب المدات ، وكتاب الاستعاذة بحججها . ت ٣٨١ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٤٩/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم : أبو جعفر ، ويعقوب ، وخلف العاشر .

وفي هذا دليل أيضاً على أن بعض العلماء والقراء لم يلتزموا ما فعله ابن مجاهد ، فلم يقتصروا على القراءة بالقراءات السبع ، بل كان يرى بعضهم أن الاقتصار على هذه السبعة فيه تضييق واسعاً .

فتسمية الناس إذن لما زاد على السبعة شاذاً إنما أريد به ما شذ وخرج عن السبعة ، لا أن ما زاد عليها يعد ضعيف الإسناد ، تقصر مرتبته عن مرتبة السبعة ، وذلك أن بعض القراءات خلا السبعة في مرتبة أعلى من القراءات السبع في ذلك الوقت .

يقول مكي بن أبي طالب – رحمه الله – :« وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة ، وأجل قدراً من هؤلاء السبعة » (١) .

ويؤخذ مما سبق أن القراءات الثلاث إنما ألحقت بالقراءات السبع في وقت مبكر ، في نفس العصر الذي جمع فيه ابن مجاهد القراءات السبع ، كما لاحظنا في تأليف ابن مهران في القراءات العشر ، ولم يقتصر الأمر على ما ألفه ابن مهران – رحمه الله – فقد ألف غير ابن مهران في أكثر من السبع ، فهذا ابن غلبون (٢) – رحمه الله – المتوفى سنة (٣٩٩ هـ) ألف كتابه (التذكرة في القراءات الثمان) ، جمع فيه قراءات الأئمة السبعة وقراءة يعقوب .

واستمر التأليف في القراءات العشر بعد ذلك العصر ، فقد ألف أبو طاهر بن سوار (٣) المتوفى سنة (٤٩٦ هـ) كتابه (المستنير في العشر) ، جمع فيه قراءات الأئمة العشرة المشهورين ، وألف أبو العلاء الهمداني (٤) المتوفي سنة (٥٦٩ هـ) كتابه (الغاية في القراءات العشر) ، جمع فيه قراءات الأئمة العشرة المشهورين ، وألف غير هؤلاء في القراءات العشر المشهورة .

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٦) .

(٢) هو طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك ، أبو الحسن الحلبي ، أستاذ عارف ، وثقة ضابط ، وحجة محرر ، شيخ الداني . قال الداني : لم ير في وقته مثله في فهمه وعلمه مع فضله وصدق لهجته كتبنا عنه كثيراً . ت ٣٩٩ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٣٩) .

(٣) هو أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار الأستاذ أبو طاهر البغدادي الحنفي ، إمام كبير محقق ثقة ، عالم بالقراءات ، تلقاها عن كثير من الشيوخ . ت ٤٩٦ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٨٦) .

(٤) هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل ، الإمام الحافظ الأستاذ أبو العلاء الهمداني العطار ، شيخ همذان ، إمام العراقيين ، أحد حفاظ العصر ، ثقة دين خير كبير القدر ، اعتنى بهذا الفن أتم عناية ، وألف فيه أحسن الكتب كالوقف والابتداء ت ٥٦٩ هـ (غاية النهاية ١/٢٠٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول مكي بن أبي طالب في معنى ما سبق :« وتابعه – أي ابن مجاهد – على ذلك من أتى بعده إلى الآن ، ولم تترك القراءة برواية غيرهم ، واختيار من أتى بعدهم إلى الآن ، فهذه قراءة يعقوب الحضرمي غير متروكة ، وكذلك قراءة عاصم الجحدري (١) ، وكذلك قراءة أبي جعفر وشيبة (٢) إمامي نافع »(٣) .

تقسيم مكي بن أبي طالب للقراءات :

قسم مكي بن أبي طالب – رحمه الله – القراءات باعتبار قبولها والقراءة بها وعدم ذلك إلى ثلاثة أقسام :

الأول : ما يقرأ به ، ويقطع على مغيبه وصحته وصدقه ، وهو ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهي : أن ينقل عن الثقات إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً ، ويكون موافقاً لخط المصحف .

الثاني : ما يقبل ولا يقرأ به ، ولا يقطع على مغيبه وصحته ، وهو ما صح نقله عن الآحاد ، وصح وجهه في العربية ، وخالف لفظه خط المصحف ؛ وإنما لا يقرأ به لعلتين :

إحداهما : مجيئه بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد .

العلة الثانية : أنه مخالف لخط المصحف المجمع عليه .

الثالث : ما لا يقبل ولا يقرأ به ، وهو ما نقله غير ثقة ، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية سواء وافق خط المصحف أم خالفه (٤) .

وقد مثل ابن الجزري رحمه الله للأقسام الثلاثة التي ذكرها مكي ، ولم يمثل لها اختصاراً فقال :

---

(١) هو عاصم بن أبي الصباح العجاج وقيل ميمون ، أبو المجشّر الجحدري البصري ، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس ، وقرأ على نصر بن عاصم والحسن ويحيى بن يعمر ت ١٢٨ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٤٩) .

(٢) هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب ، إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ، ومولى أم سلمة رضي الله عنها ، وقال الحافظ أبو العلاء هو من قراء التابعين الذي ادركوا أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– وأدرك أمَّي المؤمنين عائشة وأم سلمة – رضي الله عنهما – وهو أول من ألف في الوقف . ت ١٣٠ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٢٩) .

(٣) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٦٤) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (٣٩–٤٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

« ومثال القسم الأول (مالك وملك ، ويخدعون ويخادعون ، وأوصى ووصى ، ويطوع وتطوع) ونحو ذلك من القراءات المشهورة .

ومثال القسم الثاني : قراءة عبد الله بن مسعود ، وأبي الدرداء (والذكر والأنثى) في (وما خلق الذكر والأنثى) وقراءة ابن عباس (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وأما الغلام فكان كافراً) ونحو ذلك مما ثبت برواية الثقات ....

ومثال القسم الثالث مما نقله غير ثقة كثير مما في كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف ، كقراءة ابن السميفع (١) ، وأبي السمال (٢) وغيرهما في (ننجيك ببدنك) (ننحيك) بالحاء المهملة ، (وتكون لمن خلفك آية) بفتح سكون اللام ... » (٣) .

يتضح مما سبق ذكره أن مكي بن أبي طالب - رحمه الله - قد عد القراءات التي اجتمعت فيها الخلال الثلاثة التي ذكرها صحيحة مقبولة يقرأ بها ويقطع على كونها قرآناً ، وهي القراءات المشهورة .

أما القسم الثاني فعده من المقبول أي الذي يقبل فيحتج به في التفسير واللغة والفقه ، ولكنه لا يقرأ به ، لأنه لا تجوز القراءة إلا بما ثبت كونه قرآناً ، وعدم القراءة به لعلتين اثنتين :

الأولى : أنه نقل بخبر الآحاد ، وبناء على ذلك فإن كل قراءة نقلت بخبر الآحاد تقبل ولكن ليس على أنها من القرآن ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، مثال ذلك القراءات المنقولة عن الأئمة الأربعة أصحاب القراءات الشاذة وهم الحسن البصري (٤) ، واليزيدي (٥) ، وابن محيصن (٦) ، والأعمش (٧) .

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن السميفع - بفتح السين - أبو عبد الله اليماني ، له اختيار في القراءة ينسب إليه شذ فيه ، (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/١٦١).

(٢) هو قعنب بن أبي قعنب ، أبو السمال - بفتح السين وتشديد الميم وباللام - العدوي البصري ، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة ، (غاية النهاية ٢/٢٧) .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/١٤-١٦).

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار ، السيد الإمام أبو سعيد البصري ، إمام زمانه علماً وعملاً ، قرأ على حطان الرقاشي عن أبي موسى الأشعري ، وعلى أبي العالية عن أبي زيد ، وعنه أبو عمرو بن العلاء ، وسلام بن سليمان ، ويونس بن عبيد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وذلك سنة إحدى وعشرين ، وتوفي سنة عشر ومائة (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٣٥) .

(٥) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة ، الإمام أبو محمد العدوي البصري ، المعروف باليزيدي ، نحوي مقرئ ثقة علامة كبير ، خلف أبا عمرو في القيام بالقراءة في البصرة له عدة تصانيف منها : كتاب النوادر ، وكتاب المقصود ، وكتاب المشكل ، ت ٢٠٢ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٣٧٥) .

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي ، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير ، كان ممن تجرد للقراءة ، و قام بها في عصر ابن كثير ، كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته ، ت ١٢٣هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/١٦٧) .

(٧) هو سليمان بن مهران الأعمش ، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الإمام الجليل ، أخذ القراءة عرضاً من إبراهيم النخعي ، وزر بن حبيش وعاصم بن أبي النجود ، وأبي العالية الرياحي ، وآخرين ، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً حمزة الزيات وآخرون ، ت ١٤٨هـ(غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢١٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعلة الثانية : أنه مخالف لخط المصحف المجمع عليه ، وعلى هذا فكل قراءة خالفت خط المصحف ، ونقلت بخبر الآحاد ، تقبل للاحتجاج بها ، ولا تقبل على أنها قرآن لذلك لا تصح القراءة بها البتة ، مثال ذلك ما جاء من القراءات بسند صحيح في كتب الحديث ، نحو ما أخرجه الحاكم بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ :« لقد جاءكم رسول من أنفسكم» بفتح الفاء (١) .

أما القسم الثالث : فهو ما لا يقبل ولا يقرأ به ، أي لا يقبل على أنه قراءة ، لأنه لم يصح سنده، أو صح سنده ولا وجه له في العربية ، وهذا الأخير لا يصدر إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط ، وهو قليل جداً ، بل لا يكاد يوجد (٢) .

فالقراءات الشاذة عند مكي إذن ، هي التي فقدت الخلال الثلاثة ، أو واحدة منها ، بأن فقدت شرط التواتر ، أو خالفت رسم المصحف ، أو لم يكن لها وجه صحيح في العربية . وهي حينئذ لا يقرأ بها ، ولا تقبل على أنها قرآن ، وصورها أربعة وهي :

١- ما نقل بخبر الآحاد وهو صحيح السند ، وله وجه في العربية ، ووافق رسم المصحف وهذا نجده في غالب القراءات الأربع الشواذ .

٢- ما نقل بخبر الآحاد ، وهو صحيح السند وله وجه في العربية ، وخالف رسم المصحف .

٣- ما نقلها غير ثقة ، وهي موافقة للعربية والرسم ، فهذا لا يقبل ولا يقرأ به .

٤- ما نقلها ثقة ولا وجه لها في العربية ، سواء وافقت خط المصحف أم خالفته .

وهذا القسم إنما ذكرته تبعاً للسابقين ، لأنه في الحقيقة لا وجود له غالباً ، وإن وجد فإنما يوجد على وجه السهو والغلط ، وعدم الضبط كما قال ابن الجزري (٣) .

تقسيم ابن الجزري للقراءات :

أما ابن الجزري - رحمه الله - فقد قسم القراءات في كتابه منجد المقرئين إلى قسمين :

---

(١) المستدرك : كتاب التفسير / باب قراءات النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢/٢٤٠) .

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/١٦) .

(٣) انظر : المرجع السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول : المتواترة : وعرفها بقوله :« كل قراءة وافقت العربية مطلقاً ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً ، وتواتر نقلها ، فهذه القراءة المتواترة ، المقطوع بها »

الثاني : الصحيحة : وقسمها إلى قسمين أيضاً :

أولهما : الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة - وهي صحة السند وموافقة العربية والرسم - وعرفها بقوله :« ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا ، إلى منتهاه ، ووافق العربية والرسم » وهي قسمان :-

١- الجامعة للأركان الثلاثة المستفيضة المتلقاة بالقبول لدى الأمة ، ويمثل لهذا القسم بما انفرد به بعض الرواة ، وبعض الكتب المعتبرة ، وكمراتب القراءة في المد .

٢- القراءة الجامعة للأركان الثلاثة إلا أنها لم يستفض نقلها ، ولم تتلقها الأمة بالقبول .

ثانيهما : ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم ، ومثل له بما ورد بإسناد صحيح من زيادة ونقص ، وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم ، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه ، وإن كان إسنادها صحيحاً (١) .

ويمكن بيان ما ذكره ابن الجزري - رحمه الله - وجعله في ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : القراءات المتواترة ، وهي كل قراءة وافقت العربية مطلقاً ، ووافقت أحد المصاحف ولو تقديراً ، وتواتر نقلها ، ويلحق بها القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة ، المستفيضة ، المتلقاة بالقبول ، وهي القراءات العشر .

القسم الثاني : القراءات الصحيحة الجامعة للأركان الثلاثة ، لكنها لم يستفض نقلها ، ولم تتلقها الأمة بالقبول ، وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع التي بعد العشرة ، وهي : قراءة الحسن البصري ، وابن محيصن ، واليزيدي ، والأعمش .

القسم الثالث : القراءات الشاذة : وهي القراءات التي صح سندها ووافقت العربية ، وخالفت الرسم ، ومثاله ما ورد بأسانيد صحاح في كتب الحديث من زيادة أو نقص ، أو إبدال كلمة بأخرى ، ونحو ذلك .

---

(١) انظر : منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (١٥-١٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فابن الجزري – رحمه الله – عد القراءات الأربع التي بعد العشرة صحيحة مقبولة ، أي يحتج بها في اللغة والفقه والتفسير وغير ذلك ، لكنها لا تجوز القراءة بها والصلاة بها لكونها نقلت بأخبار الآحاد ، وأخبار الآحاد لا يثبت بها قرآن إذ لا بد من التواتر .

ثم إن القراءات الشاذة عند ابن الجزري -رحمه الله – هي التي صح سندها وخالفت رسم المصحف.

خلاصة القول في أقسام القراءات :

إن القراءات التي بين أيدينا في هذا العصر على ثلاثة أقسام :

الأول : ما يقبل على أنه قرآن ، ويقرأ به في الصلاة وخارجها ، وله ما للقرآن وهي القراءات العشر المشهورة على الصحيح من أقوال العلماء ، لكونها نقلت بالتواتر .

الثاني : ما يقبل ، لا على أنه قرآن ، أي يقبل للاحتجاج به في اللغة ، والنحو ، والفقه ، وغير ذلك ، ولكنه لا يقرأ به ، لكونه ليس قرآناً ، وهي القراءات التي صح سندها ، ونقلت بخبر الآحاد سواء وافقت خط المصحف كاكثر القراءات الأربع الشواذ أم خالفت خط المصحف كقراءة ابن مسعود وأبي الدرداء (والذكر والأنثى) في (وما خلق الذكر والأنثى) ؛ وذلك لفقدها شرط التواتر الذي إن وجد كانت القراءة صحيحة مقبولة مقروءاً بها .

يقول ابن الجزري – رحمه الله – :« فالذي وصل إلينا اليوم متواتراً وصحيحاً مقطوعاً به قراءات الأئمة العشرة ، ورواتهم المشهورين ، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء ، وعليه الناس اليوم بالشام ، والعراق ، ومصر ، والحجاز » (١)

ونقل عن السبكي قوله :« ولا تجوز القراءة بالشاذ والصحيح أن ما وراء العشرة فهو شاذ » (٢)

الثالث : ما لايقبل ولا يقرأ به ، وهي التي لم يصح سندها ، كالتي جاءت في بعض كتب التفسير واللغة ، فهي مردودة ، ولا يصح الاعتماد عليها البتة ، بل لا يصح أن تسمى قراءات ، لأن الأصل الذي تعتمد عليه القراءات هو الرواية والنقل ، وهذه القراءات لم تصح روايتها .

---

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (٢٣) .

(٢) المرجع نفسه (١٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإمام الطبري وعصره

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : عصره

المبحث الثاني : حياته الشخصية

المبحث الثالث : حياته العلمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

عصره

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الحالة السياسية

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث : الحالة العلمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الإمام الطبري وعصره

المبحث الأول

عصره

المطلب الأول : الحالة السياسية :

عاش الإمام الطبري – رحمه الله – جميع حياته في ظل الخلافة العباسية التي كانت موئلاً للمسلمين ، والتي كانت تحمل راية الإسلام ولواءه ، وتُسير الجيوش لفتح البلاد ، وتحرير العباد .

فقد كان مولده – رحمه الله – في أيام المعتصم ، في أواخر العصر العباسي الأول ، ونشأ وعاش عمره المديد كله في ظل العصر العباسي الثاني ، الذي امتد ما بين (٢٣٢-٣٢٢ هـ) .

وسأذكر فيما يلي نبذة موجزة عن تاريخ هذا العصر ، وما حصل فيه من أحداث كي نتعرف من خلال ذلك على الحالة السياسية في العصر الذي عاش فيه الإمام الطبري – رحمه الله تعالى .

كانت الأوضاع السياسية في الفترة التي عاشها الإمام الطبري – رحمه الله – مضطربة ، فقد تعاقب على كرسي الحكم فيها ثلاثة عشر خليفة من بني العباس، انتهى حكم معظمهم بالقتل أو الخلع(١).

ففي هذا العصر ظهر النزاع على السلطة بين الفرس ، والأتراك ، والعرب ، وكان المعتصم هو أول خليفة اتخذ من الأتراك أعواناً ، وقرّبهم منه ، وأدار ظهره للفرس الذين كانوا موضع ثقة سلفه المأمون وكان يعتمد عليهم في شؤون الحكم ، وازداد العرب بعداً عن مقاليد الحكم في الدولة (٢) .

وأدى بُعد العرب عن مقاليد الحكم في الدولة إلى ثورتهم عليه ، وعلى قادة الأتراك ، بقيادة القائد العربي عجيف (ت ٢٢٣ هـ) ، وأغرى عجيف العباس بن المأمون على مقاتلة عمه المعتصم ، واسترجاع

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٣٣-٣٨٦) .

(٢) انظر : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، لحسن أحمد محمود (٣١٣) ، التاريخ الإسلامي العام ، لعلي إبراهيم حسن (٤١٤) ، مطلع العصر العباسي الثاني ، لنادية حسني صقر (٤٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلافة منه ، واشترك معهم في هذه المؤامرة بعض القادة العرب . واتفقوا جميعاً على قتل المعتصم ، ولكن لم يتم لهم ما أرادوا ، فقد علم المعتصم بذلك كله ، فأودع العباس السجن ، ومنع عنه الماء حتى مات ، وقضى أيضاً على القائد العربي عجيف (١) .

ومع كل ما حظي به الأتراك من الحفاء والتكريم من قبل الخليفة ، إلا أنهم لم يكونوا مخلصين له بل كانت رغبتهم الملحة في انتزاع السلطة من المعتصم .

وكان لا يخفى على أحد من الناس خطر الاعتماد على الأتراك ، وتوليتهم المراكز الحساسة في الدولة ، وقد أدرك المعتصم هذا الخطر في آخر حياته ، وندم على تمكينه لهم ندماً شديداً ، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان ، فقد رسخت أقدامهم ، وتعمقت جذورهم ، فأصبح من الصعب التخلص منهم (٢) .

توفي المعتصم في ربيع الأول سنة (٢٢٧ هـ) ، وبُويع بالخلافة لابنه الواثق بالله . والحال على ما هو عليه من تمكن الأتراك من مقاليد الحكم في الدولة ، بل ازداد تمكنهم في خلافة الواثق بالله ، وانتهى حكم الواثق بوفاته سنة (٢٣٢ هـ) (٣) .

وبانتهاء حكمه انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية ، عصر القوة والازدهار ، ليبدأ عصر الضعف والوهن ، العصر الذي لم يعد فيه للخليفة أي هيبة ، وأصبح الخليفة ألعوبة بيد القادة من الأتراك ، الذين كانوا يولون من شاءوا ويعزلون من شاءوا ، بل ويقتلون إن شاءوا (٤) .

وبعد وفاة الواثق بالله ، بويع بالخلافة للمتوكل سنة (٢٣٢ هـ) ، وكان عهده بداية الضعف والانحلال ، الذي بدأ يسري سريان السم الناقع في جسم الدولة الإسلامية .

وقد حاول المتوكل التخلص من القادة الأتراك ، وأنى له ذلك ، بعد الذي كان من شأنهم . وانتهى حكم المتوكل بمؤامرة أودت بحياته ، دبرها له القادة الأتراك - لما شعروا بخطره عليهم - بالاشتراك مع ابنه المنتصر ، طمعاً في الخلافة التي أوصى بها المتوكل لابنه المعتز (٥) .

وبعد قتل المتوكل خلفه ابنه - القاتل - المنتصر ، فادعى أن الذي قتل والده هو الفتح بن خاقان،

---

(١) انظر : تاريخ الطبري (٧٧/٩) .

(٢) انظر : التاريخ الإسلامي العام ، لعلي إبراهيم حسن (٤١٥-٤١٦) .

(٣) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٣٦-٣٤٦) .

(٤) انظر : العالم الإسلامي في العصر العباسي لحسن أحمد محمود (٣٢٨) .

(٥) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٥٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزير المتوكل ، ولم يدم المنتصر في الحكم طويلاً - إذ ساءت العلاقة بينه وبين الأتراك ، ففكروا في قتله فأغروا طبيبه ابن طيفور بذلك ، وجعلوا له ثلاثين ألف ديناراً ، فقصده بريشة مسمومة ، فقضى عليه ، وكان ذلك في ربيع الآخر سنة (٢٤٨ هـ) ولم يمض على حكمه ستة أشهر (١) .

وفي هذا يقول الإمام الطبري - رحمه الله - وهو المؤرخ المعاصر لذلك الحدث :" لم أزل أسمع الناس ، حين أفضت إليه الخلافة من لدن وَلِيَ إلى أن مات يقولون : إنما مدة حياته ستة أشهر ، مدة شيرويه بن كسرى ، قاتل أبيه ، واستفاض ذلك على ألسنة العامة والخاصة (٢) .

واجمعت كلمة القواد من الأتراك - وهم الذين بأيديهم زمام الحكم - على تولية المستعين بالله ، وهو أحد أحفاد المعتصم ، وكان المستعين بالله ضعيفاً، لا يملك من أمر الحكم حولاً ولا طولاً . وازدادت هوة الخلاف بينه وبين الأتراك ، حتى عزموا على التخلص منه ، فدبروا مؤامرة لقتله . فهرب منهم إلى بغداد ، فبويع بالخلافة للمعتز بالله ابن المتوكل سنة (٢٥٢ هـ)، فنشبت الحرب بين الخليفتين واستمرت عدة شهور عمت البلاد أثناءها حالاً من الفوضى، وسوء الأحوال الاقتصادية ، إلى أن دبر الأتراك حيلة للتخلص من المستعين بالله، فقتل على يد أحد حجاب القصر، واستقر الأمر للمعتز بالله(٣) .

وحاول المعتز بالله التخلص من القادة الأتراك ، ولكنه لم يفلح ، فهجموا على قصره وأخذوه ووضعوه في الشمس فوق الرمال الحارة ، يرفع رجلاً ويضع أخرى ، ثم أرغموه على التنازل للمهتدي بن الواثق ، وتركوه في السجن حتى مات جوعاً وعطشاً سنة (٢٥٥ هـ) (٤) .

وبعد موت المعتز بالله تقلد منصب الخليفة المهتدي ، وكان ورعاً تقياً عابداً ، يكره اللهو واللعب ، فأبعد مظاهر الترف واللهو واللعب من القصر ، وجلس للمظالم ، وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز -رحمه الله - وكان يقول : إني أستحي أن يكون مثله في بني أمية ، ولا يكون مثله في بني العباس (٥)

وكما هي العادة جارية ، تآمر الأتراك على قتله، فثاروا عليه بحجة أنه قتل بعض الموالي ، فأسروه ، ثم خلعوه ، ثم عذبوه حتى مات في رجب سنة (٢٥٦ هـ) (٦) .

وبعد موته بويع للمعتمد بن المتوكل خليفة من بعده ، وكان هذا على النقيض من سلفه ، فقد كان

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٥٧) . (٢) تاريخ الطبري (٢٥٢/٩) . (٣) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٥٨) .

(٤) انظر : تاريخ الطبري (٢٥٣/٩) . (٥) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٢٦١-٢٦٢) . (٦) انظر المرجع نفسه (٢٦٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماجناً ، مشغولاً باللهو واللعب ، عاكفاً على الملذات (١) ، ومن أجل ذلك حجر عليه أخوه الموفق ، وسلبه السلطان الفعلي ، ولم يكن المعتمد سوى رمزاً للخلافة فحسب ، أما السلطان الفعلي فكان بيد الموفق (٢) تولى الموفق قيادة الجيش ، واستطاع أن يحد من نفوذ الأتراك ، وقضى على ثورة الزنج ، وقتل زعيمهم سنة (٢٧٠ هـ) (٣) ، وأعاد للخلافة العباسية شيئاً من الهيبة والقوة ، فطامن الأتراك من كبريائهم .

انتهى حكم الموفق بموته في صفر سنة (٢٧٨ هـ) ، وفي رجب من السنة نفسها توفي المعتمد ، وبعد موته بويع المعتضد بالله بن الموفق ، وكان جلداً ، صبوراً ، قوياً ، ذا مهابة ، أسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية ، فعم الأمن والرخاء البلاد والعباد ، وكان المعتضد بالله يسمى السفاح الثاني ، لأنه جدد ملك بني العباس بعد أن هزل وضعف وآذن بالزوال ، وقد تضاءل نفوذ الأتراك في عهده ، وضعفت شوكتهم .

استمر حكم المعتضد بالله إلى أن وافته المنية سنة (٢٨٩ هـ) (٤) ، وخلفه من بعده ابنه المكتفي بالله الذي ساءت أحوال الدولة في عهده ، وعاد للأتراك نفوذهم ، وتفاقم شر القرامطة حول بغداد والبصرة ، وفي سورية واليمن ، وألقوا الرعب في قلوب الناس ، فاستعرت نيران الحرب بينهم وبين المسلمين ، ودارت معارك طاحنة ، انتهت بهزيمتهم وقتل زعيمهم ، كما قضى المكتفي على الدولة الطولونية في مصر ، وأصبحت مصر خاضعة للخلافة العباسية .

كان المكتفي محبوباً لدى الناس ، لما كان يتمتع به من أخلاق حسنة ، وخصال حميدة ، فقد نشر العدل ، ورد الحقوق إلى أهلها ، واهتم ببناء المساجد (٥) .

مات المكتفي بالله سنة (٢٩٥ هـ) ، وخلفه أخوه المقتدر ، وكان صبياً حدثاً في الثالثة عشرة من عمره ، عرف عهده بعهد تدخل النساء في شؤون الحكم والدولة ، فقد كانت أمه صاحبة القرار ، وكانت تجلس للمظالم ، والفصل بين المنازعات في كل جمعة ، وحولها القضاة والأعيان (٦) ، وبذلك ضعفت الدولة ، وذهبت هيبة الخلافة ، وازدراها الناس ، واستشرى أمر الأتراك ، فخلعوا المقتدر ، وولوا مكانه المرتضي بن المعتز ، وكان أديباً شاعراً ، قادراً على تحمل أعباء الخلافة .

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٦٣) . (٢) انظر : المرجع نفسه (٣٦٣) . (٣) انظر المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه (٣٧٢) . (٥) انظر : المرجع نفسه (٣٧٦) . (٦) المرجع نفسه (٣٨١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روى السيوطي أن الإمام ابن جرير الطبري - وكان في آخر أيامه - لما بلغه خبر خلع المقتدر ، ومبايعة ابن المعتز ، قال : ما الخبر ؟ قالوا : بُويع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ قالوا : محمد ابن داود (ت ٢٩٦ هـ) قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قالوا : أبو المثنى (ت ٢٩٦ هـ) ، فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم ، قيل له : وكيف ، قال : كل واحد ممن سميتموهم متقدم في معناه على الرتبة ، والزمان مدبر ، والدنيا مولية ، وما أرى هذا إلا إلى اضمحلال ، وما أرى لمدته طولاً " (١) .

وصدقت نبوءة الإمام الطبري - رحمه الله - فقد قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة ، وأعيد المقتدر للخلافة ثانية ، واستمر حكمه بعد ذلك حتى سنة (٣١٧ هـ) حيث خرج عليه مؤنس ، الخادم التركي ، وأعوانه ، ونادوا بخلعه ثانية ، وبايعوا ابن المعتضد بالخلافة ولقبوه بالقاهر (ت ٣٣٩ هـ) ولكن الجند ثاروا وأعادوا المقتدر بالله مرة أخرى ، فأعطاهم أرزاقهم وزاد عليها .

ولكن مؤنساً لم يهدأ له بال ، حتى وكل بالخليفة رجلاً من أتباعه ، فذبحه ، وسلبه ثيابه ، وتُركت جثته مكشوفة أياماً ، سترها بعض الناس بالأعشاب ، ثم دفن في الموضع الذي قتل فيه سنة (٣٢٠ هـ)(٢)

وفي عهد المقتدر توفي الإمام الطبري - رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته - وقد بلغ من العمر خمساً وثمانين سنة (٣) .

هذا على الصعيد الداخلي ، أما على الصعيد الخارجي ، فلم يكن الوضع أحسن حالاً ، فقد كانت الحروب مستعرة نيرانها بين الدولة العباسية والبيزنطيين ، يتخللها فترات من الهدنة ، تضع فيها الحرب أوزارها ثم ما تفتأ أن تنشب مرة أخرى .

وقد شجع سوء أحوال المسلمين الداخلية البيزنطيين ، على الإغارة على بعض البلاد الإسلامية المتاخمة لهم ، فقد أغاروا على سواحل مصر ، واستولوا على دمياط ، وعاثوا فيها فساداً ، وكان ذلك سنة (٢٣٨ هـ) (٤) .

وأغاروا كذلك على شمال العراق ، مما حمل المتوكل على الانتقام منهم ، فجهز الجيوش لحربهم ، واستولى على أجزاء من بلادهم سنة (٢٤٤ هـ) (٥) ، مما حدا بالبيزنطيين إلى إعلان الهدنة في بعض

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٧٩) . البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٥٧)
(٢) المرجع نفسه (٣٨٤) .
(٣) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٨/٤٤)
(٤) انظر : تاريخ الطبري (٩/١٩٣ - ١٩٥) .
(٥) المرجع السابق (٩/٢١٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأوقات ، ومع بعض القواد الذين يعدونهم مصدر خوف لهم كأحمد بن طولون (١) .

فنلاحظ أنه رغم الضعف الذي كان سائداً في الدولة العباسية على الصعيد الداخلي إلا أن الدولة كانت تملك القدرة والقوة على صد عدوان أعدائها من البيزنطيين وغيرهم ، ليس هذا فحسب ، بل كانت عندهم القدرة على غزو أعدائهم في عقر دارهم ، مما كان يضطر أعداءهم إلى إعلان الهدنة مع المسلمين كما سبق بيانه .

في ظل هذه الأوضاع السياسية الصعبة التي جانبها الاستقرار والهدوء والذي غلب على الدولة أثناءها الضعف والفتور ، عاش إمامنا الطبري - رحمه الله .

وعلى الرغم من هذا كله ، إلا أن الدولة العباسية كانت دولة إسلامية ، تحكم بكتاب الله تعالى ، وتقضي بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان الجهاد في سبيل الله فيها قائماً ، وكانت تدعو إلى الفضيلة وهي فيها منتشرة ، وتحارب الرذيلة وهي فيها محاصرة .

---

(١) انظر : العالم الإسلامي في العصر العباسي لحسن أحمد محمود (٤٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية :

لقد كان المجتمع الإسلامي في عهد الخلافة العباسية مكوناً من خليط من أجناس متعددة ، ففيه العرب ، وفيه الفرس ، وفيه الأتراك . وكان لليهود والنصارى وجود في المجتمع الإسلامي وكانوا يتمتعون بحرية العبادة وأداء الشعائر ، وكان لتركيبة المجتمع هذه أثرها الواضح على الحياة الاجتماعية، إذ أن لكل جنس من الأجناس عاداته وتقاليده التي ينفرد بها عن غيره . ثم إن الحالة السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت من الحكم العباسي كان لها الأثر الواضح أيضاً على حياة الناس الاجتماعية .

وكان الناس في المجتمع الإسلامي في ذلك العصر - كما هي غالبية المجتمعات في القديم والحديث - ينقسمون حسب حالتهم الاقتصادية ، ومكانتهم الاجتماعية إلى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : وهي الفئة المترفة من الخلفاء والوزراء والقادة والولاة ، وأسرهم ، وكبار التجار .

الفئة الوسطى : وهم رجال الجيش ، والتجار ، والصناع ، وغيرهم ممن هم على شاكلتهم .

الفئة الدنيا : وهم عامة الناس من الزراع ، وأصحاب الحرف ، والخدم وغيرهم ، وهذه الفئة كانت تشكل غالبية المجتمع .

فهذه فئات ثلاثة ، كان أسعدها حظاً ، الفئة الأولى ، حيث كان أصحاب هذه الفئة منغمسين في النعيم ، يتمتعون بالخيرات الوفيرة ، والنعم الكثيرة ، وكان المال يتدفق عليهم من كل حدب وصوب، وكانوا ينفقون هذه الأموال على أهليهم وفي مصالحهم الخاصة في إسراف وتبذير ، إلا من رحم الله ، وكان كل ذلك على حساب أصحاب الفئة الدنيا . إذ أن هذه الأموال هي أموال عامة ، إذا صرفت في غير وجهها الصحيح ، عاد ذلك بالسلب على الناس الذين هم أحد وجوه صرف المال الصحيحة . لذا كان الناس يعيشون في فقر وفاقة ، لا يجد بعضهم قوت يومه .

ثم إن بعض الخلفاء كانوا ينفقون الأموال الكثيرة في بناء القصور والبروج ، وكان من مظاهر الترف والرفاهية في ذلك العصر أيضاً كثرة الجواري والغلمان في بيوت الفئة المترفة ، وكثرة الحديث عن الخمر وشربها ، حتى تغنى بها وبشربها بعض الشعراء الماجنين (١) .

كان لهذه الأمور كلها أثرها السلبي على حياة الناس ، فبعد أن كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً

---

(١) انظر: الإمام الطبري، ودفاعه عن عقيدة السلف للدكتور أحمد العوايشة (١/ ٢٠-٢١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محافظاً ، تظهر فيه الأخلاق الفاضلة ، ولا يجد اللاهون واللاعبون والماجنون أي مكان لهم في ذلك المجتمع الفاضل ، بدت بفعل العوامل السابقة بعض مظاهر الفساد ، وظهرت بعض الأخلاق المذمومة كالكذب والحقد والحسد والمكر والخديعة وغير ذلك ، ووجد الماجنون أمكنة يقضون فيها شهواتهم ، دونما مراقب يراقبهم ، أو رادع يردعهم ، وذلك لأن القائمين على أمور المسلمين ، والآخذين بمقاليد الحكم في الدولة كان اللعب واللهو والمجون فاشياً فيهم إلا من رحم الله تعالى .

ولم يكن استئثار الفئة المترفة بالمال دون عامة المسلمين هو السبب الوحيد لانتشار الفقر والعَوَز بين الناس ، بل هناك أسباب أخرى ، فقد حدثت بعض الكوارث الطبيعية والتي كانت سبباً آخر أدى إلى انتشار الفقر والحاجة بين الناس ، ففي عهد المتوكل هبت عاصفة شديدة على بغداد والبصرة والكوفة وغيرها من مدن العراق ، فأحرقت الزرع ، وخلت أسواق بغداد من الغذاء ، وعاش الناس في كرب شديد استمر فترة من الزمن حتى أذن الله سبحانه بالفرج (١) .

في هذا العصر من الحكم العباسي عاش إمامنا الطبري - رحمه الله - وكان له كما لغيره من علماء المسلمين الأثر البالغ في رد الناس إلى جادة الصواب بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وتبصيرهم بصراط الله المستقيم .

وفي الختام لابد من التأكيد على أنه رغم وجود بعض مظاهر اللهو والترف ، وبعض ألوان الفجور والمجون والفساد ، وخاصة في الفئة المترفة ، إلا أن طابع المجتمع كان إسلامياً ، فقد كانت الغالبية العظمى من الناس متمسكة بالآداب الإسلامية ، متحلية بالأخلاق الحميدة ، مقيمة لشعائر الله تعالى ، واقفة عند حدوده ، وكان الجهاد قائماً ، وكان جنود المسلمين يرابطون في الثغور يحمون بيضة المسلمين ، وينافحون عن دين الله ، ويرفعون رايته ، وكانت الحدود مطبقة ، إذ لا يجرؤ أحد من أصحاب الجاه والسلطان على تعطيل حكم الله ، وفي الأمة علماء مجاهدون نذروا أنفسهم وأرواحهم لله تعالى ، يقولون الحق ، ولا يخافون في قوله لومة لائم ، ولا تهديد ووعيد حاكم أو سلطان ، فالتاريخ الإسلامي حافل بالحوادث والقصص التي تبين وقوف العلماء بحزم وشجاعة أمام الخلفاء والأمراء والسلاطين يذكرونهم ويعظونهم ، ويقوّمونهم إذا اعوجوا .

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٤٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث : الحالة العلمية

إن الوضع السياسي المضطرب ، والوضع الاقتصادي الصعب ، الذي كان يغلب على ذلك العصر، لم يكن ليؤثر على الحركة العلمية ، فإن فترة حياة الإمام الطبري - رحمه الله - ، والتي امتدت ما بين سنة (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ، كانت من أعظم الفترات في حياة الأمة الإسلامية ثراء بالعلم والعلماء ، فقد بلغت الحركة العلمية أوج ازدهارها ، في شتى المجالات والتخصصات ، ويرجع ذلك إلى أسباب عدة منها: تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء ، والاحتفاء بهم ، وتقديرهم ، والتسابق في إنشاء دور العلم والمكتبات ، وفتح المدارس ، وكان بعض أهل الثراء يعدون طلبة العلم ببعض المال تشجيعاً لهم على ما هم فيه من طلب العلم ، فقد روى عن أبي زرعة (ت ٣٠٢ هـ) قاضي دمشق أنه كان يهب لمن يحفظ مختصر المزني في الفقه الشافعي مائة دينار (١) .

وكان العلم وكثرة العلماء مدعاة للتفاخر بين البلاد الإسلامية .

ففي القرن الثاني الهجري ، نضجت معظم العلوم الشرعية ، والمذاهب الفقهية ، وظهر التدوين والتصنيف ، وفي القرن الثالث الهجري وضع رجال الحديث كتبهم الستة ، فألف البخاري المتوفي سنة (٢٥٦ هـ) ، ومسلم المتوفي سنة (٢٦١ هـ) ، كتابيهما الصحيحين ، وألف ابن ماجه المتوفي سنة (٢٧٣ هـ) ، وأبو داود المتوفي سنة (٢٧٥ هـ) كتابيهما السنن ، كما ألف الترمذي المتوفي سنة (٢٧٩ هـ) كتابه الجامع الصحيح ، وألف النسائي المتوفي سنة (٣٠٣ هـ) كتابه السنن (٢) .

وقد ألفت كتب كثيرة في شتى العلوم الشرعية واللغوية ، ففي القراءات كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة (٢٢٤ هـ) ، وألف في التفسير ، والمغازي والسير ، والفقه والأصول ، وعلوم العربية من نحو ، وصرف ، وعروض ، وبلاغة ، وأدب .

يقول القلقشندي (٣) - رحمه الله- واصفاً الثروة العلمية العظيمة ، والكتب التي أضيفت إلى

---

(١) انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٩٧/٢) .　　(٢) انظر : الإمام الطبري للدكتور محمد الزحيلي (١٦) .

(٣) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري : المؤرخ الأديب البحاثة ، وهو من دار علم ، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء ، أفضل تصانيفه : صبح الأعشى في قوانين الإنشا ، له مؤلفات أخرى قيمة منها نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ومآثر الأنافة في معالم الخلافة (ت٨٢١ هـ) (الأعلام للزركلي ١٧٧/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المكتبة الإسلامية في ذلك العصر :" إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن :

إحداها : خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد ، فكان فيها من الكتب ما لا يُحصى كثرة ، ولا يقوم عَلَيْه نفاسة ، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد ، وقتل ملكهم هولاكو المعتصم آخر خلفائهم ببغداد ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمها ، وأعفيت آثارها .

الثانية : خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر ، وكانت من أعظم الخزائن ، وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم ... ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم ...

الثالثة : خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس ، وكانت من أجلّ خزائن الكتب أيضاً ، ولم تزل إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس ، فذهبت كتبها كل مذهب " (١) .

وكانت البلاد الإسلامية بلا استثناء ساحة رحبة واسعة لطلاب العلم ، وللعلماء ، يتنقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم ، ونشر المعارف وتبادلها دونما عائق يعوقهم ، أو مانع يمنعهم ، أو خطر يفل من قوتهم ويضعف من عزيمتهم المتوثبة لطلب العلم وتحصيله أينما كان .

فانتقلت بذلك المعارف الإسلامية ، وتبادل العلماء الكتب ، والمصنفات .

وفي عصر الإمام الطبري – رحمه الله – كانت البلاد الإسلامية تموج بكثير من كبار العلماء ، والفقهاء ، والأدباء ، والمؤرخين ، والمفسرين ، والمجتهدين ، واللغويين ، الذين نذروا حياتهم ، وأفنوا أعمارهم في طلب العلم ، ومن هؤلاء الأئمة الأعلام ، الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – المتوفي سنة (٢٤١ هـ) ، ومحمد بن حميد الرازي المتوفي سنة (٢٤٠ هـ) ، ومحمد بن أحمد الدولابي المتوفي سنة (٣١٠ هـ) ، وداود الظاهري المتوفي سنة (٢٧٠ هـ) مؤسس المذهب الظاهري ، وأبو سعيد الإصطخري المتوفي سنة (٣٢٨ هـ) ، وأبو كريب الهمداني المتوفي سنة (٢٤٨ هـ) ، وأبو جعفر الطحاوي المتوفي سنة (٣٢١ هـ) (٢) ، وغيرهم كثير – رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة – لو أردت ذكرهم لاحتاج ذلك إلى مئات الصفحات ، كان كل واحد من هؤلاء العلماء يجلس في مجالس العلم لتعليم الناس ، ويفد إليهم طلاب العلم من شتى الأصقاع ، لينهلوا من علومهم الكثيرة .

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الأنشا للقلقشندي (٥٣٧/١) .

(٢) انظر: الإمام الطبري للزحيلي (١٧) ، طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي (٩١) ومابعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان إمامنا أبو جعفر الطبري - رحمه الله - أنموذجاً صادقاً ، يعبر أصدق تعبير عن الحركة العلمية في تلك الحقبة الزمنية من الحكم العباسي .

وقد كان لتلك النهضة العلمية العظيمة في عصر الإمام الطبري أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية ، التي جعلت منه عالم عصره ، وفريد دهره ، موسوعة علمية مشتملة على شتى المعارف والفنون .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

حياته الشخصية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : اسمه وكنيته ونسبته ونسبه

المطلب الثاني : مولده ونشأته

المطلب الثالث : وفاته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

حياته الشخصية

المطلب الأول : اسمه وكنيته ونسبته ونسبه .

أما **اسمه** : فهو (محمد) ، وأما **كنيته** : فهي (أبو جعفر) ، ويقف الإنسان أمام هذه الكنية يتساءل عن سببها ! ولم أطلقت على الإمام الطبري – رحمه الله ؟ فإن جميع من ترجم له ، لم يذكروا عن سبب هذه الكنية شيئاً ، فالإمام الطبري – رحمه الله – كان حصوراً ، لم يتزوج النساء (١) ، ولم يكن له ولد يكنى به ، بإجماع المؤرخين ، حيث كان – رحمه الله – منقطعاً لطلب العلم ، والتأليف ، والتصنيف ، والتدريس ، وإنما تكنى بذلك التزاماً بآداب الإسلام ، وامتثالاً لسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي رغب المسلمين باتخاذ الكنى .

أما **نسبته** : فهو الطبري ، حيث ينسب إلى بلده (طبرستان) ، فقد ولد ونشأ ، وتفتح عقله ، وذهنه على مبادئ العلوم المختلفة فيها ، وابتدأ رحلته الطويلة في طلب العلم منها . وقد نسبه بعض المؤرخين إلى آمل مكان ولادته ، فيقولون :" محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري ، أبو جعفر"(٢) .

ويزيد بعض المؤرخين في نسبته ، فينسبه إلى بغداد ، البلدة التي استوطنها ، وأقام فيها ، واستمر في سكناها حتى توفاه الله تعالى فيها ، فيقولون :" محمد بن جرير بن يزيد الإمام أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي" (٣) .

أما **نسبه** : فقد اتفق المؤرخون في نسبه حتى جده ، فنسبه عندهم جميعاً هو : (أبو جعفر محمد ابن جرير بن يزيد) ، ولكنهم اختلفوا في نسبه بعد جده .

---

(١) انظر : لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (١١٧/٥) .

(٢) انظر : طبقات المفسرين للداودي (١١٠/٢) ، والفهرست لابن النديم (٢٩١) .

(٣) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١٠٦/٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكثر المؤرخين على أن « يزيد هو ابن كثير بن غالب » (١) ، وقال بعضهم : إن يزيد هو ابن خالد الطبري (٢) .

وقد مال إلى الرأى الثاني : وهو أن يزيد هو ابن خالد الطبري كلٌ من ابن خلكان ، والصفدي ، وطاش كبرى زادة ، حيث ذكروا النسبة الأولى بصيغة التضعيف ، فقالوا : وقيل يزيد بن كثير بن غالب(٣) .

ثم إن المؤرخين لم يزيدوا في نسب الإمام الطبري – رحمه الله – على اسم جد أبيه ، فهو :(محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير أو ابن خالد بن غالب الطبري) ، كما أن الإمام الطبري نفسه لم يزد في نسبه اسماً آخر على اسم أبيه ، فقال : (محمد بن جرير) .

فقد سأله سائل عن نسبه فقال : محمد بن جرير ، فقال له السائل : زدنا في النَّسب ، فأنشد قول رؤبة العجاج (ت ١٤٥ هـ) :

قد رفع العجاج ذكرى فادعني   باسمي إذا الأنساب طالت يكفني (٤) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٢/٢) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٧/١٤) ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٢٠/٣) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (٤٠/١٨) ، المحمدون من الشعراء للقفطي (١٨٧) ، الأنساب للسمعاني (٤٦/٤) ، البداية والنهاية لابن كثير (١٥٦/١١) ، تذكرة الحفاظ للذهبي (٧١٠/٢) ، طبقات المفسرين للسيوطي (٨٢) ، طبقات المفسرين للداودي (١١٠/٢) .

(٢) انظر الفهرست لابن النديم(٢٩١) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٩١/٤) ، الوافي بالوفيات للصفدي(٢٨٤/٢) ، وهداية العارفين للبغدادي (٢٦/٢)

(٣) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (١٩١/٤) ، الوافي بالوفيات للصفدي (٢٨٤/٢) ، مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة (٢٥٣/١) .

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٤٧/١٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : مولده ونشأته :

ولد الإمام الطبري في أواخر سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة (١) النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام . وذكر بعض المؤرخين أن ولادته كانت في أوائل سنة خمس وعشرين ومائتين (٢) .

وقد وقع للإمام الطبري نفسه الشك في سنة ولادته ، وبين - رحمه الله - سبب هذا الشك ، حين سأله تلميذه أبو بكر بن كامل عن سبب وقوع الشك في تاريخ مولده ، فقال : كان أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث ، فأرخ ميلادي بحدث كان ، فلما سألت عنه ، قال المخبرون : إنه كان في آخر سنة أربع وعشرين وقال آخرون إنه كان في أوائل سنة خمس وعشرين ومائتين ، فمن هنا جاء الشك (٣) .

ولد الإمام الطبري في مدينة آمل من أعمال طبرستان من أرض فارس ، ومدينة آمل هي أكبر مدينة في إقليم طبرستان ، وهي مدينة عريقة ، خرجت كثيراً من العلماء الأفذاذ ، الذين كانت لهم الرياسة في العلم .

نشأ -رحمه الله- في كنف والده ، وتربى في أحضانه ، فاسبغ عليه والده عطفه وحنانه ، وأولاه رعايته واهتمامه، وأنس فيه أبوه النباهة والذكاء والفطنة والرغبة في العلم والتعلم، فوجهه منذ صغره إلى حفظ القرآن الكريم، كما هي العادة عند المسلمين في مناهج التربية الإسلامية في ذلك العصر.

وقد شجعه على تمهيد الطريق لابنه ، لينهل من معين العلوم التي كان يموج بها عصره ، أنه رأى في منامه رؤيا ، تفاءل بها خيراً عندما أولت له ، قال الطبري - رحمه الله -:" رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعي مِخلاة مملوءة بالأحجار ، وأنا أرمي بين يديه ، ولما قصَّ رؤياه على صديقه ، قال له : إن ابنك إن كبر نصح في دين الله ، وذب عن شريعته ، فحرص

---

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٧) ، تذكرة الحفاظ (٢/٧١١) ، تاريخ بغداد (٢/١٦٦) ، طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٢٠) ، وفيات الأعيان (٤/١٩٢) ، الوافي بالوفيات (٢/٢٨٤) ، الفهرست (٢٩١) شذرات الذهب لابن العماد (٢/٢٦٠) ، الأنساب (٤/٤٧) ، المحمدون من الشعراء (١٨٩) ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٥/١١٧) ، طبقات المفسرين للسيوطي (٨٢) ، طبقات المفسرين للداودي (٢/١١٧) ، مفتاح السعادة (١/٢٥٢) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (٢/١٦٦) ، معجم الأدباء (١٨/٤٧-٤٨) ، الأنساب (٤/٤٧) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج ابن الجوزي (٦/١٧٠) .

(٣) انظر : معجم الأدباء (١٨/٤٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبي على معونتي على طلب العلم ، وأنا يومئذ صبي صغير " (١) .

وكأني بالوالد قد أخبر ولده بهذه الرؤيا ، وقصها عليه مرات ومرات ، فكانت حافزاً للإمام الطبري على طلب العلم ، والجد والاجتهاد والمثابرة فيه ، والانكباب على تحصيله والعمل به ، وإفناء عمره في طلبه ، والتصنيف فيه ، ليذب عن دين الله تعالى ، وينصح له ، لتصدق الرؤيا ، وتكون حقاً .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - :" إني حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبت الحديث وأنا في التاسعة (٢) "

عاش الإمام الطبري - رحمه الله - أعزب ، لم يتزوج النساء ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية التي بين أيدينا ، سبب عزوفه عن الزواج ، والشيء الثابت أن الإمام الطبري - رحمه الله - كان متفرغاً لطلب العلم ، منكباً على تحصيله ، رحل في طلب العلم ، وقضى معظم شبابه في السفر والترحال ، والانتقال من بلد إلى بلد ، وثبت كذلك أنه كان قليل المال في هذه الفترة من حياته، وكان يدخر ما معه من مال لمتابعة السفر ونسخ الكتب وشرائها (٣) .

وقد حاول الدكتور محمد الزحيلي في كتابه (الإمام الطبري) ، كشف اللثام عن سبب عزوف الإمام الطبري - رحمه الله - عن الزواج ، حيث قال : " وأغلب الظن أن هذا النَّهم العلمي ، والانشغال في طلب العلم ، والتفرغ له ، كان هو السبب الأساسي في عزوبته ، وعدم زواجه ؛ فالعلم يشغل صاحبه، ويمنحه متعة نادرة ، ولذة خاصة لا يدركها إلا من يجربها ، وإذا انغمس فيها الإنسان في شبابه ، خفت عنده الرغبة بالزواج ، وإذا بلغ الكهولة ، وتقدم به السن ، وألِف العزوبة ، ومجالس العلم ، زالت عنه هذه الرغبة ، وشعر بالمقابل أنها تخفف عنه تبعات الزواج والأولاد والذرية ، ليأنس بالمعارف والعلوم ، ويصاحب الكتب والمجلدات والمخطوطات ، ويشغل وقته بالمطالعة والتصنيف ، فيكثر إنتاجه ، ويغزر علمه ، ويزداد عطاؤه ، ويعم نفعه ، وهذا ما حصل مع كثير من علمائنا الأعلام ، كالطبري ، والنووي ، وغيرهما ، لذلك وصف مسلمة بن قاسم أبا جعفر الطبري فقال :" كان حصوراً ، لا يعرف النساء ، شغله طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ولم يزل طالباً للعلم ، مولعاً به ، إلى أن مات " (٤) (٥) .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٤٩/١٨) . (٢) المرجع نفسه . (٣) انظر: الإمام الطبري للدكتور محمد الزحيلي (٣١-٣٢).

(٤) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (١١٧/٥) . (٥) الإمام الطبري للدكتور محمد الزحيلي (٣٢-٣٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث : وفاتـــــه :

استقر الإمام الطبري - رحمه الله - في آخر حياته ببغداد ، أعظم مركز للثقافة الإسلامية ، والعلم في ذلك الوقت ، يؤدي رسالته ، وينصح لدين الله عز وجل ، ويذب عن شريعته حتى وافاه الأجل المحتوم الذي لا مفر منه في بغداد في اليوم السادس والعشرين من شوال سنة ثلاثمائة وعشر للهجرة ، (٩٢٣م) ، على الصحيح ، وكانت وفاته في عصر المقتدر بالله ، ودفن - رحمه الله - في داره الواقعة برَحْبة يعقوب ببغداد (١) .

ذهب بعض المؤرخين إلى أن وفاة الإمام الطبري - رحمه الله - كانت سنة ثلاثمائة وإحدى عشرة ، أو ثلاثمائة وست عشرة ، وهي أقوال مرجوحة عند أكثر العلماء (٢) .

وقد اختلف المؤرخون في يوم وفاته ، واليوم الذي دفن فيه ، فذهب بعضهم إلى أنه توفي يوم السبت بالعشي ، ووورى في قبره يوم الأحد بالغداة لأربع بقين من شوال سنة ثلاثمائة وعشر في داره برحبة يعقوب في ناحية باب خراسان (٣) .

وذهب آخرون إلى أنه توفي يوم الأحد ليومين بقيا من شوال ، ودفن يوم الإثنين من غد ذلك اليوم وقد أضحى النهار (٤) .

وذهب فريق إلى أنه توفي يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من شوال سنة (٣١٠هـ) (٥) .

وذهب آخرون إلى أنه توفي في الخامس من شوال سنة (٣١٠ هـ) ولم يذكر اليوم الذي مات فيه ، ولا اليوم الذي دفن فيه (٦) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٦/٢) ، طبقات الشافعية الكبرى (١٢٦/٣) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٩٢/٤) ، تذكرة الحفاظ (٧١٥/٢) ، معجم الأدباء (٤٠/١٨) ، طبقات المفسرين للداودي (١١٧/٢) .

(٢) انظر : معجم الأدباء (٥٤/١٨) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١٦٦/٢) ، المعمدون من الشعراء للقفطي (١٨٩) وفيات الأعيان (١٩٢/٤) ، الوافي بالوفيات للصفدي (٢٨٤/٢) ، الأنساب (٤٧/٤) ، طبقات المفسرين للداودي (١١٧/٢) ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢٥٣/١) .

(٤) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٨٢/١٤) ، تذكرة الحفاظ (٧١٥/٢) ، البداية والنهاية (١٥٧/١١) ، طبقات المفسرين للسيوطي (٨٣) ، طبقات المفسرين للداودي (١١٧/٢) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (١٧٢/٦) .

(٥) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١٠٨/٢) .

(٦) انظر : اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري (٢٧٤/٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر الذهبي رواية عن وفاة الإمام الطبري - رحمه الله - عن أبي بكر الدينوري أنه قال : " لما كان وقت صلاة الظهر من يوم الإثنين الذي توفي في آخره ابن جرير ، طلب ماء ليجدد وضوءه ، فقيل له : تؤخر الظهر لتجمع بينها وبين العصر ، فأبى ، وصلى الظهر مفردة ، والعصر في وقتها أتم صلاة وأحسنها ، وحضر وقت موته جماعة من أصحابه ، منهم أبو بكر بن كامل ، فقيل له قبل خروج روحه : يا أبا جعفر ، أنت الحجة فيما بيننا وبين الله تعالى فيما ندين به ، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا وتبينه لنا نرجو به السلامة في معادنا ؟ فقال : الذي أدين الله به ، وأوصيكم هو ما بينت في كتبي فاعملوا به وعليه ، وكلاماً هذا معناه : وأكثر من التشهد ، وذكر الله - عز وجل - ومسح يده على وجهه ، وغض بصره بيده ، وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا " (١) .

وأجمع المؤرخون على أن وفاة الإمام الطبري كانت ببغداد ، وأنه دفن فيها ، لكن ابن خلكان ذكر أنه رأى بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبراً يزار ، وعند رأسه حجر مكتوب عليه « هذا قبر ابن جرير الطبري » والناس يقولون : إنه صاحب التاريخ المشهور ، ثم قال ابن خلكان :" إن هذا ليس بصحيح بل الصحيح أنه دفن ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في تاريخه المختص بالغرباء : إنه توفي ببغداد " (٢) .

قال ابن كثير :" ولما توفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد ، وصلوا عليه بداره ، ودفن بها ، ومكث الناس يترددون إلى قبره شهوراً يصلون عليه " (٣) .

وقد تأثر الناس على وفاته - رحمه الله - وحزنوا لفقده ، فقد كان مشعل نور بينهم يضئ لهم الطريق ، وينير لهم السبيل .

وقد رثاه كثير من الخطباء والأدباء ، والشعراء وأهل الدين .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٤) .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (١٩٢/٤) .

(٣) البداية والنهاية (١٥٧/١١) ، وانظر : المعمدون من الشعراء (١٨٩) ، ومعجم الأدباء (٤٠/١٨) .

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

حياته العلمية

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : رحلاته في طلب العلم

المطلب الثاني : شيوخه

المطلب الثالث : تلاميذه

المطلب الرابع : علمه وآثاره

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

حياته العلمية

المطلب الأول : رحلاته في طلب العلم :

إن الرحلة في طلب العلم أمر معهود في حياة العلماء ، فقد كانوا يقطعون المسافات الطويلة ، ويكابدون مشاق السفر والترحال من أجل سماع حديث ، أو مسألة علمية ، أو لقاء أحد العلماء ، وكانت عواصم الأقاليم الإسلامية مراكز إشعاع ونور وحضارة يقصدها طلاب العلم ، ليتزودوا من علوم أهلها .

وإمامنا الطبري - رحمه الله - قضى سنوات حياته الأولى متنقلاً بين مدن إقليم طبرستان ، يلتقي بالعلماء، ثم اتجه إلى الري وما جاورها، ليأخذ العلم من علماء الحديث، واللغة ، والفقة، والتفسير.

بدأ الإمام الطبري - رحمه الله - الرحلة في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وقيل بعد ذلك ، فجاب الآفاق ، وأكثر التنقل من بلد إلى بلد (١) .

قال ابن كامل (٢) :" فأول ما كتب الحديث ببلده ثم بالري ، وما جاورها ، وأكثر من الشيوخ ، حتى حصل كثيراً من العلم ، وأكثر من محمد بن حُميد الرازي ، ومن المثنى بن إبراهيم الأُبُلّي ، وغيرهما " (٣) .

وقد حدث الإمام الطبري - رحمه الله - عن نفسه فقال :" كنا نكتب عن محمد بن حمُيد الرازي ، فيخرج إلينا في الليل مرات ، ويسألنا عما كتبناه ، ويقرؤه علينا " قال :" وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدُولابي ، وكان في قرية من قرى الريّ ، بينها وبين الري قطعة ، ثم نغدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه " (٤) .

---

(١) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (١٠٧/٢) لسان الميزان (١١٧/٥) ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٤٥/٣) .

(٢) هو أحمد بن كامل بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد ، القاضي البغدادي ، ويكنى أبا بكر ، كان من العلماء بأيام الناس ، والأحكام ، وعلوم القرآن ، والنحو ، والشعر ، له تآليف في الفقه (ت ٣٥٠ هـ) (غاية النهاية في طبقات القراء ٩٨/١) .

(٣) معجم الأدباء (٤٩/١٨) ، وانظر : تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (٥١٩/١) .

(٤) معجم الأدباء (٤٩/١٨ - ٥٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ياقوت " ويقال : إنه كتب عن ابن حُميد فوق مائة ألف حديث ، قال أبو جعفر : كان يقرأ علينا ابن حُميد من التفسير " (١) .

وقد أخذ الإمام الطبري فقه العراق عن محمد بن مقاتل الرازي (٢) .

ذاق الإمام الطبري حلاوة العلم والتعلم ، فازداد حبه للعلم ، وازداد طموحه للقاء العلماء خارج دائرة بلاد فارس ، ليتجه إلى العراق وما وراءها من البلاد الإسلامية التي تموج بالعلماء الأفذاذ الذين يُرتحل إليهم ، ليُنهل من علمهم الغزير .

اتجه الإمام الطبري - رحمه الله - إلى العراق وكله شوق ومحبة للقاء علمائها الأجلاء وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - الذي ذاع صيته ، وتناقل الركبان أخبار علمه ومجالسه ، ولكن المنية عاجلت الإمام أحمد ، فتوفي - رحمه الله - قبل أن يصل الإمام الطبري إليها . فأقام فيها بعد وصوله إليها فترة من الوقت ، كتب عن شيوخها ، وأكثر الأخذ عنهم ، وسمع الحديث من علمائها ، وأخذ الفقه عن فقهائها على مختلف المذاهب (٣) .

ثم اتجه - رحمه الله - إلى البصرة ليسمع الحديث ، ويتلقى العلم عمن فيها من الشيوخ كمحمد ابن موسى الحرَشيّ ، وعماد بن موسى القزاز ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، وبشر بن معاذ ، وأبي الأشعث ، ومحمد بن بشار بن بُنْدار ، ومحمد بن المُعنّى أو المعلى (٤) .

ثم انتقل إلى واسط ، وسمع الحديث والعلوم من بعض شيوخها (٥) .

وما زال الأمام أبو جعفر - رحمه الله - رغم ما حصّل من العلوم والمعارف يشعر بالحاجة إلى المزيد من ذلك النبع الذي لا ينضب ، ويدفعه طموحه للمزيد إلى الرحيل من واسط إلى الكوفة ليسمع من علمائها ، ويكتب عنهم ، فالتقى فيها بأبي كريب (محمد بن العلاء الهمداني) ، وهناد بن السَّريّ ، وإسماعيل بن موسى ، وغيرهم ، حيث سمع منهم ، وكتب الحديث عنهم ، وأخذ القراءات عن سليمان ابن حماد الطلحي (٦) .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٨/٤٩-٥٠) . (٢) انظر : الفهرست لابن النديم (٢٩١) ، الطبري للحوفي (٣٤) .

(٣) انظر : معجم الأدباء (١٨/٥٠) . (٤) انظر : المرجع نفسه . (٥) انظر : المرجع نفسه (١٨/٥١) .

(٦) انظر : معجم الأدباء (١٨/٥١) ، الطبري للحوفي (٣٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن طوف الإمام الطبري - رحمه الله - بالبصرة وواسط والكوفة ، وأخذ العلوم المتنوعة عن علمائها ، رجع ثانية إلى بغداد ، وأقام فيها مدة من الزمن درس فيها علوم القرآن ، وتلقى علم القراءات عن أحمد بن يوسف التغلبي ، ودرس الفقه الشافعي على الحسن بن محمد الصباح الزعفراني وكتب عنه كتاباً في الفقه ، ودرس على أبي سعيد الإصطخري ، ودرس الفقه الظاهري على داود بن علي مباشرة ، وذاع صيته في بغداد ، وشهد بفضله وعلمه العلماء (١) .

وطرق سمعه أخبار علماء مصر ، فعزم على السفر إليها ، فجهز نفسه لهذه الرحلة الطويلة الشاقة ، وسار على بركة الله تعالى ، تحفه عناية الله ، ويكلؤه الله برعايته وحفظه ، وعرج وهو في طريقه إلى مصر على الشام ، وزار بعض المدن ، وأخذ القرآن الكريم برواية الشاميين عن العباس بن الوليد المقرئ البيروتي ، وأقام مدة في بيروت يلتقي به ، ثم واصل طريقه إلى مصر (٢) .

وصل - رحمه الله - مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، في أوائل عهد أحمد بن طولون ، وصار إلى الفسطاط ، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم ، فاكثر عنهم الكتابة ، وأفاد منهم إفادة كبيرة ، وأخذ فقه الإمام مالك على تلاميذ أبي محمد عبد الله بن وهب ، وهم يونس بن عبد الأعلى ، وبنو عبد الحكم : محمد وعبد الرحمن وسعد ، وابن أخي ابن وهب ، كما درس فقه الإمام الشافعي على تلاميذه ، كالربيع ابن سليمان المرادي ، والربيع بن سليمان الأزدي الجيزي ، وإسماعيل بن يحيى بن إبراهيم المزني ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم الذي جمع بين مذهب مالك ومذهب الشافعي .

والتقى يونس بن عبد الأعلى الصدفي ، وأخذ عنه قراءة حمزة وورش ، وكان بمصر وقت دخوله إليها أبو الحسن علي بن سراج البصري ، وكان أديباً فاضلاً ، يقصده من دخل الفسطاط من أهل العلم .

وتناهت إلى سمعه أخبار الطبري وشهرته وبان فضله وعلمه بالقرآن الكريم ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، والشعر ، وغيرها من العلوم ، وسأله عن شعر الطِّرماح ، وكان الطبري يحفظه عن ظهر قلب ، فوجده فاضلاً واسع العلم في كل ما يذاكره به من الأدب والعلم والشعر (٣) .

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت (٥٣/١٨) ، الأعلام للزركلي (٣١٢/٢) ، الفهرست لابن النديم (٢٩١) ، والطبري للحوفي (٣٦) .

(٢) انظر : طبقات المفسرين للداودي (١١٠/٢) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (١٠٧/٢) ، معرفة القراء الكبار (٢٦٥/١) ، الطبري للحوفي (٣٧) .

(٣) انظر : معجم الأدباء (٥٣/١٨) ، غاية النهاية في طبقات القراء (١٠٧/٢) الفهرست (٢٩١) طبقات المفسرين للداودي (١١٢/٢) ، الطبري للحوفي (٣٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودرس الإمام الطبري العروض بمصر بعد أن سئل عنه ، وأصبح عروضياً (١) .

واتفق أنه جمعت الرحلة إلى مصر بين محمد بن جرير الطبري ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر المروزي ، ومحمد بن هارون الرُّوياني ، فأرملوا وافتقروا ، ولم يبق عندهم ما يقوتُهم ، وأضر بهم الحال ، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، واتفقوا على أن يستهموا ، فمن خرجت عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الطعام فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق ابن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة ، فاندفع بالصلاة ، فإذا هم بالشموع وَخِصيٍّ من قبل والي مصر يدق الباب ، فأجابوه ، وفتحوا له الباب ، فقال أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هذا ، وأشاروا إليه ، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً ، ودفعها إليه ، وقال أيكم محمد بن جرير ؟ فقيل : هذا فدفع إليه خمسين ديناراً ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ فقيل : هذا ، فدفع إليه مثلها، ثم قال أيكم محمد بن إسحاق ابن خزيمة ؟ فقيل : هو ذا يصلي ، فلما فرغ من صلاته دفع إليه صرة فيها خمسون ديناراً ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً (٢) فرأى في المنام خيالاً ، أو طيفاً يقول له : إن المحامد طوَوْا كَشْحَهُم (٣) جياعاً فبعث بهذه الصرر ، وهو يقسم عليكم إذا نفدت أن تبعثوا إليه ليزيدكم (٤) .

فانظر - رحمك الله - كيف نجاهم الله جلت قدرته بهذا الرزق الذي ساقه إليهم من ذل المسألة ، وهم العلماء الأجلاء الذين ما خرجوا من ديارهم إلا ابتغاء وجه الله تعالى ، وصدق ربُّنا حيث يقول **[ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً]** (٥) .

وبعد هذه الرحلة العلمية الطويلة ، وهذا التطواف في البلاد بحثاً عن العلم والعلماء يمم الإمام الطبري وجهه تلقاء بلده ، وقد عاوده الحنين إليها .

وفي طريق عودته إلى بلده ، قصد بغداد ، وكتب فيها العلم ، ثم واصل طريقه إلى طبرستان ثم إلى مسقط رأسه أمل ديار آبائه ، والبلدة التي تفتح ذهنه على العلم والتعلم فيها ، رجع إليها بعد هذه

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥٦/١٨) .

(٢) أي نائماً في وقت القيلولة ، وهي نصف النهار .

(٣) أي خمصت بطونهم من الجوع .

(٤) انظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٥/٢) ، معجم الأدباء (٤٦/١٨) ، طبقات المفسرين للداودي (١١١/٢-١١٢) .

(٥) سورة الطلاق : الآية (٢، ٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغيبة الطويلة عنها ، وشتان بين خروجه منها وهو التلميذ الباحث عن العلم ، ورجوعه إليها وهو العالم المتمكن المتبحر في علوم كثيرة ، العالم الذي ذاع صيته ، وفاح شذاه ، وشهد له القاصي والداني من العلماء برسوخ قدمه في العلم .

كانت هذه الزيارة لطبرستان هي أول زيارة لها بعد أن فارقها مرتحلاً في طلب العلم .

لم يمكث الإمام الطبري – رحمه الله – في بلده رغم غربته الطويلة عنها طويلاً ، حتى رجع إلى بغداد ، ونزل في قنطرة البرَدان ، واشتهر اسمه بين الناس بالتمكن والرسوخ في العلم (١) ، ثم عاد ثانية إلى طبرستان سنة (٢٩٠ هـ) ، ومكث فيها قليلاً ، ثم رجع إلى بغداد مرة أخرى واستوطنها حتى وافاه الأجل فيها (٢) .

يتبين مما سبق أن الإمام الطبري – رحمه الله – أمضى حياته مسافراً من بلد إلى بلد طالباً للعلم ، وأنه تلقى العلم في فترة حياته من علماء عصره الأفذاذ ، وأنه لم يقتصر في أخذه عن الشيوخ على علم بعينه بل كان أخذه للعلوم المتنوعة ، فقد درس الفقه ، والحديث ، والقراءات ، وعلوم القرآن ، واللغة ، والنحو ، والعروض ، وغيرها من العلوم .

وقد صدق عليه المثل القائل اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ، فقد قضى حياته كلها في طلب العلم ، منذ نعومة أظفاره إلى أن بلغ من الكبر عتياً . فكان بحق عالم عصره ، ونابغة زمانه ، يرجع إليه في الفتوى ، ويلجأ إليه لتذليل كل صعب ، وتسهيل كل عسير ، ويرتحل إليه طلاب العلم من شتى البلاد لينهلوا من علومه الكثيرة الغزيرة ، وليتأسوا بأخلاقه الكريمة الرفيعة ، فهو مثال للعالم العامل بعلمه ، والذي أضفى عليه علمه هيبة ووقاراً ، ورزانة ، وتواضعاً .

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥٦/١٨) ، الطبري للحوفي (٤٠) .

(٢) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥٦/١٨) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٢/٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : شيوخه :

خلال الحياة الطويلة التي أمضاها الإمام الطبري - رحمه الله - في طلب العلم ، وفي رحلاته الكثيرة التي طوف فيها في البلاد والأقاليم الإسلامية ، منبع الحضارة ، ومنارات العلم والمعرفة ، التقى بالمئين من العلماء الأعلام الذين تتلمذ عليهم ، وكان لهؤلاء العلماء الأثر الكبير في تكوين شخصيته العلمية الرائدة .

فقد التقى - رحمه الله - بأئمة التفسير والحديث والقراءات والفقه في عصره وسمع منهم ، وكتب عنهم كثيراً من العلوم .

ولا أستطيع في هذه العجالة ذكر جميع شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ، فهم كثيرون تصعب الإحاطة بهم ، وسأكتفي بذكر أشهر شيوخه الذين التقى بهم من بداية حياته العلمية وخلال رحلاته الطويلة ، مع ذكر ترجمة موجزة لكل واحدٍ منهم :

أخذ الإمام الطبري - رحمه الله - العلم في الري على عدد من العلماء منهم :

* أحمد بن حماد بن سعد ، أوسعيد بن مسلم ، أبو محمد الأنصاري الرازي الدولابي ، المحدث ، الإخباري ، كتب عنه الطبري كتاب المبتدأ والمغازي عن سلمة بن المفضل عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة ، وعليه بنى الطبري تاريخه (١) .

* محمد بن حميد بن حيان ، أبو عبد الله الرازي الحافظ ، قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : لا يزال بالري علم ما دام محمد بن حميد حياً ، سمع الإمام الطبري الحديث منه ، ورواه عنه ، وقد صرح الطبري - رحمه الله - بأنه كان يكتب عن محمد بن حميد الرازي ، ويسأله عما كتبه ، ويقرؤه عليه . كما كان يقرأ عليه التفسير كذلك ، ذكر ابن كامل أن الطبري أكثر من الكتابة عنه ، ويقال :" إنه كتب عنه مائة ألف حديث ، توفي - رحمه الله - سنة ثمان وأربعين ومائتين للهجرة (٢) .

* محمد بن مقاتل الرازي ، ذكر ابن حجر أن الإمام الطبري روى الحديث عنه ، وقال ابن النديم :"إن الإمام الطبري -رحمه الله- أخذ عن ابن مقاتل فقه أهل العراق بالري توفي -رحمه الله- سنة ثمان

---

(١) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٨/٥٠) .

(٢) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١١١/٩) ، تذكرة الحفاظ (٤٩٠/٢) ، تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، معجم الأدباء (٤٩/١٨) ، الأنساب (٤٦/٤)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأربعين ومائتين للهجرة (١) .

ومن شيوخ الإمام الطبري الذين تلقى عنهم العلم في البصرة :-

* أبو الأشعث : أحمد بن المقدام بن سليمان بن الأشعث بن أسلم العجلي البصري الإمام المحدث ، ذكر ياقوت أن الإمام الطبري سمع منه الحديث بالبصرة ، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وخمسين ومائتين للهجرة (٢) .

* بشر بن معاذ العقدي : أبو سهل البصري الضرير ، روى عن أبي عوانة وأبي داود الطيالسي ، وحماد بن زيد وغيرهم ، وروى عنه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وغيرهم ، سمع الإمام الطبري الحديث منه في البصرة ، ورواه عنه ، توفي - رحمه الله - سنة خمس وأربعين ومائتين ، أو قبلها بقليل ، أو بعدها بقليل (٣) .

* عمران بن موسى بن حبان القزاز الليثي ، أبو عمر البصري ، ذكر ابن النديم وياقوت أن الإمام الطبري سمع الحديث منه في البصرة ، ورواه عنه ، غير أنه جاء في معجم الأدباء باسم عماد بن موسى القزاز ، والظاهر أن ذلك تصحيف عن عمران ، توفي - رحمه الله - بعد الأربعين ومائتين (٤) .

* محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري ، النساج الإمام الحافظ ، أبو بكر الشهير ببندار ، كان عالماً يحدث بالبصرة ، متقناً مجوداً ، لم يرحل براً بأمه ، ثم رحل بعدها ، سمع الطبري الحديث منه، ورواه عنه ، توفي - رحمه الله - في رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين للهجرة (٥) .

* محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، أبو عبد الله البصري ، روى عن سفيان بن عيينة ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وغيرهما ، وروى عنه الستة إلا البخاري ، ذكر ياقوت أن الطبري سمع منه الحديث بالبصرة ، توفي - رحمه الله - سنة خمس وأربعين ومائتين (٦) .

وتلقى الإمام الطبري - رحمه الله - العلم في الكوفة على كثير من علمائها منهم :-

---

(١) انظر : لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٤٣٩/٥) ، الفهرست (٢٩١) .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب (٧٠/١) ، معجم الأدباء (٥٠/١٨) .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب (٤٠١/١) ، الفهرست (٢٩١) ، معجم الأدباء (٥٠/١٨) .

(٤) انظر : المرجع نفسه (١٢٥/٨) ، الفهرست (٢٩١) ، معجم الأدباء (٥٠/١٨) .

(٥) انظر : تهذيب التهذيب (٦١/٩) ، تذكرة الحفاظ (٥١١/٢) ، الأنساب (٤٦/٤) .

(٦) انظر : تهذيب التهذيب (٢٥٧/٩) ، معجم الأدباء (٥٠/١٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* أبو العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) : هو أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار ، أبو العباس الشيباني البغدادي ، العالم اللغوي الأديب الكبير ، والنحوي الكوفي الشهير ، شيخ اللغة العربية ، وإمام نحاة الكوفة ، صنو المبرد ومنافسه ، صاحب كتاب المجالس ، وكتاب الفصيح ، وغيرهما ، قرأ عليه الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عنده بمدة طويلة ، توفي - رحمه الله - سنة إحدى وتسعين ومائتين للهجرة (١) .

* أحمد بن يوسف التغلبي ، أبو عبد الله البغدادي ، روى القراءة عن ابن ذكوان أحد رواه ابن عامر الشامي ، ورواها سماعاً عن أبي عبيد القاسم بن سلام ، وروى عنه القراءة ابن مجاهد ، وموسى ابن عبد الله الخاقاني وغيرهما ، روى عنه الطبري القراءة والحروف سماعاً ، توفي - رحمه الله - سنة ثلاث وسبعين ومائتين للهجرة (٢) .

* أحمد بن منيع ، أبو جعفر البغوي البغدادي الأصم ، الحافظ الحجة ، صاحب المسند المعروف ، حدث عن هشيم ، وعباد بن العوام ، وعبد العزيز بن أبي حاتم وغيرهم ، وروى عنه الستة ، أخذ الإمام الطبري عنه الحديث ، توفي - رحمه الله - سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة (٣) .

* إسحاق بن أبي إسرائيل ، أبو يعقوب بن إبراهيم المروزي ، الإمام الحافظ الكبير ، محدث بغداد ، روى عنه أبو داود ، والبخاري في الأدب المفرد ، والبغوي وغيرهم ، سمع ابن جرير الحديث منه ، وحدث عنه ، توفي - رحمه الله - سنة خمس وأربعين ومائتين (٤) .

* الحسن بن محمد بن الصباح ، أبو علي البغدادي الزعفراني ، الإمام الجليل ، المحدث الفقيه الثقة الثبت ، أحد رواة مذهب الشافعي القديم ، توفي - رحمه الله - سنة ستين ومائتين (٥) .

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (٢٠٤/٥) ، تذكرة الحفاظ (٦٦٦/٢ - ٦٦٧) ، معجم الأدباء (٦٠/١٨) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (٢١٨/٥) ، غاية النهاية في طبقات القراء (١٥٢/١ ، ١٠٧/٢) ، طبقات المفسرين للداودي (١١٤/٢) .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب (٧٢/١) ، تاريخ بغداد (١٦٠/٥ ، ١٦٢/٢) ، الأنساب (٤٦/٤) ، تذكرة الحفاظ (٤٨١/٢) ، طبقات المفسرين للداودي (١١١/٢) .

(٤) انظر : تاريخ بغداد (١٦٢/٢) ، تذكرة الحفاظ (٤٨٥/٢ ، ٧١٠) تهذيب التهذيب (١٩٥/١) .

(٥) انظر : تذكرة الحفاظ (٥٢٥/٢) ، تاريخ بغداد (٤٠٧/٧) ، طبقات الشافعية الكبرى (١١٤/٢) الفهرست (٢٩١) .

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* داود بن علي بن خلف ، أبو سليمان الظاهري الأصبهاني الأصل ، الشهير بداود الظاهري ، الإمام صاحب المذهب المعروف بالمذهب الظاهري ، صنف التصانيف الكثيرة . قال الذهبي :" كان بصيراً بالحديث صحيحه وسقيمه " ، وقال الخطيب :" كان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً وفي كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جداً " . قال ثعلب :" كان عقل داود أكثر من علمه " ، ذكره ابن النديم ضمن شيوخ الطبري ، حيث قرأ عليه الفقه ، لزم الإمام الطبري داود مدة ، وكتب من كتبه كثيراً ، وتناظر معه ، ورد عليه ، توفي - رحمه الله - سنة سبعين ومائتين للهجرة (١) .

* الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار ، أبو سعيد الإصطخري ، قاضي قم ، أحد الأئمة المذكورين ، ومن شيوخ وفقهاء الشافعية ، كان ورعاً زاهداً متقللاً ، درس الإمام الطبري عليه فقه الشافعي بالعراق ، توفي - رحمه الله - ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة للهجرة (٢) .

ومن شيوخ الإمام الطبري في الشام :-

* العباس بن الوليد بن مزيد العذري ، أبو الفضل البيروتي ، الإمام المقرئ ، قرأ الإمام الطبري عليه القرآن وأخذ عنه الحروف في بيروت ، توفي - رحمه الله - سنة سبعين ومائتين للهجرة (٣) .

* إبراهيم بن يعقوب السعدي الحافظ أبو إسحاق الجوزجاني ، نزيل دمشق ومحدثها ، تفقه بمذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وحدث عنه أبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وأبو زرعة ، وغيرهم ، كان من الحفاظ الثقات المصنفين ، ألف كتباً في الضعفاء ، قال الذهبي :" إن الإمام الطبري - رحمه الله - حدث عنه " توفي - رحمه الله - سنة تسع وخمسين ومائتين للهجرة (٤) .

وتتلمذ الإمام الطبري - رحمه الله - في مصر على عدة شيوخ منهم :-

* أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي ، مولاهم البصري ، بحشل أبو عبد الله بن أخي عبد الله بن وهب ، روى عن الشافعي ، وإسحاق بن الفرات وآخرين ، وروى عنه مسلم وابن

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي (٥٧٢/٢) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٦٩/٨) ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٨٤/٢) ، لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٥١٧/٢) ، الفهرست لابن النديم (٢٩١) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (٧٨/١٨) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢٣٠/٣) ، تاريخ بغداد (٢٦٨/٧) ، معجم الأدباء (٥٢/١٨) ، طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي (١١١) .

(٣) انظر : تهذيب التهذيب (١١٥/٥) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٣٥٥/١ ، ١٠٧/٢) ، معرفة القراء الكبار (٢٦٥/١) .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ (٥٤٩/٢) ، تهذيب التهذيب (١٥٨/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خزيمة ، وأبو حاتم الرازي وآخرون ، حدث عنه الإمام الطبري - رحمه الله - وأخذ عنه فقه الإمام مالك في مصر ، توفي - رحمه الله - سنة أربع وستين ومائتين للهجرة (١) .

* إسماعيل بن إبراهيم ، أو ابن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق ، أبو إبراهيم المزني ، الإمام الجليل ، صاحب الإمام الشافعي ، قال الإمام الشافعي في وصفه :" لو ناظره الشيطان لغلبه ، كان زاهداً ، ورعاً ، متقللاً من الدنيا ، مجاب الدعوة ، لقيه الإمام الطبري - رحمه الله - بمصر ، وأخذ عنه فقه الإمام الشافعي ، وتباحثا في بعض القواعد الأصولية وتناظرا في بعض المسائل الفقهية ، توفي -رحمه الله - سنة أربع وستين ومائتين للهجرة (٢) .

* الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل ، أبو محمد مولى بني مراد ، المؤذن الحافظ الإمام ، محدث الديار المصرية ، صاحب الشافعي ، وناقل فقهه ، وهو أوثق رواة كتبه عنه ، روى عنه أصحاب السنن ، قال ابن النديم :" أخذ الطبري مذهب الشافعي الجديد عنه بمصر " ، توفي - رحمه الله - سنة سبعين ومائتين للهجرة (٣) .

* سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أبو عمر الفقيه المالكي ، روى عن وهب بن راشد ، وعلي بن جعفر بن محمد ، وعبد الملك بن الماجشون ، وروى عنه ابن أبي حاتم ، وابن خزيمة وآخرون ، أخذ عنه الإمام الطبري -رحمه الله- فقه الإمام مالك بمصر، توفي -رحمه الله- سنة ثمان وستين ومائتين للهجرة(٤).

* عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، أبو القاسم ، وهو أخو سعد الذي سبق ذكره ، روى عن أبيه وعن ابن الماجشون ، وابن بكير القعنبي ، وعن جماعة من أصحاب مالك ، وروى عنه النسائي ، وأبو حاتم ووثقه ، وهو صاحب كتاب (فتوح مصر) ، أخذ الإمام الطبري عنه فقه الإمام مالك بمصر ، توفي -رحمه الله - سنة سبع وخمسين ومائتين للهجرة (٥) .

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٤٧/١) ، الفهرست لابن النديم (٢٩١) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٨/١٤) .

(٢) انظر : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩٣/٢ - ٩٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥٢/١٨) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (١٣٢/٢) ، الفهرست (٢٩١) تذكرة الحفاظ (٥٨٦/٢ - ٥٨٧) .

(٤) انظر : الفهرست (٢٩١) ، ترتيب المدارك للقاضي عياض (١٦٦/٤) .

(٥) انظر : الفهرست (٢٩١) ، ترتيب المدارك (١٦٥/٤) ، الأعلام للزركلي (٢١٣/٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أبو عبد الله المصري الإمام ، الحافظ ، فقيه عصره ، وهو أخو سعد وعبد الرحمن اللذين سبق ذكرهما ، روى عن ابن وهب والشافعي ، وإسحاق بن الفرت وتفقه بأبيه ، وبالشافعي ، قال السيوطي :" أخذ محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فقه مالك عن ابن وهب ، وأشهب ، فلما قدم الشافعي مصر ، صحبه وتفقه به ، فلما مات الشافعي ، رجع إلى مذهب مالك ، وكان فقيه مصر في عصره على مذهب الإمام مالك ، ورسخ في مذهب الشافعي ، أخذ عنه الطبري فقه الإمام مالك، توفي – رحمه الله – سنة ثمان وستين ومائتين للهجرة (١) .

* يونس بن عبد الأعلى أبو موسى الصدفي المصري ، عالم الديار المصرية ، الإمام الحافظ المقرئ قرأ القرآن على ورش وغيره ، سمع من سفيان بن عيينة ، والوليد بن مسلم ، وابن وهب والشافعي ، أخذ القراءة عنه ابن خزيمة ، وحدث عنه النسائي ، ومسلم ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم ، وآخرون . ذكر ابن النديم أن الإمام الطبري أخذ عنه فقه الإمام مالك بمصر ، وقال ياقوت وابن الجوزي والداودي وابن حجر :" إنه أخذ القراءة عن يونس سماعاً بمصر " ، توفي – رحمه الله – سنة أربع وستين ومائتين للهجرة(٢)

---

(١) انظر : تهذيب التهذيب (٩/٢٣٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/٥٤٦) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/٦٧) ، الفهرست (٢٩١) .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ (٢/٥٢٧) ، تهذيب التهذيب (١١/٣٨٧) ، معرفة القراء الكبار (١/١٨٩ ، ٢٦٤) ، الفهرست (٢٩١) ، معجم الأدباء (١٨/٦٦) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/١٠٧) ، طبقات المفسرين للداودي (٢/١١٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث : تلاميـــــذه

بعد أن طوف الإمام الطبري – رحمه الله – البلاد يطلب العلم ، حصل على طلبته منه ، فأصبح عالماً نحريراً ، وبحراً زاخراً بالعلم والمعرفة ، يستنار بعلمه ، ويتأسى بأخلاقه ، وذاع صيته ، وسار الركبان باخباره وسيرته ، فقصده طلاب العلم من كل مكان ، لينهلوا من علومه الجمة الكثيرة المتنوعة ، وحري بعالم كالإمام الطبري – رحمه الله – الذي أمضى عمره كله في طلب العلم ، أن يكون له تلاميذ ، يسمعون منه ويأخذون العلم عنه وينشرونه بين الناس ، وهذا ما كان فعلاً .

كان للإمام الطبري – رحمه الله – عدد كبير من التلاميذ ، لا يحصرهم عدد لكثرتهم ، وسأقتصر في هذه العجالة على ذكر أشهر تلاميذه الذين طالت ملازمتهم له ، ودرسوا العلم عليه ، وتصدروا لنشره والدفاع عنه ، والمنافحة من أجله . ومن هؤلاء :

* أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، أبو بكر التميمي البغدادي ، الحافظ الشهير بابن مجاهد ، كان شيخ القراء في وقته ، وهو أول من سبع السبعة ، فألف كتابه المشهور (السبعة في القراءات) ، سمع قراءة ابن جرير فأعجب بها ، وقال :" ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر ، وسمع منه حديث أبي هريرة في البسملة ، وقد حرص ابن مجاهد على أن يسمع من الإمام الطبري -رحمه الله – رواية ورش عن نافع من طريق يونس بن عبد الأعلى عنه منفرداً ، فأبى الإمام الطبري إلا أن يسمعها منه مع الناس .

وكان ابن مجاهد كثيراً ما يترحم على الإمام الطبري ويثني عليه ، ولا يجري ذكره إلا فضله ، ويعده من كبار الشيوخ والأئمة .

قال ابن الجزري :" إنه دلس اسم ابن جرير حين روى عنه قراءة نافع وسماه محمد بن عبد الله ".

وهذا غريب من ابن مجاهد -رحمه الله- ، توفي -رحمه الله – سنة أربع وعشرين وثلاثمائة (١)

ويلاحظ أن ابن مجاهد – رحمه الله – لم يُشر في كتابه السبعة لابن جرير الطبري -رحمه الله- ولم ينقل شيئاً عنه ، رغم أنه شيخه .

* أحمد بن أبي طالب الكاتب ، واسمه علي بن محمد بن أحمد بن الجهم بن أنبوس ، ويكنى أحمد

---

(١) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء (١/١٣٩، ٢/١٠٧) ، تاريخ بغداد (٥/١٤٤) ، لسان الميزان (٥/١١٧) ، معجم الأدباء (١٨/٥٤ ، ٦٣، ٦٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبا جعفر . ذكر الخطيب البغدادي وابن حجر العسقلاني والذهبي أنه سمع الحديث من الإمام الطبري ورواه عنه ، توفي - رحمه الله - سنة تسع وسبعين وثلاثمائة للهجرة (١) .

* أحمد بن كامل بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد القاضي البغدادي ، ويكنى أبا بكر ، كان من العلماء بأيام الناس ، والأحكام ، وعلوم القرآن ، والنحو ، والشعر ، وتواريخ أصحاب الحديث ، ذكر الخطيب والذهبي أنه حدث عن الإمام الطبري في بداية أمره ، وقد كان من كبار تلاميذه وأصحابه الذين تأثروا به وتفقهوا على مذهبه ، وأكثروا من الكتابة عنه ، وأخذ عنه التفسير بعضه إملاء ، ثم جميعه قراءة كما ذكر ذلك ياقوت ، وقد صرح هو بأنه كان يتفقه على مذهب الإمام ابن جرير ، وذكره ابن النديم في جملة أصحابه المتفقهين على مذهبه ، والمؤلفين في فقهه .

وقد صنف في ذلك كثيراً من الكتب الفقهية ، ككتاب المختصر في الفقه ، وجامع الفقه ، وكتاب الحيض ، وكتاب الشروط الكبير ، والشروط الصغير ، وقد اختار لنفسه مذهباً ، ولعل ذلك كان في آخر حياته ، توفي - رحمه الله - سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة (٢) .

* أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول ، الإمام المحدث ، وهو شيخ أبي القاسم التنوخي ، كان معتزلياً ، وكان متقناً ، ذكر الحافظ ابن حجر أنه حدث عن الإمام الطبري وطبقته ، توفي - رحمه الله- سنة ست وسبعين وثلاثمائة للهجرة (٣) .

* سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير ، أبو القاسم الطبراني اللخمي الشافعي إمام دهره ، وحافظ عصره ، العالم الحجة . عدد شيوخه ألف شيخ أو يزيدون ، قال الذهبي : " له مصنفات كثيرة منها : المعاجم الثلاثة ، الكبير ، الأوسط ، والصغير " ، كان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة . ذكر الذهبي وغيره أنه سمع الحديث من الإمام الطبري وروى عنه ، توفي -رحمه الله- سنة ستين

---

(١) انظر : تاريخ بغد[illegible]١٦ ، ٢١٥/٤) ، لسان الميزان (٢٤٤/١) ، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/١٤) .

(٢) انظر : لسان الم[illegible]٢٧) ، معجم الأدباء (١٠٢/٤ ، ٥٤/١٨ ، ٦٢) ، تاريخ بغداد (٣٥٧/٤) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٩٨/١) ، الفهرست (٢٩١) ، سير أعلا[illegible]٢٦٩) .

(٣) انظر : لسان [illegible]) ، ميزان الاعتدال للذهبي (١٢٩/١) .

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثلاثمائة للهجرة (١) .

* عثمان بن سعيد بن بشار ، أبو القاسم الأحول الأنماطي ، وهو أحد الفقهاء على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - تلقى فقه الإمام الشافعي عن الإمام ابن جرير في بغداد على ما أخبر به الإمام الطبري نفسه ، مع أن أبا القاسم الأحول كان أكبر سناً منه ، توفي - رحمه الله - سنة ثمان وثمانين ومائتين للهجرة (٢) .

* علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم ، أبو الفرج الأموي الكاتب ، والمؤرخ الناقد ، والمؤلف الجامع ، المعروف بالأصبهاني (بالباء والفاء) ، كان عالماً بأيام الناس والأنساب ، والسيرة ، وكان شاعراً محسناً ، والغالب عليه رواية الأخبار ، صنف كتباً كثيرة منها : الأغاني الكبير ، وآداب الغرباء ، ومقاتل الطالبيين ، والحانات وغيرها . كان يختلف إلى الإمام ابن جرير ، ويحضر مجلسه ، ويقرأ كتبه ، كما كان يضمّن كتبه - وبخاصة الأغاني - كثيراً من الروايات الموجودة في تاريخ الطبري عن طريق الطبري مباشرة ، توفي -رحمه الله- سنة ست وخمسين وثلاثمائة للهجرة على الصحيح (٣)

* محمد بن علي بن إسماعيل ، أبو بكر القفال الشاشي الفقيه الشافعي ، من أهل الشاش ، إمام عصره ، بلا مدافعة ، كان فقيهاً أصولياً ، لغوياً ، محدثاً ، شاعراً ، سار ذكره في الشرق والغرب ، له تصانيف مشهورة ، رحل إلى خراسان ، والعراق ، والشام ، والحجاز ، والثغور ، كان معتزلياً في أول أمره ، ثم صار أشعرياً ، سمع الحديث من الإمام الطبري ورواه عنه ، توفي - رحمه الله - سنة خمس وستين وثلاثمائة للهجرة (٤) .

* علي بن سراج بن عبد الله ، أبو الحسن المصري أو البصري الأديب ، اللغوي ، كان حافظاً عارفاً بأيام الناس وأحوالهم . سمع من الإمام الطبري - رحمه الله - شعر الطرماح أثناء مقابلته له في مصر توفي - رحمه الله - سنة ثمان وثلاثمائة للهجرة (٥) .

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ (٢/٧١١، ٣/٩١٢) ، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/١٠٧) ، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري (٢/٢٧٤) .

(٢) انظر : تاريخ بغداد (١١/٢٩٢) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/١٢٣) .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١١/٣٩٨) ، معجم الأدباء (١٨/٨٧) .

(٤) انظر : اللباب في تهذيب الأنساب (٢/٥٠) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٠٠) ، سير أعلام النبلاء (١٤/٢٦٩) .

(٥) انظر : تاريخ بغداد (١١/٤٣١) ، معجم الأدباء (١٨/٥٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع : علمه وآثاره :

أولاً : العلوم التي جمعها الإمام الطبري - رحمه الله :

لم يقتصر الإمام الطبري - رحمه الله - في أخذه وتلقيه وسماعه عن العلماء على علم واحد ، بل كان أخذه للعلوم المختلفة ، وقد برع فيها جميعها . فكان - رحمه الله - إماماً في الحديث وعلومه ، فقد سمع الحديث من كثير من العلماء بعضهم من شيوخ البخاري ومسلم - رحمهم الله تعالى - وحدث عن خلائق من الناس ، وصنف الكتب النافعة في ذلك .

وكان - رحمه الله - إماماً في القرآن وعلومه وبخاصة علم القراءات ، فقد حفظ القرآن في صغره ، وكان حريصاً على أخذ القراءات وجمعها ، واختار لنفسه قراءة لم يخرج فيها عن المشهور من القراءات وصنف في القراءات والتفسير .

وكان - رحمه الله - إماماً في الفقه وأصوله ، ويعد من الأئمة المجتهدين ، صاحب مذهب مستقل وقد تبعه بعض الناس على مذهبه ، وصنف في هذا المجال الكتب النافعة القيمة .

ويعد - رحمه الله - إماماً في التاريخ ، بل هو شيخ المؤرخين ، صنف في التاريخ تصانيف جليلة عظيمة النفع .

وكان - رحمه الله - عالماً بعلوم العربية المختلفة مبرزاً فيها كعلم المعاني ، والبيان ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والعروض .

وكان عالماً بالفلسفة والمنطق والجدل ، عالماً بأصول الدين والتوحيد ، وعلم الكلام ، عالماً بعلم الأخلاق وأداب النفس والتربية ، وقد صنف في ذلك كله مصنفات عدة ، وكان مع هذا كله فصيح اللسان واضح البيان ، جزل الكلام (١) .

ولم تكن معرفة الإمام الطبري - رحمه الله - بهذه العلوم الكثيرة المتنوعة معرفة سطحية فجة ، بل كان إماماً في كل علم منها ، راسخاً فيها جميعها ، متقناً لها ، مبرزاً فيها ، وليس أدل على هذا من تصنيفه في كل علم منها مصنفات كثيرة فائدتها ، تدل على مدى رسوخه في كل علم منها ، كأنه أمضى عمره في تحصيل ذلك العلم دون غيره .

---

(١) انظر : الإمام الطبري د. محمد الزحيلي (٤٦-٤٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الخطيب البغدادي في وصفه :" وكان أحد أئمة العلماء ، يُحكم بقوله ، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها ، ناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب في التفسير لم يصنف أحدٌ مثله ، وكتاب سماه " تهذيب الآثار " ، لم أرَ سواه في معناه إلا أنه لم يتمه ، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة ، واختيار من أقاويل الفقهاء ، وتفرد بمسائل حفظت عنه " (١) .

وقال ابن النديم :" وأدرك الأسانيد العالية بمصر ، والشام ، والعراق ، والكوفة ، والبصرة ، والري ، وكان متقناً في جميع العلوم : علم القراءات ، والنحو ، والشعر ، واللغة ، والفقه ، كثير الحفظ"(٢) .

ونقل ياقوت الحموي وصف الإمام الطبري عن أبي محمد عبد العزيز بن محمد الطبري فقال :"كان أبو جعفر من الفضل والعلم ، والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحدٌ عَرَفه ، لجمعه من علوم الإسلام مالم نعلمه اجتمع لأحدٍ من هذه الأمة ، ولا ظهر من كتب المصنفين ، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له ، وكان راجحاً في علوم القرآن ، والقراءات ، وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك ، واختلاف الفقهاء مع الرواية ...... ، وقد بان فضله في علم اللغة ، والنحو على ما ذكره في كتاب التفسير ، وكتاب التهذيب مخبراً عن حاله فيه ، وقد كان له قدم في علم الجدل .... ، وكان يحفظ الشعر للجاهلية والإسلام مالم يجهله إلا جاهل به ... ، وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق ، والحساب ، والجبر ، والمقابلة ، وكثير من فنون أبواب الحساب ، وفي الطب ، وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه في الوصايا ... ، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ، وكان عالماً بالعبادات ، جامعاً للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه ، وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها " (٣) .

---

(١) تاريخ بغداد (٢/١٦٣) ، وانظر: معجم الأدباء (٤١/١٨) .   (٢) الفهرست (٢٩١) .   (٣) معجم الأدباء (١٨/٥٩-٦١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : مؤلفات الإمام الطبري وآثاره :-

لقد دون الإمام الطبري - رحمه الله - كثيراً من العلوم التي جمعها في صدره في كتبه ومصنفاته ، لتنتفع بها الأجيال اللاحقة ، وتكون ذخراً له يثقل بهن ميزانه عند رب العالمين ، وتخلد اسمه في سجل الخالدين من العلماء العاملين المخلصين على مر السنين ، وتصبح مرجعاً وموئلاً للعلماء و طلبة العلم في كل عصر وحين . غير أن عوادي الزمن قد أتت على معظمها فلم يصلنا منها إلا النزر القليل ، طبع بعضها ، ولم يزل بعضها مخطوطاً ، وأما أكثرها فما زال مفقوداً ، ككتاب القراءات ، وكتاب الخفيف ، وكتاب التبصير في معالم الدين وغيرها .

وهاك بعض مؤلفاته - رحمه الله تعالى :

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : وهو كتاب في التفسير ، ويعد من التفاسير المهمة والأصيلة ، فهو موسوعة علمية كبرى ، ودائرة معارف متنوعة ، ضمنه الإمام الطبري - رحمه الله - علوماً كثيرة متنوعة ، مما يندر وجوده في غيره من التفاسير الأخرى ، وقد شهد كثير من العارفين بفضل هذا التفسير ، وأنه لا نظير له بين التفاسير ، وتلكم بعض شهاداتهم :

وقال ابن السبكي :" لم يصنف أحد مثله " (١) .

وقال العلامة أبو حامد الإسفراييني :" لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً " (٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :" وتفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً ...." وقال أيضاً :" وأما التفاسير التي في أيدي الناس ، فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل ابن بكير والكلبي " (٣) .

وقد أملاه الإمام الطبري -رحمه الله- على تلاميذه من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين ببغداد (٤) .

---

(١) طبقات المفسرين للسيوطي (٨٢) ، طبقات الشافعية الكبرى (١٢٢/٣) .

(٢) تاريخ بغداد (١٦٣/٢) ، سير أعلام النبلاء (٢٧٢/١٤) ، طبقات المفسرين للداودي (١١٣/٢) .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦١/١٣ ، ٣٨٥) .

(٤) انظر : تاريخ بغداد (١٦٤/٢) ، طبقات الشافعية الكبرى (١٢٤/٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- كتاب القراءات :-

هكذا سماه أبو جعفر الطبري في تفسره جامع البيان ، عند تفسيره لقوله تعالى { مالك يوم الدين } (١) ، حيث قال :" وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روى عنه في ذلك قراءة في كتاب القراءات وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه ، والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه . فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع " (٢) .

وسماه ياقوت كتاب الفصل بين القراءات ، وقال :" ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن ، وهو من جيد الكتب ، وفصل فيه أسماء القرأة بالمدينة ، ومكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام ، وغيرها ، فيذكر وجه القراءة وتأويلها ، والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها ، واختياره الصواب منها ، والبرهان على صحة ما اختاره ، مستظهراً في ذلك بقوته على التفسير والإعراب ، الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحد من القراء " (٣) .

وسماه آخرون " جامع القراءات " (٤) .

وسماه مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) " البيان " ونقل منه بعض الآراء في القراءات وعزاها للإمام الطبري – رحمه الله (٥) .

وسماه بعض المعاصرين ممن ترجموا للإمام الطبري –رحمه الله– بالقراءات وتنزيل القرآن(٦).

وكتاب القراءات ما زال مفقوداً ، ولعله فقد تماماً لأني لم أعثر– في حدود اطلاعي – على من نقل عنه بعد مكي بن أبي طالب ، وقد ذكر بعض المعاصرين (٧) ، ممن ترجموا للإمام الطبري – رحمه الله– أنه توجد من هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة الجامع الأزهر .

---

(١) سورة الفاتحة :الآية (٤) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٥/١) .

(٣) معجم الأدباء (٦٥/١٨) .

(٤) انظر : تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٥٠/٣) ، هداية العارفين في أسماء المؤلفين للبغدادي (٢٧/٢) .

(٥) انظر : الإبانة عن معاني القراءات (٤٠ ، ٢٧) .

(٦) انظر : الطبري للحوفي (٩٤) .

(٧) انظر : الطبري للحوفي (٩٤) ، مقدمة تاريخ الطبري لمحمد أبي الفضل إبراهيم (١٧/١) ، الإمام الطبري للزحيلي (٢٧٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا كلام مجانب للصواب ، وهذا نص أنقله بتمامه عمن بحث وتحرى في هذه القضية وبين وجه الحق فيها ، كي نتبين أن ما ذكره أولئك الكتّاب مجرد وهم ، قال الدكتور أحمد خالد بابكر :" وقد ذكر بعض من ترجموا لأبي جعفر أن من الكتاب نسخة خطية في مكتبة الجامع الأزهر ، وليس هذا بالصحيح .. ثم تابع قائلاً : ومنشأ ذلك وهمٌ وقع فيه صانع المجلد الأول من فهارس المخطوطات التي في مكتبة الجامعة الأزهرية ، وهو المجلد الخاص بمخطوطات القرآن الكريم والقراءات ، وعلوم القرآن ، فقد جاء في صفحة (٤٧) من ذلك المجلد ما نصه « الجامع - بظاهر الورقة الأولى أنه (لأبي معشر الطبري) والغالب أنه جامع الإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، المعروف بالطبري ، المؤرخ المفسر ، المولود في أمل (طبرستان) سنة (٢٢٤ هـ) المتوفي في بغداد سنة (٣١٠ هـ) » إذ غاب عن صانع الفهرس أن مؤلف كتاب " الجامع في القراءات " والذي هو بصدد التعريف به ، هو أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري شيخ قراء مكة المكرمة في القرن الخامس الهجري ، المتوفي سنة (٤٧٨هـ) وليس هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . وقد وقفت على المخطوط ، وصورته ، وقارنت بينه وبين آراء أبي جعفر الطبري في القراءات ، فتبين لي أن لا صلة بين أبي جعفر الطبري وبين ذلك المخطوط ، ثم تتبعت كتب التراجم باحثاً عن أبي معشر الطبري وآثاره ومؤلفاته ، فوصلت إلى يقين قاطع ، بأن الكتاب لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المكي المقرئ المتوفي سنة (٤٧٨ هـ) بشهادة جميع أصحاب كتب التراجم مثل الخطيب البغدادي ، وياقوت ، وابن النديم وغيرهم " (١).

وذكر مثل هذا الكلام الدكتور أحمد العوايشة في رسالته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراة (٢) .

٣- كتاب تاريخ الرسل والملوك .

٤ - ذيل المذيل .

٥- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأخبار .

٦- الرسالة المسماة : صريح السنة

٧- اختلاف الفقهاء .

---

(١) القراءات عند ابن جرير الطبري لأحمد خالد بابكر (٢٨/١) .

(٢) انظر : الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف للدكتور أحمد العوايشة (١٦٧/١، ١٦٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- كتاب آداب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة .

٩- الموجز في علم الأصول .

١٠- كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام .

١١- كتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام .

١٢- كتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام .

١٣- آداب القضاة .

١٤- كتاب الرد على ذي الأسفار .

١٥- كتاب الرد على ابن عبد الحكم على مالك .

١٦- كتاب مناسك الحج .

١٧- كتاب الفرائض ، أو مختصر الفرائض .

١٨- كتاب الوقف .

١٩- كتاب الشروط .

٢٠- المسند المجرد .

٢١- فضائل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه .

٢٢- فضائل أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما .

٢٣- فضائل العباس .

٢٤- كتاب في عبارة الرؤيا .

٢٥-حديث الطير .

٢٦- البصير في معالم الدين .

٢٧- كتاب الجراح .

٢٨- العدد والتنزيل .

٢٩- الغرائب .

٣٠- طرق الحديث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

قضايا القراءات في مقدمة تفسيره

وفيه ثلاث مباحث

المبحث الأول : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

المبحث الثاني : هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة

المبحث الثالث : صلة القراءات بالأحرف السبعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

قضايا القراءات في مقدمة تفسيره

ذكر الإمام الطبري - رحمه الله - عدة قضايا تتعلق بالقرآن الكريم في مقدمة تفسيره جامع البيان ، وإن المتأمل لهذه القضايا ، وما ذكره فيها ، يتبين أن صاحب هذا الكلام عالم جليل ، يتميز بفكر ثاقب ، وعارضة قوية ، ورسوخ كعب في علوم كثيرة متنوعة ، منها علوم كتاب الله العزيز ، ثم إن القضايا التي ناقشها تومئ إلى غزارة علمه ، وإلمامه بها وما قيل فيها ، وهو يعتمد في مناقشته للأقوال التي لا يراها صواباً على قوة عارضته مقدماً الحجة والبرهان على كل ما يقوله .

ومن هذه القضايا ثلاث قضايا مهمة ذات صلة بالقراءات :-

الأولى : في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .

والثانية : في مصير الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ؛ هل هي باقية في المصاحف أم لا؟

والثالثة : في علاقة القراءات بالأحرف السبعة .

وسأتحدث عن كل قضية من هذه القضايا بشيء من التفصيل مفرداً لكل منها مبحثاً مستقلاً .

فأقول وبالله التوفيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف

بعد أن بين الإمام الطبري - رحمه الله - بما أوتي من حجة وبيان وقوة عارضة أن الله تعالى أنزل القرآن كله بلسان العرب دون غيرها ، ودلل على فساد قول من زعم أن من القرآن ما ليس بلسان العرب ولغتها ، تساءل قائلاً : بأي ألسن العرب أنزل القرآن الكريم ؟ أبألسن جميعها أم بألسن بعضها ؟ وأجاب أن لا سبيل لنا إلى معرفة ذلك إلا ببيان النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم ذكر أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وبين معنى هذه الأحاديث ، والمراد من نزول القرآن على سبعة أحرف ، ورد أثناء ذلك بعض الأقوال التي قيلت في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف بما أوتي من حجة وبرهان .

ويحسن قبل الشروع في بيان رأي الإمام الطبري - رحمه الله - في ذلك ، ذكر بعض الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف ، وبيان آراء العلماء في المراد بها ، مع ذكر ما أراه راجحاً .

أولاً : الأحرف السبعة في السنة المطهرة :

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال :« أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني ؛ حتى انتهى إلى سبعة أحرف »(١) .

وزاد مسلم : قال ابن شهاب (٢) : بلغني أن تلك السبعة الأحرف ، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً ، لا يختلف في حلال ولا حرام .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٠٩/٤ ، ح ٤٧٠٥) ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (١١٧٧/٢ ، ح ٣٠٤٧) . ومسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦١/١ ، ح ٢٧٢) . وأحمد في مسنده (٢٦٣/١ - ٢٦٤ ، ٢٩٩ ، ٣١٣) . والطبري في تفسيره (١٤/١) ، وبتحقيق أحمد شاكر (٢٩/١ ، ح ١٩) .

(٢) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ، أبو بكر الزهري ، أول من دون الحديث ، وأحد الفقهاء والأعلام التابعين بالمدينة (ت ١٢٤ هـ) (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢٦٢/٢ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠٢/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-قال :« سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فكدت أساوره في الصلاة ، فانتظرته حتى سلم ، ثم لببته بردائه أو بردائي ، فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال : أقرأنيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قلت له كذبت : فوالله إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت : يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، وأنت أقرأتني سورة الفرقان ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم- : أرسله يا عمر . أقرا يا هشام ، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها . قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ما تيسر منه » (١) .

٣- روى مسلم في صحيحه عن أبيٍّ بن كعب – رضي الله عنه – قال : كنت في المسجد فدخل رجل يصلي ، فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر ، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة ، دخلنا جميعاً على رسول الله -صلى الله عليه وسلم – فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقرءا ، فحسن النبي -صلى الله عليه وسلم- شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية ، فلما رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما قد غشيني ضرب في صدري ، ففضت عرقاً ، وكأنما أنظر إلى الله -عز وجل- فرقاً ، فقال لي : يا أبيّ أرسل إليّ أن أقرا القرآن على حرف فرددت إليه : أن هون على أمتي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٠٩/٤ ، ح ٤٧٠٦) ، وباب من لم ير باساً أن يقول سورة البقرة ، وسورة كذا وكذا (١٩٢٣/٤ ، ح ٤٧٥٤) ، وكتاب الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض (٨٥١/٢ ، ح ٢٢٨٧) ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين ، باب ما جاء في المتاولين (٢٥٤١/٦ ، ح ٦٥٣٧) ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى " فاقرؤوا ما تيسر منه " (٢٧٤٤/٦ ، ح٧١١١) ومسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٥٦٠/١ ، ح ٢٧٠) . وأبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٥٨/٢ ، ح ١٤٧٥) . والترمذي في سننه : كتاب القراءات ، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف (١٩٣/٥ ، ح٢٩٤٣) . والنسائي في سننه : كتاب الافتتاح ، باب جامع ما جاء في القرآن (١٥٠/٢ ، ح ٩٣٦ – ٩٣٨) . وأحمد في مسنده : (٢٤/١ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٢٦٣) والطبري في تفسيره (١٣/١) وبتحقيق أحمد شاكر (٢٤/١ ، ح ١٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرد إليَّ الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه : أن هون على أمتي ، فرد إليَّ الثالثة : اقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلقُ كلهم حتى إبراهيم - صلى الله عليه وسلم » (١) .

٤- روى مسلم في صحيحه ، عن أبيٍّ بن كعب - رضي الله عنه- قال : إن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أضاة بني غفار (٢) ، فأتاه جبريل -عليه السلام- فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا » (٣) .

٥- روى أحمد في مسنده عن أبيٍّ بن كعب -رضي الله عنه- قال : لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جبريل - عليه السلام- عند أحجار المراى ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لجبريل :« إني بعثت إلى أمة أميين ، فيهم الشيخ العاسي ، والعجوز الكبيرة ، والغلام ، قال : فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف » (٤) .

وفي رواية الترمذي :« إني بعثت إلى أمة أميين : منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ، قال : يا محمد ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القران على سبعة أحرف (٥٦١/١ ، ح ٢٧٣) . وأحمد في مسنده (١٢٧/٥) . والطبري في تفسيره : (١٦/١) ، وبتحقيق أحمد شاكر (٣٦/١ ، ح ٣٠) .

(٢) أضاة بني غفار : هي بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة ، وهي الماء المستنقع كالغدير وجمعها أضا . كحصاة وحصا . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٠٤/٢) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القران على سبعة أحرف (٥٦٢/١ ، ح ٢٧٤) ، وأبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب أنزل القران على سبعة أحرف (١٦٠/٢ ، ح ١٤٧٨) . والنسائي في سننه : كتاب الافتتاح باب جامع ما جاء في القرآن (١٥٢/٢ ، ح ٩٣٩) وأبو داود الطيالسي في مسنده (٧٦٠ ، ح ٥٥٨) . والطبري في تفسيره (١٧/١) وبتحقيق أحمد شاكر (٤٠/١ ، ح ٣٥) .

(٤) أخرجه أحمد في مسند (١٢٢/٥) ، والترمذي في سننه : كتاب القراءات ، باب ما جاء أنزل القران على سبعة أحرف (١٩٤/٥ ، ح ٢٩٤٤) ، والطبري في تفسيره (١٦/١) وبتحقيق أحمد شاكر (٣٥/١ ، ح ٢٩) وقال : وهذا إسناد صحيح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- روى النسائي في سننه عن أبيٍّ بن كعب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال :« إن جبريل وميكائيل - عليهما السلام - أتياني ، فقعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد، وقال ميكائيل:استزده حتى بلغ سبعة أحرف ، وكلٌّ شاف كاف»(١) . وفي رواية لأبي بكرة « فنظرت إلى ميكائيل فسكت ، فعلمت أنه قد انتهت العدة » .

٧- روى الطبري في تفسيره عن أبي جهم الأنصاري : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ، فقال هذا : تلقيتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال الآخر : تلقيتها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فسألا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :« إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر » (٢) .

٨- روى أحمد في مسنده عن أبي بكرة : أن جبريل - عليه السلام - قال : يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل - عليه السلام - : استزده ، فاستزاده ، قال : اقرأه على حرفين : قال ميكائيل : استزده ، فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف . قال : كل شاف كاف ؛ مالم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب نحو قولك : تعال ، وأقبل ، وهلم ، واذهب ، وأسرع ، وعجل » (٣) .

٩- روى الطبري في تفسيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :« إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا ولا حرج ، ولا تختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة » (٤) .

---

(١) أخرجه النسائي في سننه : كتاب الافتتاح ، باب جامع ما جاء في القرآن (٢/١٥٤ ، ح ٩٤١) والطبري في تفسيره (١/١٥) وبتحقيق أحمد شاكر (١/٣٠ ، ح ٢١ ، ٢٥) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/١٦٩ - ١٧٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (٧/١٥١) . والطبري في تفسيره (١/١٩) ، وبتحقيق أحمد شاكر (١/٤٤ ، ح ٤١) .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/٥١) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفيه علي بن زيد بن جدعان ، وهو سيء الحفظ ، وقد توبع ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح (٧/١٥١) . والطبري في تفسيره (١/١٨) ، وبتحقيق أحمد شاكر (١/٤٣ ، ح ٤٠ ، ٤٧) .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/١٩) ، وبتحقيق أحمد شاكر (١/٤٥ ، ٤٦) وقال أحمد شاكر : وهذا الحديث بهذا الإسناد واللفظ لم أجده في موضع آخر ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه بعض الأحاديث الواردة في هذا الموضوع أكتفي بها عن غيرها .

وقد روى حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من طرق عدة في الصحاح وفي كتب السنن ، ومصنف ابن أبي شيبة ، ومسند أحمد ، ومستدرك الحاكم ، وعند الطبري ، والطبراني وغيرهم .

قال السيوطي (١) - رحمه الله - :" ورد حديث نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة : أبيّ بن كعب ،وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وسليمان بن صرد ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وعمر ابن أبي سلمة ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وأبي بكرة ، وأبي جهيم ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي طلحة الأنصاري ، وأبي هريرة ، وأبي أيوب ، فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً"(٢) .

وقال ابن الجزري :" وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام (٣) - رحمه الله - على أن هذا الحديث تواتر عن النبي - صلى الله عليه وسلم . قلت : وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك " ثم عد من روى هذا الحديث من الصحابة - رضي الله عنهم . وقال : وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان -رضي الله عنه - قال يوماً وهو على المنبر :" أذكر الله رجلاً سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :« إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف » لما قام ، فقاموا حتى لم يُحصوا ، فشهدوا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :« أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » فقال عثمان - رضي الله عنه - : " وأنا أشهد معهم " (٤) .

فهذه الرواية تدل على تواتر هذا الحديث ، إذ شهد ذلك الجمع الكثير الذي يؤمن تواطؤهم على الكذب على أنهم سمعوا هذا الحديث من رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ويترجح أن يكون من بين الجالسين في المسجد عدد من التابعين ، وذلك أن هذه الحادثة حصلت في زمن عثمان - رضي الله عنه -

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضري السيوطي ، جلال الدين إمام حافظ مؤرخ محدث مفسر أديب ، له نحو ٦٠٠ مصنف في فنون متنوعة . ت ٩١١ هـ . (معجم المفسرين لعادل نويهض ١/٢٦٤) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٣٠) .

(٣) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي الخراساني البغدادي ، من كبار العلماء بالحديث والفقه والتفسير والقراءات والأدب ، له مؤلفات قيمة نافعة . ت ٢٢٤ هـ . (معجم المفسرين ١/٤٣٢) .

(٤) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/٢١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا يؤكد تواتر الحديث ، فإن عدد التواتر لم يقتصر على طبقة الصحابة فحسب (١) .

وقد نقل السيوطي أيضاً عن أبي عبيد القول بتواتر هذا الحديث (٢) ، بل عده السيوطي نفسه من الأحاديث المتواترة (٣) .

فوائد تؤخذ من الأحاديث السابقة :

١- تدل الأحاديث السابقة على أن الأحرف السبعة ليست إلا خلافاً في الألفاظ وهيئات النطق بالقرآن بدليل أن الخلاف الذي وقع بين الصحابة - رضي الله عنهم - كعمر بن الخطاب وهشام بن حكيم إنما حول كيفية تلاوة ألفاظ القرآن (فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ...) ، (فقرأ القراءة التي سمعته يقرؤها) ، فالخلاف الذي كان إنما يرجع إلى كيفية التلاوة وهيئات النطق بالقرآن الكريم لا إلى تفسيره وبيان معانيه وأحكامه بدليل (لم يقرئنيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم-) ثم إن هشام بن حكيم -رضي الله عنه - كان يقرأ في الصلاة (فكدت أساوره في الصلاة فانتظرته حتى سلم) والصلاة ليست محل تفسير للقرآن وبيان لمعانيه ، إنما هي محل قراءته وتلاوته .

٢- إن قراءة الصحابة - رضي الله عنهم- للقرآن الكريم لم تكن باجتهادهم ، إنما كان ذلك بالتلقي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن توقيفية لا مجال للرأي والاجتهاد والقياس فيها ، فقد نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) ، (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) .

٣- يدل الحديث السادس وغيره من الأحاديث التي فيها استزادة النبي - صلى الله عليه وسلم- من جبريل - عليه السلام- الأحرف حرفاً حرفاً دلالة واضحة على أن المراد بالسبعة حقيقة العدد الواقع بين الستة والثمانية ، لا أن المراد بها التوسعة على الأمة دون أن يكون العدد مراداً (فنظرت إلى ميكائيل فسكت ، فعلمت أنه قد انتهت العدة) .

---

(١) انظر : نزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان (٢١) .

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣١/١) .

(٣) انظر : تدريب الراوي للسيوطي (١٧٩/٢ ، ١٨٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- إن الحكمة الأولى التي من أجلها أنزل الله القرآن على سبعة أحرف هي التخفيف والتيسير على الأمة الأمية ، (إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام) فإن هؤلاء قد اعتادت ألسنتهم على كيفية معينة في النطق بالكلام ، وذلك أنهم نشأوا منذ نعومة أظفارهم على النطق بلهجتهم الخاصة ، فمن العسر بمكان أن يطلب منهم التحول مرة واحدة إلى لهجة أخرى تختلف عما اعتادوا النطق به ليقرأوا القرآن بها ، فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن أنزل القرآن على سبعة أحرف لمراعاة اختلاف لغاتهم ورفعاً للحرج عنهم .

٥- إن الاختلاف بين الأحرف السبعة إنما هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تناقض وتضاد ، قال ابن قتيبة (١) - رحمه الله - :" الاختلاف نوعان : اختلاف تغاير ، واختلاف تضاد . فاختلاف التضاد لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ .

واختلاف التغاير جائز ، وذلك مثل قوله { وادّكر بعد أمّةٍ } (٢) أي بعد حين ، وبعد أمه :" أي بعد نسيانٍ له ، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالمعنيين جميعاً في غرضين " (٣) .

٦- نهى النبي - صلى الله عليه وسلم- عن الجدال والخصام والتنازع بشأن الأحرف السبعة ؛ لأن كل حرف منها إنما هو منزل من عند الله تعالى له حرمة القرآن الكريم ، وإن إنكار أي شيء منها هو إنكار وجحود لما أوحاه الله إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - وإنكار شيء مما أنزله الله على نبيه يوقع صاحبه في الكفر (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر) .

٧- إن ما وقع من خلاف بين الصحابة الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - في تلاوة القرآن الكريم ، وتحاكمهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما كان في المدينة المنورة بعد هجرته - صلى الله عليه وسلم - حيث المسجد ، وأضاة بني غفار .

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد الشهير بابن قتيبة ، كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس ، ثقة ديناً فاضلاً ، ولي قضاء الدِّينور ، له تاليف كثيرة نافعة في القران والحديث والأدب وغيرها ، منها : إعراب القران ، ومعاني القرآن ، ومختلف الحديث ، وجامع النحو وغيرها (ت ٢٧٦ هـ) (طبقات المفسرين للداودي ٢٥١/١) .

(٢) سورة يوسف : الآية (٤٥) .

(٣) تاويل مشكل القران لابن قتيبة (٣١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨- لم يقرئ النبي – صلى الله عليه وسلم – المسلمين جميع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن إنما كان يقرئهم حسب ما تيسر ، فيقرئ هذا حرفاً ، ويقرئ الآخر حرفاً غيره .

٩- لم يكن إقراء النبي – صلى الله عليه وسلم – لكل إنسان حسب لهجته وما تنطق به قبيلته فحسب ، إنما كان يقرئ الصحابة حسب ما تيسر بقطع النظر عن لهجته ، فقد يقرئ أصحاب قبيلة واحدة بأكثر من حرف كما حصل مع عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم – رضي الله عنهما .

١٠- إن إعجاز القرآن الكريم إنما هو في القراءات المتواترة جميعها ، وذلك لأن جميع هذه القراءات من عند الله تعالى ، فهي كلام الله المنزل على سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للبيان والإعجاز (كلها كافٍ شافٍ) .

فهذه جملة من الفوائد تؤخذ من الأحاديث السابقة ، ذكرتها مجتمعة لما لها من أهمية في رد كثير من الأقوال التي قيلت في معنى الأحرف السبعة .

وقد اختلفت آراء العلماء وتباينت أقوالهم في بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ، والتي ورد ذكرها في كلام النبي – صلى الله عليه وسلم .

وسبب اختلاف العلماء في ذلك أنه لم يأت في معنى هذه السبعة نص ولا أثر كما أشار إلى ذلك ابن العربي – رحمه الله (١) . فالأحاديث الواردة في ذلك رغم كثرتها جاءت مجملة ، لا تكشف عن حقيقة المراد بهذه السبعة ، فأعمل العلماء عقولهم واجتهدوا في تحديد المراد بها فكان الاختلاف .

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً (٢) ، وأوصل السيوطي الأقوال إلى أربعين (٣) ، ذكر منها خمسة وثلاثين قولاً ثم قال :" قال ابن حبان (٤) : فهذه خمسة وثلاثين قولاً لأهل العلم واللغة في معنى أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وهي أقوال يشبه بعضها بعضاً ، وكلها

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢/١) .

(٢) انظر : المرجع نفسه .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣١/١) .

(٤) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي الحافظ العلامة ، أبو حاتم البستي ، من مشاهير المحدثين في عصره ، له تآليف كثيرة نافعة في فنون مختلفة منها كتاب الصحيح ، وكتاب التفسير وغيرهما . ت ٣٥٤ هـ . (تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢٠/٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيان) وأيده ابن عبد البر (١) ونسبه لأكثر أهل العلم (٢) . ورجح هذا الرأي من المحدثين الشيخ محمد علي سلامة في كتابه عن علوم القرآن (٣) ، والشيخ طاهر الجزائري في كتابه عن علوم القرآن (٤) ، والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه المعجزة الكبرى (٥) ، والشيخ محمد أبو شهبة في كتابه المدخل لدراسة القرآن (٦) ، ومناع القطان في كتابه عن الأحرف السبعة (٧) وغيرهم .

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - في تحريره لهذا القول في مقدمة تفسيره : " الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن هن لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة ، باختلاف الألفاظ ، واتفاق المعاني كقول القائل : هلم ، وأقبل ، وتعال ، وإليّ ، وقصدي ، ونحوي ، وقربي ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني " (٨) .

وعمدة أدلة أصحاب هذا الرأي حديث أبي بكرة - رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :« إن جبريل -عليه السلام- قال : يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل -عليه السلام- : استزده ، فاستزاده ، قال : اقرأه على حرفين ، قال ميكائيل : استزده فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : كل شاف كاف ، مالم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب ، نحو قولك : تعال ، وأقبل ، وهلم واذهب ، وأسرع ، وعجل » (٩) .

---

(١) هو يوسف بن عبد الله بن محمود بن عبد البر النمري ، أبو عمر القرطبي ، الحافظ الفقيه العالم بالقراءات ، والحديث ، والأنساب ، والأخبار ، من فقهاء المالكية ، يقال له : حافظ المغرب : من تصانيفه الكثيرة التمهيد ، والبيان في تاويلات القرآن . ت ٤٦٣ هـ . (معجم المفسرين ٢/٧٤٦ ، تذكرة الحفاظ ٣/٣٠٦) .

(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٩/٢٦) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٢٠) .

(٣) انظر : كتاب منهج الفرقان في علوم القرآن لمحمد علي سلامة (٦١) وما بعدها .

(٤) انظر : كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن لطاهر الجزائري (٥٧) .

(٥) انظر : المعجزة الكبرى (٢٩) .

(٦) انظر : المدخل لدراسة القرآن (١٢٨ - ١٤٦) .

(٧) انظر : نزول القرآن على سبعة أحرف (٧٢ - ٧٦) .

(٨) جامع البيان عن تاويل آي القرآن للطبري (١/٢٥) .

(٩) سبق تخريج الحديث ص (١٠٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الطبري – رحمه الله – :" فقد أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك : هلم ، وتعال ، باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام " (١) .

وهذا الحديث ظاهره مشكل إذ قد يتوهم أن القارئ مخير في القراءة من عند نفسه ، فيجوز له أن يختم الآية بما يريد مالم يختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب ، وليس الأمر كذلك ، بل المراد بالحديث ضرب المثل لاختلاف الأحرف السبعة ، كما أشار إلى ذلك ابن عبد البر حيث يقول :" إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها ، أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده " (٢) .

واستدل أصحاب هذا الرأي أيضاً بما روى عن أبيّ بن كعب –رضي الله عنه– أنه كان يقرأ *[يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم]* (٣) للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا أخرونا ، للذي آمنوا ارقبونا " وكان –رضي الله عنه – يقرأ *[كلما أضاء لهم مشوا فيه]* (٤) ، مروا فيه ، سعوا فيه (٥) .

فهذا هو رأي الإمام الطبري – رحمه الله – في الأحرف السبعة كما بينه وقرره في تفسره ، وقد نسب غير واحد هذا الرأي للإمام الطبري .

يقول مكي بن أبي طالب :" يذهب الطبري إلى أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن إنما هي تبديل كلمة في موضع كلمة ، يختلف الخط بهما ، ونقص كلمة وزيادة أخرى ، فمنع خط المصحف المجمع عليه ، ما زاد على حرف واحد لأن الاختلاف عنده ، لا يقع إلا بتغيير الخط في رأي العين ، فالقراءات التي في أيدي الناس اليوم كلها عنده حرف واحد من الأحرف السبعة التي نص عليها النبي – صلى الله عليه وسلم " (٦) .

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري (١/٢٢) .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٢١) ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٣٤) .

(٣) سورة الحديد : الآية (١٣) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٠) .

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٢١) ، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٣٤) ، مناهل العرفان للزرقاني (١/١٧٤) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤٢) .

(٦) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٢-٢٣)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفيما سبق بيانه من رأي الطبري في المراد من الأحرف السبعة - من خلال تفسيره ، وأقوال العلماء في نسبتهم هذا الرأي للإمام الطبري - أبلغ رد على الدكتور حسن العتر الذي حاول بتكلف واضح وتمحل بين التشكيك بل القطع بأن الإمام الطبري لم يرد ذلك وأن القرطبي أخطأ في نسبة هذا الرأي للإمام الطبري ، وأن الزركشي والسيوطي تابعاه على ذلك (١) ، ثم بين رأي الطبري قائلاً :" مضى الطبري في بيان الأحرف إلى نحو ما ذهب إليه سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وابن عبد البر والطحاوي ، لكنه لم يقل باعتبار سبعة وجوه متفقة المعنى مختلفة اللفظ ، إنما اعتبر المصدر الذي تنجم عنه هذه الوجوه المتقاربة في المعاني المختلفة ألفاظها ، وهو اللغات ، ففسر الأحرف السبعة بلغات سبع عربية ، أنزل القرآن بها مراعياً ما اختلفت فيه الألسن ، ببيان المعنى الواحد بألفاظ اللغات السبع في التعبير عنه " (٢) .

ثم إن المتتبع لكلام الطبري في حديثه عن موضوع الأحرف السبعة يتبين له خطأ الدكتور العتر في نسبة الرأي السابق للإمام الطبري - رحمه الله .

وقد وصم مكي بن أبي طالب الإمام الطبري بالتناقض في مذهبه حيث نقل عنه عبارة من كتاب القراءات للإمام الطبري فقال :" وقد قال الطبري في كتاب البيان : لا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق عليهم الناصح لهم دون ما عداه من الأحرف السبعة ، وقد ذكرنا هذا من مذهبه ، وقد ألف هو كتابه في القراءات فذكر فيه اختلاف نحو عشرين من الأئمة من الصحابة والتابعين ومن دونهم ، فنقض مذهبه بذلك ، وقد قال في كتاب القراءات له كلاماً نقض أيضاً به مذهبه ، قال : كل ما صح عندنا من القراءات أنه علمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته من الأحرف السبعة التي أذن الله له ولهم أن يقرأوا بها القرآن ، فليس لنا اليوم أن نخطِّئ من قرأ به إذا كان ذلك موافقاً لخط المصحف ، فإن كان مخالفاً لخط المصحف لم نقرأ به ، ووقفنا عنه وعن الكلام فيه ، فهذا إقرار منه أن ما وافق خط المصحف ، مما اختلف فيه ، فهو من الأحرف السبعة على مثل ما ذهبنا إليه ، وقد تقدم من قوله إن جميع ما اختُلف فيه مما يوافق خط المصحف فهو حرف واحد ، وإن

---

(١) انظر : الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها لحسن ضياء الدين العتر (١٦٨) .

(٢) المرجع نفسه (١٧٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحرف الستة تُرك العمل بها ، وهذا مذهب متناقض (١) " .

قلت : إن كتاب القراءات الذي نقل عنه مكي ما نقل ، إنما ألف قبل كتاب التفسير ، وما دام الأمر كذلك ، فإن الكتاب المتأخر في التأليف هو الذي يحمل الرأي الذي استقر عليه الإمام الطبري -رحمه الله - وذلك أنه أطال الكلام في بيان رأيه في معنى الأحرف السبعة في مقدمة تفسيره ، وناقش الأقوال التي لم يرتضها وردها بالحجة والبرهان ولعل ما ذكره في كتاب القراءات كان رأياً يرتئيه في أول الأمر ثم عدل عنه إلى ما حرره في تفسيره وأطال الكلام فيه ، لذلك نسب إليه الرأي الأخير دون الأول وهذا أمر يحصل للعلماء كثيراً ، حيث يكون العالم في أول أمره على رأي ثم يعدل عنه إلى رأي آخر يراه أولى مما كان عليه ، وهذا أمر لا يعيب العالم ولا ينقص من قدره ، ولا يحط من شأنه .

وبهذا لا يعد الإمام الطبري متناقضاً في رأيه .

ثم إن الإمام الطبري - رحمه الله - لا يعد لتأليفه كتاب القراءات الذي جمع فيه قراءات نحو عشرين من الصحابة والتابعين مناقضاً بهذا مذهبه - كما قال مكي - لأنه يعد هذه الاختلافات التي بين القراء الذين جمعهم في كتابه ترجع جميعها إلى حرف واحد .

وقد حاول بعض الفضلاء التوفيق بين رأيي الإمام الطبري بقوله : إنما أراد برجوع القراءات التي يقرأ بها إلى حرف واحد في الرسم والكتابة لا في النطق والتلاوة ، وهذا التوفيق حسن لو كان كلام الإمام الطبري يحتمله ، ولكن قول الإمام الطبري في تفسيره " فأما ما كان من اختلاف القراءات في رفع حرف وجره ونصبه ، وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » بمعزل " (٢) .

وقوله أيضاً :" فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية " (٣) .

أقول إن قول الإمام الطبري السابق واضح في أنه لم يرد بالحرف الواحد رسم المصحف إنما أراد التلاوة والقراءة .

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٤٠-٤١) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٩/١) .

(٣) المرجع نفسه (٢٨/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الرأي مع وجاهته وقوته وكثرة القائلين به لكنه يرد عليه بعض الملحوظات منها :

اقتصار أصحاب هذا الرأى على ذكر نوع بسيط من اختلاف اللغات ، والذي يُعد ذا أهمية كبيرة في التيسير على الأمة ، والتخفيف عليها ، ورفع الحرج عنها ، والذي تقع فيه إن هي قرأت القرآن بحرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن (١) .

ثم إن الحديث الذي استدلوا به لا يسعفهم في أن المراد به ما ذكروه فحسب ، وذلك أن غاية ما يدل الحديث عليه ، أن ما ذكروه من وجوه الاختلاف ، والذي ورد ذكره في الحديث هو بعض ما تشتمله الأحرف السبعة ، وذلك أن الحديث جاء على سبيل المثال لتقريب نوعية هذه الأحرف ، وأن الاختلاف بينها لا يؤدي إلى اختلال المعنى أو تضاده ، وقد أشار ابن عبد البر إلى ذلك حيث قال :" إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها ، وأنها معان متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجهٌ يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه أو يضاده " (٢) .

ويؤيد هذا ما رواه الإمام الطبري في تفسيره عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال :" إني قد سمعت إلى القراة فوجدتهم متقاربين ، فاقرأوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال " (٣) .

فابن مسعود – رضي الله عنه – إنما أراد بما قاله أن يبين للناس أن ما لمسوه من الاختلاف بين الأحرف السبعة إنما هو كالاختلاف في هلم وتعال .

ثم إن حصر الاختلاف بين القبائل في اللهجات على هذا النوع من الاختلاف فقط يعوزه الدليل ، إذ من المعلوم أن الاختلاف بين القبائل في اللهجات يشمل ما ذكروه ويشمل كثيراً مما سواه . كالاختلاف في كيفية الأداء ، فهذه القبيلة تميل ، وتلك تقرأ بالفتح ، وهذه تسهل الهمز ، وتلك تحققه وهكذا .

ثم إن سبب نزول القرآن على سبعة أحرف هو التيسير والتخفيف على الأمة في قراءة القرآن وحفظه ، والأمر الذي يصعب التحول عنه هو الاختلاف في الأداء ،وكيفية النطق بالألفاظ ، فإن العربي الذي اعتاد لسانه على النطق بتسهيل الهمز أو بالإمالة أو غير ذلك ، يصعب عليه التحول عما اعتاده

---

(١) انظر : لغة القرآن لعبد الجليل عبد الرحيم (٩٥) .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٢٣) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١/٢٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى غيره ، فأن ينزل القرآن الكريم بما يوافق ما اعتاد عليه هو قمة التيسير والتخفيف ورفع الحرج(١).

ثم إن الإمام الطبري نفسه رجع الاختلاف في بعض القراءات إلى لغات القبائل المتعددة ، فعند حديثه عن اختلاف القراءات في لفظ (جبريل) بيَّن لغات العرب في هذه الكلمة ، ومن قرأ بكل لغة من القراء (٢) ، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً .

فهذا تصريح منه أن اختلاف القراء في قراءة لفظ (جبريل) إنما يرجع إلى اختلاف القبائل في النطق بهذه الكلمة ، فالقراءات سببها إذن اختلاف لغات القبائل في النطق . فالاختلاف في لفظ (جبريل) لا يرجع إلى لغة واحدة ، إنما يرجع إلى عدة لغات ، وبعبارة أخرى لا يرجع إلى حرف واحد ، إنما يرجع إلى عدة أحرف .

---

(١) انظر : لغة القرآن (٩٦-٩٨) الأحرف السبعة للعتر (١٧٥ ، ١٧٦) ، مناهل العرفان للزرقاني (١/١٧٥ - ١٧٩) .

(٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن للطبري (١/٤٣٦ - ٤٣٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرأي المختار

إن الرأي الذي أختاره ، وأراه راجحاً منسجماً كل الانسجام مع أحاديث الباب هو : أن الأحرف السبعة سبع لغات بما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة - التي منها اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى نحو هلم ، وتعال ، وأقبل ... - التي تقتضي التيسير والتخفيف على الأمة بنزول القرآن عليها ، وذلك نحو اختلاف القبائل في الفتح والإمالة ، وبين بين ، وتحقيق الهمز وتسهيله ، والإظهار والإدغام ، إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي تختلف فيها اللغات ، والتي يصعب على من اعتاد لسانه على شيء منها أن يتحول عنها ، فكان التيسير من الله تعالى أن أنزل القرآن على سبعة أحرف .

فالتيسير على الأمة إذن إنما كان بمراعاة الفوارق بين اللغات السبع ، سواء أدى ذلك إلى قراءة الكلمة بثلاثة أوجه ، أو أدنى من ذلك ، أو أكثر ، وسواء كانت الفوارق في ألفاظ مختلفة بمعان متفقة أم كانت في الإمالة والفتح ، التفخيم والترقيق ، أم كانت في إبدال حرف مكان حرف آخر ، أو كلمة مكان أخرى ، أو غير ذلك مما تختلف فيه اللغات .

يقول ابن قتيبة - رحمه الله - :" فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بأن يقرئ كل أمةٍ بلغتهم ، وما جرت به عاداتهم ، فالهذلي يقرأ: عتى حين ، يريد *﴿ حتى حين﴾*(١) لأنها هكذا يلفظ بها ويستعملها ، والأسدي يقرأ بِعلمون ، تِعلم *﴿ تِسود وجوه ﴾* (٢) ، و *﴿ الم إعهد إليكم﴾*(٣) والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز ، والآخر يقرأ *﴿ وإذا قيل لهم ﴾* (٤) ، *﴿ غيض الماء﴾*(٥) بإشمام الضم مع الكسر ، و *﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ﴾* (٦) ، بإشمام الكسر مع الضم ، و *﴿ما لك لا تأمنا ﴾* (٧) بإشمام الضم مع الإدغام ، وهذا ما لا يطوع به كل لسان ، ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس طويلة ، وتذليلٍ للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل

---

(١) سورة المؤمنون : الآية (٥٤) ، سورة الصافات : الآية (١٧٤ ، ١٧٨) ، سورة الذاريات : الآية (٤٣) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٠٦) . (٣) سورة يس : الآية (٦٠) . (٤) سورة البقرة : الآية (١١) .

(٥) سورة هود : الآية (٤٤) . (٦) سورة يوسف : الآية (٦٥) . (٧) سورة يوسف : الآية (١١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهم متسعاً في اللغات ، ومتصرفاً في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين (١) " .

وهذا الرأي الذي اخترته يشمل ما ذكره الإمام الطبري - رحمه الله - وهو الألفاظ التي تختلف في كيفية التلفظ بها وتتحد في المعنى أو تتقارب ، ويشمل غيره من وجوه الاختلاف الكثيرة في هيئات النطق التي تقتضي التيسير ورفع الحرج كما سبق بيان ذلك .

يقول مكي بن أبي طالب - رحمه الله - :" إن الله - عز وجل - لم يجعل على عباده حرجاً في دينهم ، ولا ضيق عليهم فيما افترض عليهم ، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على رده إلى لغة أخرى إلا بعد تكلف ومؤونة شديدة ، فيسّر الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ، ليقرأ كل قوم على لغتهم وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم ، وعلى ما جرت به عادتهم ، فقومٌ جرت عادتهم بالهمز ، وقوم بالتخفيف ، وقوم بالفتح ، وقوم بالإمالة ، وكذلك الإعراب واختلافه في لغاتهم ، والحركات واختلافها في لغاتهم ، وغير ذلك ، فتفصّح كل قوم ، وقرأوا على طبعهم ولغتهم ولغة من قرب منهم ، وكان في ذلك رفق عظيم بهم ، وتيسير كثير لهم، ونظير هذا في القرآن مما رفق الله به عباده ، ويسر عليهم ، نزول الفرائض والأحكام والأوامر والنواهي لشيء بعد شيء في أكثر من عشرين سنة ، فكانوا لذلك أقبل ، وهو عليهم أسهل"(٢)

وهذا الرأي ينسجم انسجاماً تاماً مع الأحاديث الواردة ، بل الأحاديث تؤيده وخاصة ما جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لجبريل -عليه الصلاة والسلام- :" إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والجارية والشيخ الكبير والعجوز"(٣) فإن التماس النبي -صلى الله عليه وسلم- لأمثال هؤلاء - في طلبه التخفيف - الذين اعتادت ألسنتهم على كيفية معينة في النطق بالكلام ، فيكون من الصعب عليهم التحول مرة واحدة من لغتهم التي اعتادت ألسنتهم على النطق بها إلى لغة أخرى لم يألفوها ، ليقرأوا عليها القرآن الكريم ، دليل على أن المراد بالأحرف السبعة ما ذكرته .

وأما ما يؤخذ على هذا القول من أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم - رضي الله عنهما - اختلفا في القراءة وهما قرشيان ، فيجاب : بأن الفصيح من العرب كان يتكلم بلغتين أو أكثر من لغات العرب ، وخاصة القرشيين منهم ، فقد كانوا يتخيرون أفصح الألفاظ ، وقد ترجم ابن جني في

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٠). (٢) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٥٩). (٣) سبق تخريجه ص (١٠٥ ، ح٥).

Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(الخصائص) لهذا الموضوع بقوله : باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً . ثم قال :" وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد ، من هَنَّا ومن هَنَّا ، رُوِّيتُ عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما : الصقر (بالصاد) وقال الآخر: السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما ، فحكيا له ما هما فيه ، فقال : لا أقولُ كما قلتما ، إنما هو الزقر . أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة ! ! كيف أفاد في هذه الحالة إلى لغته لغتين أخريين معها وهكذا تتداخل اللغات وسنفرد لذلك باباً بإذن الله - عز وجل .

فقد وضح ما أردنا بيانه من حال اجتماع اللغتين أو اللغات في كلام الواحد من العرب" (١)

ويجاب عنه أيضاً بأن عمر - رضي الله عنه - لم ينكر على هشام رضي الله عنه قراءته لمخالفتها لغة قريش ، بل لأنها خالفت القراءة التي سمعها من النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول ابن عطية -رحمه الله- :" وأيضاً فلو كانت لغتهم واحدة بأن تفرضهم جميعاً من قبيلة واحدة ، لما كان اختلافهم حجة على من قال : إن القرآن أنزل على سبع لغات ، لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكِرَ سمع ما ليس في لغته فأنكره، وإنما كان لأنه سمع خلاف ما قرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - وعساه قد أقرأه ما ليس من لغته واستعمال قبيلته " (٢) .

ولعل النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أقرأ أحدهما بما ليس في لغة قريش لكونه عالماً بغيرها من اللغات ، أو لعله أقرأه بألفاظ تختلف في النطق بها بطون قريش ، أو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أقرأ بعض الوفود التي كانت تفد عليه بما يوافق لغتها ، وكان هشام جالساً يسمع هذه القراءة التي تخالف لغته ، ثم قرأ بعد ذلك على هذا الوجه الذي سمعه .

أما فيما يتصل بتحديد هذه اللغات السبع التي نزل عليها القرآن . فقد تباينت أقوال العلماء في تعيينها ووصلت إلى عشرة أقوال ذكر أكثرها السيوطي في الإتقان (٣) . وجميع هذه الأقوال لا تستند إلى دليل مسلم بصحته ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يعين هذه اللغات فالصواب إذن من القول أن يقال : إن القرآن الكريم نزل بأفصح اللغات وأشهرها عند العرب ، لأنه في أعلى درجات البلاغة والفصاحة ، وفي القمة السامقة منها ، وهو معجز متحدى به على أي لغة قرىء عليها ، ومن كان

---

(١) الخصائص لابن جني (٣٧٤/١) . (٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٠/١) . (٣) أنظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٣٥/١-١٣٦)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا شأنه فلا بد أن يختار من لغات العرب أفصحها وأشهرها وأكثرها ذيوعاً ليتحقق معنى التيسير على الأمة . ولا يصار إلى تحديد هذه اللغات إلا بدليل وحجة ، ولا دليل ولا حجة في ذلك فيبقى الأمر على عمومه دون تخصيص بلغات معينة .

قال ابن الجوزي (١) – رحمه الله – :" والذي نراه أن التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح لنا سنده ، ولا يثبت عند جهابذة النقل طريقه ، بل نقول : نزل القرآن على سبع لغات فصيحة من لغات العرب " (٢) .

قد يقال إن بعض القراءات المتواترة لا يتضح فيها معنى التيسير ، وذلك لسهولة القراءة بها على أي قراءة من القراءتين مثال ذلك *(تجري من تحتها الأنهار)* (٣) ،*(تجري تحتها الأنهار)*، *(وما الله بغافل عما يعملون)* ، *(وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث)*(٤) *(عمايعملون)*.

فيجاب عنه بأن اختلاف القراءات القرآنية يرجع إلى سببين :-

أولهما : ما كان سببه اختلاف اللهجات العربية ، والذي لأجله نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف تيسيراً على الناس كالاختلاف في تحقيق الهمز وتسهيله والإمالة والفتح ونحو ذلك .

ثانيهما : ما كان راجعاً إلى خاصية في القرآن نفسه وهي الإعجاز ، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو إلى صيغة التكلم ، وهو ظاهر في القراءات القرآنية نحوقوله *(ولو ترى الذين ظلموا ...الآية)*(٥) .

فقد قرأ بالخطاب نافع وابن عامر ويعقوب وعيسى بخلاف عنه ، وقرأ الباقون بالغيب على أن الذين ظلموا فاعل ، والخطاب في الأولى للرسول -صلى الله عليه وسلم- والمراد تنبيه غيره ، والذين ظلموا مفعول ترى (٦) . فيلاحظ اختلاف المعنيين على القراءتين ، ففي كل قراءة معنى يغني الآية

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التميمي البكري ، جمال الدين ، أبو الفرج ابن الجوزي مؤرخ ، حافظ ، محدث ، مفسر ، واعظ ، فقيه من علماء الحنابلة . له مصنفات كثيرة نافعة بلغت نحو ثلاثمائة مصنف منها : زاد المسير في علوم التفسير ، أسباب النزول ، والمغني ، وتذكرة الأديب في تفسير الغريب . ت ٥٩٧ هـ (انظر معجم المفسرين لعادل نويهض ١/٢٦٨ ، طبقات المفسرين للداودي ١/٢٧٥) .

(٢) فنون الأفنان لابن الجوزي(٥٦) ، الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها (١٩٤) .

(٣) سورة التوبة : الآية (١٠٠) . (٤) سورة البقرة : الآية (١٤٩) (٥) سورة البقرة : الآية (١٦٥)

(٦) انظر اتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي (١٥١) ، حجة القراءات لابن زنجلة (١١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالمعاني العظيمة ، وكل قراءة تُسد مَسَدّ آية مستقلة ، وهذا موضوع واسع ، وهو حري بالدرس والبحث، وإمعان النظر والفكر في اختلاف القراءات لاستنباط المعاني التي تحملها كل قراءة ، وقد كان لشيخي فضيلة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس نظرات جديدة في هذا الموضوع ، أودعها بحثه القيم (القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية) الذي نُشر في مجلة دراسات (١) .

١٩٨٧

(١) مجلة دراسات ، المجلد الرابع عشر ، العدد السابع (١٩٧٨م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة

اختلفت آراء العلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب :-

الأول : مذهب الإمام الطبري وآخرين : الباقي هو حرف واحد منها .

ذهب الإمام الطبري والطحاوي وابن حبان والحارث المحاسبي (١) ، وأبو عمر بن عبد البر والداودي (٢) وأبو عبيد الله بن أبي صفرة (٣) وأبو عمرو الداني (٤) إلى أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أمر الرهط الأربعة الذين اشتركوا في جمع المصحف في عصره أن يكتبوا القرآن على حرف واحد ، كي لا تختلف الأمة في كتابها كما اختلفت اليهود والنصارى في كتابهم ، ففعلوا ، ومن ثَمَّ تم جمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، وترك الناس الأحرف الستة الأخرى طاعة لخليفتهم أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - والتزموا قراءة القرآن وتلاوته على ذلك الحرف ، غاضين الطرف عن الأحرف الأخرى ، حتى اندثرت ، فلا سبيل اليوم لقراءة القرآن عليها لذهابها واندثارها .

وقد رجح هذا القول من المتأخرين : أبو زهرة في كتابه معجزة القرآن (٥) ، وأبو شهبة في المدخل لدراسة القرآن (٦) ، ومناع القطان في كتابه نزول القرآن على سبعة أحرف (٧) .

---

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي ، أبو عبد الله : من أكابر الصوفية ، كان عالماً بالأصول والمعاملات ، واعظاً مبكياً ، له تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم . ت ٢٤٢ هـ . (الأعلام للزركلي ٢/١٥٣) .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود الداودي ، أبو الحسن ، جمال الإسلام ، فقيه ، محدث ، تفقه على القفال المروزي ، وأبي الطيب الصعلوكي ، وأبي حامد الإسفراييني . ت ٤٦٧ هـ . (انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥/١٩٢) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة . فاضل . توفي قبل سنة ٤٢٠ هـ . من آثاره شرح اختصار ملخص القابس (معجم المؤلفين ٨/٢٣٤) .

(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٢٢١ ، ٢٢٩) ، وشرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٠٠) ، والمقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني (١/٤٦) .

(٥) انظر : المعجزة الكبرى (٢٩) . (٦) انظر : المدخل لدراسة القرآن (٢٦١-٢١٨) . (٧) انظر : نزول القرآن على سبعة أحرف (٧٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أطال الإمام الطبري النفس في تأييد هذا القول والدفاع عنه ودحض الشبه التي ترد عليه في مقدمة تفسيره .

حيث قال بعد ذكر طرفاً من الأحاديث والآثار الواردة في جمع القرآن الكريم: " وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب جميعها الكتاب ، والآثار الدالة على أن إمام المسلمين ، وأمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - جمع المسلمين ، نظراً منه لهم ، وإشفاقاً منه عليهم ، ورأفة منه بهم ، حذار الردة بمحضره من بعضهم بعد الإسلام ، والدخول في الكفر بعد الإيمان ، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، مع سماع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النهي عن التكذيب بشيء منها ، وإخباره إياهم ، أن المراء فيها كفر فحملهم - رحمة الله عليه - إذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره ، وبحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إياهم ، بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد ، وجمعهم على مصحف واحد ، وحرف واحد ، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحف ، مخالف المصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه ، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة ، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، طاعة منها له ، ونظراً منها لأنفسها ، ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها لدثورها ، وعفو آثارها ، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها وصحة شيء منها ، ولكن نظراً منها لأنفسها ، ولسائر أهل دينها ، فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد ، الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح ، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية " (١) .

وقد أورد - رحمه الله - على قوله هذا شبهة فقال :" فإن قال بعض من ضعفت معرفته : كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأ هموها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمرهم بقراءتها ؟ "

ثم أجاب عليها قائلاً :" إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٨/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند من يقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قراءة الأمة ، وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين ، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة ، فإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا إذ كان الذي فعلوا من ذلك ، كان هو النظر للإسلام وأهله . فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما لو فعلوه كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة في ذلك .

فأما ما كان من اختلاف القرأة في رفع حرف وجره ونصبه ، وتسكين حرف وتحريكه ونقل حرف إلى أخرمع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم- « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » (١) بمعزل " (٢) .

وقال - رحمه الله - في إجابته عن مصير الأحرف الستة الأخرى في موضع آخر من تفسيره :" لم تنسخ فترفع ولا ضيعتها الأمة ، وهي مأمورة بحفظها ، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه ، بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، كما أمرت إن هي حنثت في يمين وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت إما بعتق ، أو إطعام ، أو كسوة ، فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير فيها بأي الثلاث شاء المكفر ، كانت مصيبة حكم الله مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله ، فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته ، وخيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت ، فرأت لعلة من العلل ، أوجبت عليها الثبات على حرف واحد ، قراءته بحرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه ، بما أذن له في قراءته به " (٣) .

ويقول أبو عمرو الداني - رحمه الله - :" فلما كان زمان عثمان - رضي الله عنه - ووقع الاختلاف بين أهل العراق ، وأهل الشام في القراءة ، وأعلمه حذيفة بذلك رأى هو ومن بالحضرة من الصحابة أن يجمع الناس على حرف واحد من تلك الأحرف ، وأن يسقط ما سواه فيكون ذلك مما يرتفع به الاختلاف ويوجب الاتفاق ، إذ كانت الأمة لم تؤمر بحفظ الأحرف السبعة وإنما خيرت في أيها شاءت

---

(١) انظر : تخريجه ص (١٠٤) . (٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٨/١، ٢٩) . (٣) المرجع نفسه (٢٦/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لزمته ، وأجزأها كتخييرها في كفارة اليمين بالله بين الإطعام والكسوة والعتق ، لا أن يجمع ذلك كله فكذلك الأحرف السبعة " (١) .

وذكر الطحاوي - رحمه الله - أن ذلك كان في وقت خاص لضرورة دعت إليه ، لأن كل ذي لغة كان يشق عليه أن يتحول عن لغته ، ثم لما كثر الناس والكتّاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد (٢) .

وقال ابن عبد البر -رحمه الله - :" فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد " (٣) .

وروى مثل هذا عن الحارث المحاسبي - رحمه الله (٤) .

فواضح مما سبق أن هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى يرون أن المصحف العثماني مشتمل على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن .

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الطبري - رحمه الله - بنى رأيه على ما ذهب إليه في بيان معنى الأحرف السبعة ، وأنها لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني نحو هلم، وتعال ، وأقبل ، وإليّ ، وقصدي ، ونحوي ، وقربي ، فلو لم يقل الإمام الطبري وموافقوه أن المصحف العثماني لا يشتمل إلا على حرف واحد من الأحرف السبعة لطولبوا بمثال من القرآن يؤيد ما ذهبوا إليه في معنى الأحرف السبعة ، وأنى لهم أن يأتوا بمثال على ذلك .

الثاني : أن المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة جميعها .

ذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى اشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة جميعها منهم القاضي أبو بكر الباقلاني ، حيث يقول :" الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت

---

(١) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني (١٢٠) .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٢٤/١) ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/٦) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٢/١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٣/١) ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٢١/١) .

(٤) انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٣٩/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستفاضت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضبطتها عنه الأمة وأثبتها عثمان والجماعة في المصحف وأخبروا بصحتها " (١) .

واحتج أصحاب هذا الرأي لرأيهم بأنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها ، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين ، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك ، ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة ، ولا أن يُجمِعوا على ترك شيء من القرآن (٢) .

يقول أبو بكر الباقلاني - رحمه الله - :" وإنه لا يجوز أبداً أن تتفق الأمة على حظر ما أحله الله تعالى ، وتخطئة من أخبر بصوابه ، لأن ذلك إجماع على خطأ وهو ممتنع على الأمة " (٣) .

وأجيب عما قاله أصحاب هذا الرأي بأجوبة منها ما قاله الإمام الطبري - رحمه الله - من أن القراءة بالأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة ، وإنما كان ذلك مباحاً لهم ومرخصاً فيه ، وقد خيروا في القراءة بأيها شاءوا ، كما في الأحاديث الصحيحة ، فلما رأى الصحابة - رضي الله عنهم - أن الأمة ستفترق وستختلف إن لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً ، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك لواجب ولا فعل لمحظور (٤) .

ويقول ابن عبد البر- رحمه الله - :" فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ، ثم ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف ، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد " (٥) .

وبنحو ذلك قال الطحاوي -رحمه الله- (٦) ، ويلاحظ أن ما ذهب إليه الباقلاني ومن معه موافق

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٠٠) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٢) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٣١) .

(٣) الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للعتر (٢٧٦) نقلاً عن كتاب الانتصار وهو مخطوط .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١/ ٢٦-٢٨) ، النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ٣١-٣٢) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٢) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٢١) .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٤٢) ، وشرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٠٠) ، البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٢٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنسجم مع ما ذهبوا إليه في معنى الأحرف السبعة ، وذلك أن المعنى الذي ذهبوا إليه هو أنها سبعة أوجه ، والرسم العثماني الخالي من النقط والشكل يحتملها رسمه .

الثالث : أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة .

ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط ، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي – صلى الله عليه وسلم – على جبريل – عليه الصلاة والسلام – متضمنة لها لم تترك حرفاً منها (١) . وهو قول أبي العباس المهدوي (٢) ، ومكي بن أبي طالب وابن الجزري وغيرهم .

يقول مكي بن أبي طالب – رحمه الله – :" ... وكان المصحف قد كتب على لغة قريش ، على حرف واحد ليزول الاختلاف بين المسلمين في القرآن ، ولم ينقط ولا ضبط فاحتمل التأويل لذلك " (٣) .

ويقول أيضاً :" فالمصحف كتب على حرف واحد ، وخطه محتمل لأكثر من حرف إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً ، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية " (٤) .

ويقول أبوشامة –رحمه الله– :" والحق أن الذي جُمع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيه بعض ما اختلفت فيه الأحرف السبعة لا جميعها ، كما وقع في المصحف المكي *(تجري من تحتها الأنهار)* (٥) ، في آخربراءة ، وفي غيره بحذف (من) ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار في عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض ، وعدة هاءات ، وعدة لامات ونحو ذلك ، وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معاً ، وأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بكتابته لشخصين أو أعلم بذلك شخصاً واحداً ، أو أمره بإثباتهما على الوجهين " (٦) .

ويقول ابن الجزري –رحمه الله – معقباً على هذا القول :" وهذا القول هو الذي يظهر صوابه لأن

---

(١) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣١/١) .

(٢) هو أحمد بن عمار بن أبي العباس ، الإمام أبو العباس المهدوي ، النحوي المقرئ المفسر ، له مؤلفات قيمة منها : التفصيل الجامع لعلوم التنزيل ، والهداية في القراءات السبع . ت ٤٤٠ هـ . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٩٢/١ ، طبقات المفسرين للداودي ٥٦/١) .

(٣) الإبانة عن معاني القراءات لمكي (٢٣) . (٤) المرجع نفسه (٢٤) . (٥) سورة التوبة : الآية (١٠٠) .

(٦) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٣٨) ، وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٣٠/٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له " (١) .

وبعد . فإن ما أراه راجحاً من هذه الأقوال هو القول الأخير ، والذي ينص على أن المصاحف العثمانية إنما كتبت على حرف واحد من الأحرف السبعة ، وهو حرف قريش ، وطبيعة الرسم الذي رسمت عليه المصاحف وخلوها من النقط والشكل جعلها محتملة لغير هذا الحرف من الأحرف الستة الأخرى ، فالمصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة .

وهذا الرأي هو الذي يؤيده واقع الاختلاف في القراءات المشهورة التي بين أيدينا بخلاف قول الإمام الطبري ومن وافقه . ثم إن الذين قالوا : إن المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة جميعها ، لم يأتوا بدليل على ما ذهبوا إليه إلا بعض العبارات التي تلهب عاطفة السامع كقولهم : إنه لا يجوز لأحد أن يمنع القراءة بما قرأ به النبي – صلى الله عليه وسلم- وأقرأ به غيره ، ولا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة ، لأنها من الوحي المنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وإهمال شيء من الوحي جريمة لا تغتفر ، وجناية على كتاب الله تعالى توجب العقاب ، إلى غير ذلك من العبارات العاطفية .

وإنما قلت إن القول الثالث هو المرجح لدي ؛ لأن السبب الذي من أجله جمع عثمان – رضي الله عنه – المصحف في عصره هو الاختلاف والتنازع اللذان كانا بين المسلمين في ذلك الوقت ، حتى وصل الأمر إلى أن يكفر بعضهم بعضاً ، فكان أن جمع – رضي الله عنه – الناس على مصحف واحد ليزول الاختلاف ، ولو كان المصحف مشتملاً على الأحرف السبعة جميعها لكان عثمان –رضي الله عنه – قد أبقى الاختلاف الذي كرهه ، ولما كان لصنيعه أي فائدة في منع الخلاف بين المسلمين ، وأمير المؤمنين عثمان – رضي الله عنه – إنما أراد جمع الناس على حرف واحد ، وقراءة واحدة ، ومصحف واحد ، ولكن لما كان خط المصحف محتملاً لأكثر من حرف ، وذلك أنه لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً ، جازت القراءة بما يحتمله خط المصحف من الأحرف الأخرى ، ومنعت القراءة بما خالف خط المصحف ، وساعده على ذلك من كان في عصره من الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم .

يقول مكي بن أبي طالب – رحمه الله – :" فعند ذلك اجتمع الناس في الأمصار على مصحف

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣١/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عثمان ، وقرأ أهل كل مصر من قراءتهم التي كانوا عليها بما وافق خط المصحف ، وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف " (١) .

ويقول أيضاً :" ... وكان المصحف إذ كتبوه لم ينقطوه ولم يضبطوا إعرابه ، فتمكن لأهل كل مصر أن يقرأوا الخط على قراءتهم التي كانوا عليها مما لا يخالف صورة الخط ، فقرأ قوم مصحفهم { من كل حَدَب } بالحاء والباء (٢) على ما كانوا عليه ، وقرأ آخرون { من كل جدث } بالجيم والثاء (٣) على ما كانوا عليه ، وقرأ قوم { يقص الحق } بالصاد (٤) على ما كانوا عليه ، وقرأ قوم { يقض الحق } بالضاد (٥) على ما كانوا عليه ، وكذلك ما أشبه هذا ، لم يخرج أحد في قراءته عن صورة خط المصحف " (٦) .

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٥٠) .

(٢) سورة الأنبياء : الآية (٩٦) ، وهي قراءة جميع القراء العشرة (انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ٣١٢) .

(٣) وهي قراءة ابن مسعود (انظر : المحتسب لابن جني ٦٦/٢) .

(٤) سورة الأنعام : الآية (٥٧) ، وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبي جعفر (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٥٨/٢) .

(٥) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (انظر : المرجع نفسه) .

(٦) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٥١ - ٥٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

صلة القراءات بالأحرف السبعة

اختلف الناس في ذلك على أربعة أقوال

القول الأول : أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن .

وهو الرأي السائد والمنتشر بين عوام الناس ، وقد قال به بعض العلماء أيضاً . ومنشأ هذا الوهم هو ما فعله ابن مجاهد -رحمه الله- عندما اختار من القراء الذين كان يموج بهم عصره سبعة قراء- ولم يخطر بباله -رحمه الله- أن القراءات السبع التي اختارها هي الأحرف السبعة - فلما وافق عدد القراء الذين اختارهم عدد الأحرف التي نزل عليها القرآن ظن من لم يعرف أصل المسألة ، ولم تكن له فطنة ، أن المراد بالقراءات السبع الأحرف السبعة ، ولا سيما وقد كثر استعمالهم الحرف في موضع القراءة فقالوا : اقرأ بحرف نافع ، وبحرف عاصم ، فتأكد الظن بذلك ، وليس الأمر كذلك (١) .

وقد نص غير واحد من العلماء على أن مبعث هذا الوهم عند العامة هو صنيع ابن مجاهد -رحمه الله- على غير قصد منه لذلك، منهم مكي بن أبي طالب وعبد الرحمن الرازي (٢)، وأحمد بن عمار المهدوي ، والجعبري (٣) ، وابن تيمية ، وأبو شامة ، وإسماعيل بن إبراهيم بن محمد القراب (٤) وغيرهم (٥) .

---

(١) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣٦/١) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/١) وفتح الباري لابن حجر العسقلاني (٣٢/٩) .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن بندار بن جبريل العجلي الرازي ، أبو الفضل : إمام في القراءات والروايات ، عالم بالأدب والنحو ، له كتاب فضائل القرآن . ت ٤٥٤ هـ . (انظر : معجم المفسرين لعادل نويهض ٢٦١/١ ، غاية النهاية في طبقات القراء ٣٦١/١) .

(٣) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس ، العلامة ، الأستاذ أبو محمد الربعي الجعبري ، محقق حاذق ، ثقة كبير ، شرح الشاطبية والرائية ، وألف التصانيف في أنواع العلوم . ت ٧٣٢ هـ . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٢١/١) .

(٤) هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أبو محمد السرخسي ، أخو الحافظ إسحاق القراب ، مقرئ إمام في القراءات والفقه والأدب ، ألف كتاباً في مناقب الشافعي رحمه الله . ت ٤١٤ هـ . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١٦٠/١) .

(٥) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣٦/١ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦) ، المرشد الوجيز لأبي شامة (١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧) ، فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢٠/٩ - ٢١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن العلماء الذين قالوا بهذا القول : أبو الحسن علي بن محمد الخازن - رحمه الله - حيث يقول : "وقيل هي سبع قراءات ، وهو الصحيح الموافق للحديث ، لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وضبطها عنه الصحابة ، وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف ، وأخبروا بصحتها ، وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً " (١) .

وتابعه على هذا القول الشيخ سليمان الجمل - رحمه الله - في حاشيته على الجلالين حيث يقول :"... واختلفوا في المراد بالسبعة أحرف على أقوال ، والصحيح منها أن المراد بها القراءات السبع ، لأنها التي ظهرت واستفاضت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وضبطها عنه الصحابة ، وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف ، وأخبروا بصحتها ، وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً " (٢) .

ولا شك أن هذا الرأي فاسد بعيد كل البعد عن الصواب ، لأنه يلزم على القول به أمور خطيرة منها :

١- يترتب على هذا القول : ألا يكون لما صنعه أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - من كتابة المصاحف ، وحمل الناس عليها أي فائدة .

٢- ويلزم عليه أيضاً : أن تكون قراءات الأئمة السبعة قد استوعبت الأحرف السبعة ، وحينئذ تكون قراءات غير السبعة مثل قراءة أبي جعفر ويعقوب ليست من الأحرف السبعة،وليس الأمر كذلك .

يقول مكي بن أبي طالب -رحمه الله- :" فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو أحد الحروف السبعة ، التي نص النبي -صلى الله عليه وسلم- عليها ، فذلك منه غلط عظيم ، لأن فيه إبطالاً أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة ، وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد ، ويجب منه أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً ، إذ قد استولوا على السبعة الأحرف عنده ، فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده ، ويجب من هذا القول أن تترك القراءة بما روى عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة ، مما يوافق خط المصحف ، مما لم يقرأ به هؤلاء السبعة . ويجب منه ألا تُروى قراءة عن ثامن

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (١١/١) .

(٢) الفتوحات الإلاهية (٤/١) . (٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٣٠/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما فوق لأن هؤلاء السبعة عند معتقد هذا القول ، قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة .

وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ، ممن هو أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلاء السبعة على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ، ذكر بعض هؤلاء السبعة .....

وكذلك يلزم أن تكون قراءة كل واحد من أئمة حمزة أحد الأحرف السبعة ، فتبلغ الحروف السبعة على هذا إلى أكثر من سبعة آلاف .

وكذلك أبو عمرو إنما قرأ على ابن كثير وغيره ، وقراءة ابن كثير عند هذا الظان ، أحد الحروف السبعة ، وقراءة أبي عمرو كذلك ، فيجب أن تكون قراءة من قرأ على أبي عمرو وغيره أحد الحروف السبعة . وكذلك من قرأ عليه ابن كثير قراءته أحد الحروف السبعة لأنهم كلهم مختلفون في قراءتهم وروايتهم ، وهذا تناقض ظاهر .

وأيضاً فإن هؤلاء السبعة ، قد روى عنهم جماعة ، فيجب أن تكون قراءة كل من روى عنهم باختلاف أحد الحروف السبعة ، فيبلغ عدد الحروف السبعة إلى ما لا يحصى " (١) .

القول الثاني : أن القراءات السبع والثلاث المكملة للعشر وقراءة الحسن البصري واليزيدي وغيرها من القراءات الثابتة كلها ليست إلا حرفاً واحداً من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، وهو الحرف الذي كتب عليه عثمان – رضي الله عنه – المصاحف .

وقد ذهب إلى القول بهذا الإمام الطبري وابن عبد البر والداودي وابن أبي صفرة ونسبه القاضي عياض (٢) إلى أئمة السلف والعلماء (٣) .

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – :" فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة " (٤) .

---

(١) الإبانة من معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٥-٢٩) .

(٢) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل : إمام وقته في الحديث وعلومه ، عالم بالتفسير والفقه واللغة والنحو وكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ، أندلسي الأصل . ت٥٤٤ هـ . (انظر : معجم المؤلفين لعادل نويهض ١/٤٠٦) .

(٣) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/٤٠-٤١) ، شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٠٠) ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤٦) جامع البيان عن تأويل اي القرآن للطبري (١/٢٨-٢٩) .

(٤) جامع البيان عن تأويل اي القرآن للطبري (١/٢٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أيضاً :" ... فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة فمن معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :"أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف "(١) بمعزل " (٢) .

ويقول أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم (٣) - من تلاميذ الإمام الطبري - :" وأما ما اختلف فيه أئمة القراء بالأمصار من النصب والرفع والتحريك والإسكان والهمز وتركه والتشديد والتخفيف والمد والقصر وإبدال حرف بحرف يوافق صورته ، فليس ذلك بداخل في معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « أنزل القرآن على سبعة أحرف » (٤) .

ويقول أبو عبيد الله بن أبي صفرة - رحمه الله - :" هذه القراءات السبع إنما شرعت من حرف واحد من السبعة المذكورة في الحديث وهو الذي جمع عثمان عليه المصحف " (٤) .

قلت : إن هذا الرأي لا يتفق وواقع الاختلاف بين القراءات والتي مرجعها اختلاف لغات العرب في كيفية النطق بالكلمات ، وذلك أن الإمام الطبري نفسه - رحمه الله - ذكر في غير موضع من تفسيره عند حديثه عن توجيه القراءات أن بعض القراءات سبب الاختلاف بينها هو اختلاف لهجات القبائل أو لغاتها ، فبين أن وجه من قرأ كذا أنها لغة تميم مثلاً ومن قرأ بكذا أنها لغة أهل الحجاز وهكذا(٥) .

القول الثالث : أن القراءات الثابتة سواء في ذلك العشر وغيرها هي بمجموعها الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ، وهو قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم (٦) .

وحجتهم في ذلك أن الأمة لا يجوز لها ترك شيء من الأحرف السبعة وإلا تكون الأمة جميعها عصاة مخطئين في ترك ما تركوا منه ، كيف وهم معصومون من ذلك .

---

(١) انظر : تخريجه ص (١٠٤) . (٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٢٩/١) .

(٣) هو عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ، أبو طاهر البغدادي البزار ، الأستاذ الكبير ، الإمام النحوي ، العلم الثقة ، مؤلف كتاب البيان والفصل . تصدر للإقراء بعد ابن مجاهد ، وقصده الأكابر فتحلقوا عنده ، لم ير بعد ابن مجاهد في القراءات مثله . ت ٣٤٩ هـ . وقد جاوز السبعين (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤٧٥) . (٤) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٤٩) . انظر : تخريج الحديث ص (١٠٥) .

(٥) انظر : ص (٢١١) وما بعدها . (٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/١٠٠) .

(٦) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/٤١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واجاب ابن الجزري -رحمه الله- عن هذا القول فقال :" وأنت ترى ما في هذا القول ، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأمصار الأول قل من كثر ، ونزر من بحر ، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين ، وذلك أن القراء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى ، وطوائف لا تستقصى والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جرا ، فلما كانت المائة الثالثة ، واتسع الخرق ، وقل الضبط ، وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان في ذلك العصر ، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات (١) .

ثم إن القول بهذا لا يجعل أي فائدة لما صنعه عثمان - رضي الله عنه - لمنع اختلاف المسلمين ، ووضع حد للتنازع بينهم ، وإن كان عثمان - رضي الله عنه - أبقى الأحرف السبعة واستمر تناقل المسلمين لها إلى اليوم ، فكيف أنهى عثمان - رضي الله عنه - الخلاف بين المسلمين ، وما فائدة أمره للصحابة - رضي الله عنهم - بتحريق المصاحف التي في حوزتهم .

القول الرابع : ان القراءات جزء من الأحرف السبعة لا كلها ولا حرف واحد منها .

ذهب إلى القول بهذا أبو العباس أحمد بن عمار المقرئ ومكي بن أبي طالب وابن الجزري وغيرهم (٢) .

يقول أبو العباس أحمد بن عمار المقرئ - رحمه الله - في شرح الهداية :" أصح ما عليه الحذاق من أهل النظر في معنى ذلك :إنما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن . وتفسير ذلك أن الحروف السبعة التي أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن القرآن نزل عليها تجري على ضربين :

أحدهما : زيادة كلمة ونقص أخرى ، وإبدال كلمة مكان أخرى ، وتقديم كلمة على أخرى ، وذلك نحو ما روي عن بعضهم : *(ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم)* (٣) في مواسم الحج(٤)

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣٣/١) .

(٢) انظر المرشد الوجيز لأبي شامة (١٤٠ ، ١٥١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣١/١) ، الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٢) ، شرح النووي على صحيح مسلم (١٠٠/٦) .

(٣) سورة البقرة الآية : (١٩٨) .

(٤) وهي قراءة مروية عن ابن عباس - رضي الله عنه - (انظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ٢٨٣/٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وروي عن بعضهم : { حم سق } (١) و { إذا جاءفتح الله والنصر } (٢) فهذا الضرب وما أشبهه متروك ، لا تجوز القراءة به ، ومن قرأ بشيء منه غير معاند ولا مجادل عليه وجب على الإمام أن يأخذه بالأدب ، بالضرب والسجن على ما يظهر له من الإجتهاد ، فإن جادل عليه ودعا الناس إليه وجب عليه القتل ، لقول النبي – صلى الله عليه وسلم – :« فلا تماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر »(٣) ولإجماع الأمة على اتباع المصحف المرسوم .

والضرب الثاني : ما اختلف القراء فيه من إظهار ، وإدغام ، وروم ، وإشمام ، وقصر ، ومد ، وتخفيف ، وشد ، وإبدال حركة بأخرى ، وياء بتاء ، وواو بفاء ، وما أشبه ذلك من الاختلاف المتقارب ، فهذا الضرب هو المستعمل في زماننا هذا ، وهو الذي عليه خط مصاحف الأمصار ، سوى ما وقع فيه من اختلاف في حروف يسيرة .

فثبت بهذا أن هذه القراءات التي نقرؤها ، هي بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن(٤) ، استعملت لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة وترك ما سواها من الحروف السبعة لمخالفتها لمرسوم خط المصحف ، إذ ليس بواجب علينا القراءة بجميع الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن .

ويقول مكي بن أبي طالب – رحمه الله – : " إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم ، وصحّت روايتها عن الأئمة ، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووافق اللفظ بها خط المصحف ، مصحف عثمان ... فالمصحف كتب على حرف واحد ، وخطه محتمل لأكثر من حرف ، إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً ، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية (٥) .

وبعد فإن الرأي الذي هو أقرب الآراء للصواب وأمثلها بما دلت عليه الآثار هو الرأي الأخير والذي ينص على أن القراءات جزء من الأحرف السبعة . وذلك أن هذا الرأي أقرب الآراء إلى

---

(١) وهي قراءة مروية عن ابن عباس وابن مسعود –رضي الله عنهما– في موضع قوله تعالى (حم عسق) في أول سورة الشورى . (انظر : جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ٢٥/٦) .

(٢) وهي قراءة مروية عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في موضع قوله تعالى { إذا جاء نصر الله والفتح } في أول سورة النصر . (انظر : كتاب المصاحف لابن لأبي داود السجستاني (٨١) .

(٣) سبق تخريجه ص (١٠٦) .

(٤) المرشد الوجيز لأبي شامة (١٤٠–١٤٢) .

(٥) الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٢ ، ٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنى التيسير ورفع الحرج من القول بأنها ترجع إلى حرف واحد فإنه يظهر من اختلاف القراءات في هيئات النطق من إمالة وفتح وتخفيف الهمز وتسهيله معنى التيسير ، وذلك أن بعض القبائل كانت تنطق بالإمالة وأخرى بالفتح ، وهذه بتسهيل الهمز وأخرى بتحقيقه . فأن تكون الاختلافات بين القراءات على هذا النحو دليل على أن القراءات جزء من الأحرف السبعة لا أنها ترجع إلى حرف واحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

منهج الإمام الطبري في القراءات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : المعالم العامة لمنهجه في القراءات

المبحث الثاني: منهج الإمام الطبري في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها

المبحث الثالث : الترجيح والاختيار في القراءات ومنهجه فيه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول

المعالم العامة لمنهجه في القراءات

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : أنواع القراءات التي استعرضها

المطلب الثاني : نسبة القراءات إلى قارئها

المطلب الثالث : ضوابط قبول القراءة وردها عند الإمام الطبري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

منهج الإمام الطبري في القراءات

المبحث الأول

المعالم العامة لمنهجه في القراءات

المطلب الأول : أنواع القراءات التي استعرضها

لم يقتصر الإمام الطبري -رحمه الله- على ذكر القراءات الصحيحة المستفيضة المتواترة فحسب كما هو الحال عند بعض المفسرين ، بل تحدث عن جميع أوجه القراءات الواردة في اللفظة القرآنية سواء منها الصحيح المستفيض المستعمل ، أم الضعيف الشاذ المتروك .

وقد استعرض -رحمه الله - أوجه القراءات الواردة في معظم ألفاظ القرآن الكريم ، ولم يفته منها إلا النزر اليسير ، فقد ذكر القراءات المشهورة المستفيضة ، التي تلقتها الأمة بالقبول ، والشاذة التي لم تحظ بقبول لدى الحجة من القراء ، وذكر ما وافق منها مرسوم مصاحف المسلمين ، وما خالف منها مرسوم المصاحف ، وذكر أيضاً ما كان له وجه قوي في العربية ، وما كان وجهه ضعيفاً فيها ، وذكر القراءات المروية عن الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - والتي هي كذلك في مصاحفهم ، والقراءات المروية عن التابعين أو عن أئمة القراءة المشهورين وغيرهم ناسباً كل قراءة لمن قرأ بها ، موجهاً القراءات على المعاني المختلفة ، محتجاً لها مرجحاً بينها ، ثم اختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور من القراءات مبيناً علة اختياره والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، ويدرك ذلك من له خبرة بتفسيره -رحمه الله - وسأقتصر على ذكر بعضها موضحاً بها ما سبق ذكره .

من ذلك حديثه عن القراءات في قوله تعالى [*مالك يوم الدين*] (١) حيث بين -رحمه الله- أن القراء مختلفون في قراءة هذه الآية ، فبعضهم يقرؤها [*ملك يوم الدين*] بدون ألف (٢) ، وبعضهم-

---

(١) سورة الفاتحة : الآية (٤) . (٢) وهي قراءة المدنيين وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة . (انظر : النشر في القراءات العشر ١/٢٧١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقرؤها *[مالك يوم الدين]* بالألف (١) ، وبعضهم يقرؤها *[مالكَ يوم الدين]* بنصب الكاف (٢) " ثم بين تأويل الآية على كل قراءة من القراءتين الأوليين مبيناً أولى التأويلين بالصواب ، وأصح القراءتين في التلاوة ، مشيراً إلى العلة التي من أجلها اختار ما اختاره من التأويلين والقراءتين . ثم ذكر بعد ذلك تأويل الآية على قراءة من قرأ *[مالكَ يوم الدين]* بنصب الكاف ، ثم بين أنها قراءة محظورة غير جائزة ، لإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفض القراءة بها (٣) .

فيلاحظ في المثال السابق أن الإمام الطبري - رحمه الله - ذكر قراءتين صحيحتين متواترتين وهما قراءة (مالك) ، و (ملك) ، وأخرى شاذة وهي قراءة (مالكَ) بنصب الكاف .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى : *[وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ...]* (٤) حيث يقول :

" وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة (تَزَّاوَرُ) بتشديد الزاي (٥) بمعنى : تتزاور بتاءين ثم أدغم إحدى التاءين في الزاي ، كما قيل : (تظّاهرون عليهم) .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (تَزَاوَرُ) بتخفيف التاء والزاي (٦)، كأنه عنى به تفاعل من الزور.

وروى عن بعضهم (تَزْوَرُّ) بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء (٧) مثل تحمرُّ .

وبعضهم : (تَزْوَارُّ) مثل تحمارُّ (٨) .

والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان ، أعني (تَزَاوَرُ) بتخفيف الزاي ، و (تَزَّاوَرُ) بتشديدها معروفتان ، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في قراء الأمصار ،

---

(١) وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٧١/١) .

(٢) وهي قراءة شاذة قرأ بها المطوعي (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٢٢) .

(٣) جامع البيان عن تاويل اي القران (٦٥/١-٦٨) .

(٤) سورة الكهف : الآية (١٧) .

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر (انظر : النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢) .

(٦) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع نفسه) .

(٧) وهي قراءة ابن عامر ويعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٣١٠/٢) .

(٨) لم يقرأ بها أحد من القراء الأربع عشر . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٨٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب .

وأما القراءتان الأخريان فإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما ، وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم ، لشذوذهما عما عليه قرأة الأمصار" (١) .

قلت : إن القراءة الثالثة بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء بلا ألف قراءة صحيحة متواترة قرأ بها ابن عامر ويعقوب ولا يصح أن توصف بالشذوذ لأن هذين القارئين وإن قرءا بخلاف قراءة القراء إلا أن قراءتهما ليست شاذة بل هي صحيحة متواترة .

أما القراءة الرابعة (تزوارُ) فهي قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة أصحاب القراءات المتواترة .

ومن أمثلة القراءات التي ذكرها وهي مخالفة لرسم المصحف قراءة ابن مسعود -رضي الله عنه- قوله تعالى **{ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ...}**(٢) بالثاء في (وفومها) (٣) .

وقراءة ابن عباس – رضي الله عنه – قوله تعالى **{ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم }** (٤) بزيادة في مواسم الحج (٥) .

وقراءة ابن عباس – رضي الله عنه – قوله تعالى : **{ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً }** (٦) ، وكان أمامهم ملك (٧) .

وقراءة ابن مسعود وأبيٍّ – رضي الله عنهما – : **{ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً }** (٨) .

على أن أبا حيان -رحمه الله- ذكر أن بعض العلماء يرى أنها تفسير لا قراءة (٩) .

ومع أن الإمام الطبري -رحمه الله- قد استعرض القراءات الواردة في معظم ألفاظ القرآن الكريم ، إلا أنه قد فاته الحديث عن بعض القراءات المشهورة مثال ذلك القراءات الواردة في قوله تعالى

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (١٥/٢١٠) . (٢) سورة البقرة : الآية (٦١) . (٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (١/٣١٢)

(٤) سورة البقرة : الآية (١٩٨) . (٥) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٢/٢٨٣) . (٦) سورة الكهف : الآية (٧٩) .

(٧) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (١٦/١) . (٨) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (١٦/٢) . (٩) البحر المحيط لأبي حيان (٢/٣٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ *ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ...* } (١) بنصب لفظ (البر) ورفعه (٢) ، فقد قرأ حمزة وحفص بالنصب ، وباقي العشرة بالرفع (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى { *وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ...* } (٤) حيث قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وروح {وما الله بغافل عما تعملون } بالخطاب ، والباقون بالغيبة . (٥) .

ومن ذلك أيضاً اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى { *ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون * ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ...* } (٦) حيث قرأ أبو عمرو { وما الله بغافل عما يعملون} بالغيب والباقون بالخطاب (٧) .

ومن ذلك أيضاً اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى { *والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم* } (٨) حيث قرأ ابن كثير بزيادة كلمة (من) وخفض تاء (تحتها) ، وقرأ الباقون بحذف لفظ (من) وفتح التاء (٩) .

والإمام الطبري – رحمه الله- لم يتعرض للاختلافات الحاصلة بين القراء في هيئات النطق كالفتح والإمالة ، وتحقيق الهمز وتسهيله ، والتفخيم والترقيق في اللامات والراءات وغير ذلك من الاختلافات التي أطلق عليها في اصطلاح علماء القراءات أصولاً ، وذلك لأنه لا ينبني على الاختلاف فيها فائدة من حيث تأويل معنى الآيات وتفسيرها ، لأنها اختلافات في النطق بما لا يغير من صورة الكلمة أو معناها شيئاً .

---

(١) سورة البقرة (١٧٧) . (٢) انظر : جامع البيان عن تاويل اي القران (٢/٩٤-١٠٢) . (٣) انظر : النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٦).

(٤) سورة البقرة : الآية (١٤٤-١٤٥) وانظر : جامع البيان عن تاويل اي القران (٢/١٩-٢٤) . (٥) انظر : النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٣).

(٦) سورة البقرة : الآية (١٤٩ ، ١٥٠) وانظر : جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢/٣٠-٣١) .

(٧) انظر : النشر في القراءات العشر (٢/٢٢٣) . (٨) سورة التوبة : الآية (١٠٠) ، وانظر : جامع البيان عن تاويل آي القرآن (١١/٦-٩) .

(٩) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٨٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني : نسبة القراءة إلى قارئها

اختلفت مناهج المفسرين من حيث نسبة القراءة إلى قارئها اختلافاً بيناً يدركه كل من يقرأ في تفاسير العلماء التي بين أيدينا ، فعلى حين نجد أن بعض المفسرين يولي هذه القضية اهتماماً مميزاً فلا يذكر قراءة في تفسيره إلا ويبين من قرأ بها ، وهل هي صحيحة متواترة متلقاة من قبل الأمة بالقبول أو شاذة تقاصرت عن مرتبة القبول أو مردودة لا أصل لها في الكتب التي جمعت القراءات برواياتها وطرقها .

أقول على حين نجد بعضهم كذلك ، نجد آخرين لا يهتمون بهذه القضية ، ولا يلقون لها بالاً ، فتراهم يذكرون القراءات سرداً دون توثيق ، أو نسبة لمن قرأ بها ، ودون أن ينبهوا على صحة القراءة الصحيحة ، ولا على شذوذ الشاذة ، ولا على التي لا أصل لها بأنها كذلك فيختلط عندهم الحابل بالنابل ، ويكون القارئ في حيص بيص لا يميز بين القراءات من حيث القبول والرد ، فلا تكون الفائدة من القراءات في تفاسيرهم إلا يسيرة ، لأن اعتماد القراءات الأساسي على التوثيق والنسبة .

ثم إن أولئك الذين أولوا هذه القضية اهتماماً يتفاوتون في ذلك وتختلف مناهجهم كذلك ، فعلى حين نجد بعضهم ينسب القراءة لمن قرأ بها من القراء تحديداً كأن يقول : قرأ نافع أو عاصم أو البصريان كذا . نجد آخرين ينسبون القراءة لأهل البلد الذين يقرأون بها كأن يقولوا : قرأ أهل المدينة أو أهل البصرة ، أو أهل العراق أو معظم أهل الشام كذا وكذا .

ومسألة اختلاف مناهج المفسرين في نسبة القراءة ، وتغاير طرقهم ، حرية بالوقوف عندها ، وإمعان النظر فيها لمعرفة الأسباب التي تكمن وراء ذلك .

وقد وقفت عند هذه المسألة أتأملها وأمعن النظر والفكر فيها فهداني الله لما أرجو أن يكون صواباً إن شاء الله تعالى .

* إن اختلاف مناهج المفسرين في نسبة القراءة يرجع إلى عدة أمور منها :-

أولاً : ما كان يتمتع به المفسر من سعة علم واطلاع وتمكن في علم القراءات .

ثانياً : العصر الذي عاش فيه المفسر ، أكانت حياته في القرن الثاني أو الثالث حيث كثرة القراءات وتعدد القراء وانتشارهم في كل بلد ومصر ، أم كانت حياته في القرن الرابع أو ما بعده حيث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختار ابن مجاهد - رحمه الله - من القراء الذين كثروا في بلاد المسلمين ، ومن القراءآت التي بلغت حداً كبيراً ، سبعة قراء ممن اشتهر أمرهم وطال عمرهم في الإقراء وكانوا مع ذلك ثقاتاً أثباتاً أمناء ، فتابعه الناس على ذلك فأصبحت قراءات هؤلاء القراء هي التي تدرس ، وتُتَنَاقلِ في البلاد الإسلامية .

ولبيان ذلك أقول : إن المفسر إذا كان متبحراً في علم القراءات ، تلقى القراءات مشافهة عن شيوخه ، وكان يولي القراءات عناية خاصة في حياته العلمية من كثرة الدرس والاطلاع على ما كتبه العلماء الأجلاء من تاليف في القراءات . أقول : إن كان المفسر كذلك فإن القراءات ستأخذ حيزاً في تفسيره يتناسب مع قدر اهتمامه بها ، وتحصيله لها .

فهذا أبو حيان (١) - رحمه الله - أجمع من ترجم له على أنه كان نحوياً ، مفسراً ، محدثاً ، مقرئاً، اديباً ، عالماً ، متبحراً في هذا كله ، وقد تلقى القراءات مشافهة عن شيوخه كما ذكر ذلك هو في مقدمة تفسيره(٢) .

ثم إن أبا حيان -رحمه الله- عد علم القراءات من الأدوات المهمة التي يحتاجها المفسر في تفسيره لكلام الله تعالى ، وأساساً من الأسس التي يقوم عليها تفسير كتاب الله تعالى ، وأن المفسر إن لم يكن عنده علم بالقراءات ، فسيخفى عليه كثير من الدقائق القرآنية ، ولا يستطيع كشف اللثام عن بعض معاني ألفاظ كتاب الله العظيمة ، حيث قال :" الوجه السابع : اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة ، وإتيان لفظ بدل لفظ ، وذلك بتواتر وآحاد ، ويؤخذ هذا كله من علم القراءات " (٣) .

ثم أضاف قائلاً : " فهذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب الله إلا من أحاط بجملة غالبها من كل وجه منها " (٤) .

لذلك فإنا نجد أن للقراءات في تفسيره حظاً وافراً ، وهو لا يذكر القراءات سرداً دون توثيق أو نسبة ، بل نجده لا يذكر القراءة إلا منسوبة إلى من قرأ بها من القراء السبعة ، أو غيرهم .

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، أبو عبد الله ، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، نحوي عصره ، ولغويه ، ومفسره ، ومحدثه ، ومقرئه ، ومؤرخه ، وأديبه . له تصانيف كثيرة جليلة . ت ٧٤٥ هـ . (طبقات المفسرين للداودي ٢/٢٨٧) .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان (١/٧) .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله***] (١) ، حيث يقول : " وقرأ الأخوان (٢) وأبو بكر والأعمش من طريقه (قُرح) بضم القاف فيهما ، وباقي السبعة بالفتح ، والسبعة على تسكين الراء ، وقال أبو علي : والفتح أولى . انتهى ، ولا أولوية إذ كلاهما متواتر .

وقرأ الأعمش إن تمسسكم بالتاء من فوق ، قروح بالجمع " (٣) .

ومثال ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم ....***] (٤) . حيث يقول : "وقرأ قالون وقنبل (اللائي) هنا وفي المجادلة والطلاق بالهمز من غير ياء ، وورش بياء مختلة الكسر، والبزي وأبو عمرو بياء ساكنة بدلاً من الهمزة ، وهو بدل مسموع لا مقيس ، وهي لغة قريش ، وباقي السبعة بالهمز وياء بعدها .

وقرأ عاصم تظاهرون بالتاء للخطاب وفي المجادلة بالياء للغيبة مضارع ظاهر ، وبتشديد الظاء والهاء الحرميان (٥) وأبو عمرو ، وبتشديد الظاء وألف بعدها ابن عامر ، وبتخفيفها والألف حمزة والكسائي ، ووافق ابن عامر الآخرين في المجادلة ، وباقي السبعة فيها بشدها ، وقرأ ابن وثاب فيما نقل ابن عطية بضم الياء وسكون الظاء وكسر الهاء مضارع أظهر ، وفيما حكى أبو بكر الرازي عنه بتخفيف الظاء لحذفهم تاء المطاوعة وشد الهاء ، وقرأ الحسن تظهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وشد الهاء مضارع ظهَّر مشدد الهاء ، وقرأ هارون عن أبي عمرو وتظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخفف الهاء ، وفي مصحف أبيّ تتظهرون بتاءين فتلك تسع قراءات " (٦) .

يلاحظ في المثالين السابقين أن أبا حيان -رحمه الله- ذكر جميع القراءات الواردة في الآية ، ولم يذكر قراءة منها على كثرتها إلا وهي منسوبة لمن قرأ بها سواء كان القارئ من القراء السبعة أو من غيرهم .

أما الزمخشري -رحمه الله- فقد كان على غير ذلك ، فهو لم يعرف له اهتمام مميز بالقراءات ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٤٠) .
(٢) وهما حمزة والكسائي .
(٣) البحر المحيط لأبي حيان (٦٢/٣) .
(٤) سورة الأحزاب : الآية (٤) .
(٥) وهما نافع وابن كثير .
(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٢١١/٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يرو أنه درسها أو تلقاها عن شيوخ انقطعوا لتعليمها ، كأبي حيان ، بل كان جل اهتمامه موجهاً لاستخراج النكت البلاغية ، والبيانية من النظم القرآني ، والتأكيد على أن القرآن الكريم في القمة السامقة من الفصاحة والبلاغة .

يقول ابن المنير (١) في حاشيته على الكشاف معقباً على رد الزمخشري لقراءة ابن عامر قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين ...) في سورة الأنعام :" فإن المنكَر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعاً وضرورة ، ولولا عذر أن المنكر ليس من أهل الشأنين ، أعني علم القراءة وعلم الأصول ، ولا يعد من ذوي الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين ... " (٢) .

لذلك نجد أن الزمخشري - رحمه الله - لا يعتني بتوثيق القراءات ولا بنسبتها إلى قارئها ، فتراه في مواطن كثيرة من تفسيره يذكر القراءات سرداً دون تمييز بين صحيحها وشاذها ، وهذا هو الطابع العام لمنهجه في القراءات .

مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم }* (٣) ، حيث يقول :" وقرئ بنصب (آدم) ورفع (كلمات) على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به " (٤) .

وقوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فبهت الذي كفر }* (٥) حيث يقول :" وقرئ (فبَهَت الذي كفر) أي فغلب إبراهيم الكافر ، وقرأ أبو حيوة (فَبُهت) بوزن قرب " (٦) .

أما بالنسبة للأمر الآخر وهو العصر الذي عاش فيه المفسر وتأثيره في منهجه في القراءات من حيث نسبتها إلى قارئها .

فإن المفسر الذي عاش في القرن الثاني أو الثالث يختلف منهجه في نسبة القراءة عمن عاش بعد ذلك ، وذلك أن القرنين الثاني والثالث كثرت فيهما القراءات كثرة كبيرة ، وكان القراء

---

(١) هو القاضي ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي ، المعروف بابن المنير . له تصانيف حسنة جليلة منها : تفسير كبير سماه : البحر الكبير في نخب التفسير ، وكتاب الانتصار من الكشاف . ت ٦٨٣ هـ . (طبقات المفسرين للداودي ٨٩/١) .

(٢) حاشية ابن المنير على الكشاف (٥٢/٢) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٣٧) .

(٤) الكشاف للزمخشري (٢٧٤/١) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٢٥٨) .

(٦) الكشاف للزمخشري (٢٨٨/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثقات المتقنون كثيرين كذلك ، أما في القرن الرابع وما بعده فقد اشتهرت من تلك القراءات الكثيرة سبعة ، واشتهر من أولئك القراء الكثيرين سبعة اختارهم ابن مجاهد - رحمه الله - وتابعه الناس على ذلك. فالمفسر الذي عاش قبل تسبيع السبعة ، تكون نسبته للقراءات لهؤلاء السبعة وغيرهم من القراء الذين كثر بهم عصره ، أما من عاش بعد اشتهار هؤلاء القراء السبعة وذياع أمرهم في أمصار المسلمين، فإن نسبته للقراءات تكون لهؤلاء السبعة المشهورين ، وقد ينسب بعض القراءات إلى غيرهم بعد نسبة القراءات إليهم ، كما لاحظنا ذلك بوضوح فيما نقلناه من الأمثلة من تفسير أبي حيان - رحمه الله - .

وعند تطبيق الكلام السابق على شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله فإنا نجد أنه - رحمه الله - كان واسع الاطلاع ، مهتماً بالقراءات ، متمكناً فيها ، قد تلقاها مشافهة عن شيوخ أثبات انقطعوا للقراءة والإقراء ، وقد عده كل من ترجم له من المؤرخين من القراء في عصره ، ثم إن الإمام الطبري -رحمه الله - عاش في عصر ابن مجاهد العصر الذي اختار فيه ابن مجاهد القراء السبعة المشهورين نظراً لحاجة الناس الماسة إلى اختيار قراءات يسهل حفظها وتعلمها من ذلك الكم الكثير الذي كان يموج به ذلك العصر ، ولكن تصنيف الإمام الطبري لتفسيره كان قبل اختيار هؤلاء القراء. لذلك كان للإمام الطبري - رحمه الله - منهج خاص من حيث توثيق القراءات ونسبتها إلى قارئها ، يتناسب مع ما ذكرت من تمكنه من علم القراءات ، ووجوده في عصر كثرت فيه القراءات .

وسأحاول في الصفحات التالية الكشف عن منهجه - رحمه الله - في نسبة القراءة إلى قارئها فأقول وبالله التوفيق ومنه العون .

* غلب على منهج الإمام الطبري نسبة القراءة إلى أهل البلد الذين قرأوا بها فهو يقول قرأ أهل الكوفة مثلاً دون أن يحدد من قرأ بذلك من قرائها .

مثال ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى [*في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون*] (١) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (بما كانوا يكذِبون) مخففة الذال مفتوحة الياء (٢) ، وهي قراءة معظم أهل الكوفة .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٠).

(٢) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٠٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقراه آخرون (يُكذِّبون) بضم الياء وتشديد الذال (١) ، وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة " (٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون }* (٣) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة قوله (نكتل) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة والكوفة (نكتل) بالنون (٤) ، بمعنى : نكتل نحن وهو .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة (يكتل) بالياء (٥) ، بمعنى يكتل هو لنفسه ، كما نكتال لأنفسنا" (٦) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون }* (٧) حيث يقول :" واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (قال سلام) بالألف (٨) ، بمعنى قال إبراهيم لهم سلام عليكم .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (سِلْمٌ) بغير ألف (٩) ، بمعنى : قال أنتم سلم " (١٠) .

* ومع أن الإمام الطبري -رحمه الله- ينسب القراءة غالباً إلى أهل البلد الذين يقرأون بها ، إلا أنه ينسب بعض القراءات إلى من قرأ بها من القراء العشرة أو غيرهم وذلك لشهرتهم في البلاد الإسلامية ، فعلى الرغم من كثرة القراء في عصر الطبري -رحمه الله- إلا أنه لا يخلو الأمر من شهرة بعضهم لطول عمرهم في الإقراء ، ولكثرة من يقصدهم من طلاب العلم ليتلقوا القراءة عنهم .

---

(١) وهي قراءة جميع القراء سوى عاصم وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٠٦) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/١٢٣) .

(٣) سورة يوسف : الآية (٦٣) .

(٤) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٥) .

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي (انظر : المرجع السابق) .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/١٠) .

(٧) سورة الذاريات : الآية (٢٥) .

(٨) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي (انظر : النشر في القراءات العشر (٢/٢٩٠) .

(٩) وهي قراءة حمزة والكسائي (انظر : المرجع السابق) .

(١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٦/٢٠٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [*اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين*] (١) حيث يقول : واختلفت القراء في قراءة قوله (فذانك) فقرأته عامة قراء الأمصار سوى ابن كثير وأبي عمرو (فذانِك) بتخفيف النون (٢) ، لأنها نون الاثنين .

وقرأه ابن كثير وأبو عمرو (فذانّك) بتشديد النون (٣) " (٤) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [*وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون*] (٥) ، حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة قوله (يصدقني) فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة (ردءاً يصدقْني) بجزم يصدقني (٦)

وقرأ عاصم وحمزة (يصدقُني) برفعه (٧) ... " (٨) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عن حديثه عن القراءات في قوله تعالى [*وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال*](٩) حيث يقول :"واختلفت القراء في قراءة قوله (لتزول منه الجبال) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق ما خلا الكسائي (وإن كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال) بكسر اللام الأولى ، وفتح الثانية (١٠) بمعنى : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال .

وقرأ الكسائي [وإن كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال) بفتح اللام الأولى ورفع الثانية (١١) .....

---

(١) سورة القصص : الآية (٣٢) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن كثير وأبي عمرو ورويس (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٨) .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ورويس (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢٠/٧٣، ٧٤) .

(٥) سورة القصص : الآية (٣٤) .

(٦) وهي قراءة جميع القراء سوى عاصم وحمزة (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤١) .

(٧) وهي قراءة عاصم وحمزة (انظر : المرجع السابق) .

(٨) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢٠/٧٥) .

(٩) سورة إبراهيم : الآية (٤٦) .

(١٠) وهي قراءة جميع القراء سوى الكسائي (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٠٠) .

(١١) وهي قراءة الكسائي كما ذكر الطبري رحمه الله (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعنى : اشتد مكرهم حتى زالت منه الجبال ، أو كادت تزول منه " (١) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون }* (٢) حيث يقول : " وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (قولُ الحق) برفع القول (٣) ...

وقد قرأ ذلك عاصم ابن أبي النجود ، وعبد الله بن عامر بالنصب (٤) ..... " (٥) .

فيلاحظ في الأمثلة السابقة أن الإمام الطبري - رحمه الله - نسب القراءة إلى أحد القراء السبعة المشهورين ، وذلك لأنه عاش في العصر الذي اختار فيه ابن مجاهد هؤلاء القراء وما كان اختيار ابن مجاهد لهم دون غيرهم إلا لشهرتهم عند كثير من أهل عصرهم بالضبط والإتقان ، وقد عرفوا بذلك عند ابن مجاهد كما عرفوا عند الإمام الطبري . وعند غيرهما ممن عاش في عصرهما من أهل هذا الاختصاص أو ممن كانت عنايتهم بالقراءات ، لذلك نسب الإمام الطبري لهم القراءة أحياناً .

ومن أمثلة نسبته القراءة لغير القراء السبعة قوله عند حديثه في قوله تعالى *{ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون }* (٦) حيث يقول : " واختلفت القراء في قراءة قوله (لتحصنكم) فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار (ليحصنكم) بالياء (٧) ، بمعنى : ليحصنكم اللبوس من بأسكم ، ذكّروه لتذكير اللبوس .

وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع (لتحصنكم) بالتاء (٨) ، بمعنى : لتحصنكم الصنعة ، فأنث لتأنيث الصنعة .

وقرأ شيبة بن نصاح ، وعاصم بن أبي النجود (لنحصنكم) بالنون (٩) ، بمعنى : لنحصنكم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤٦/١٣) . (٢) سورة مريم: الآية (٣٤) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن عامر وعاصم ويعقوب (انظر : النشر في القراءات العشر ٣١٨/٢) .

(٤) وهي قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب (انظر : المرجع السابق) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨٣/١٦) . (٦) سورة الأنبياء : الآية (٨٠) .

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي وروح وخلف (انظر : النشر في القراءات العشر ٣٢٤/٢) .

(٨) وهي قراءة حفص وابن عامر وأبي جعفر (انظر : المرجع السابق) .

(٩) وهي قراءة أبي بكر ورويس (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نحن من بأسكم " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون] (٢) حيث يقول : " واختلفت القراء في قراءة قوله (تكلمهم) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (تُكلِّمهم (بضم التاء وتشديد اللام (٣) ، بمعنى : تخبرهم ، وتحدثهم .

وقرأه أبو زرعة بن عمرو (تَكْلِمهم) بفتح التاء وتخفيف اللام (٤) ، بمعنى تسمهم " (٥) .

* والإمام الطبري - رحمه الله - ينسب القراءة أيضاً لمن قرأ بها من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [الله لا إله إلا هو الحي القيوم](٦) حيث يقول : " اختلفت القراء في ذلك ، فقرأته قراء الأمصار (الحي القيوم) (٧) .

وقرأ ذلك عمر بن الخطاب ، وابن مسعود فيما ذكر عنهما (الحي القيام (٨) ... (٩) " .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى [وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً] (١٠) حيث يقول : " وقرأت قراء الأمصار (وإني خفت الموالي) (١١) ، بمعنى : الخوف الذي هو خلاف الأمن .

وروي عن عثمان بن عفان أنه قرأه (وإني خَفَّتِ الموالي) بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة (١٢).

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [إنكم وما تعبدون من دون

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/٥٥) . (٢) سورة النمل : الآية (٨٢) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء العشرة (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٣٩) ، (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ٣٣٩) .

(٤) وهي قراءة من سماه الطبري رحمه الله .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠/١٦) . (٦) سورة آل عمران : الآية (٢) .

(٧) وهي قراءة جميع القراء (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٧٠) .

(٨) وهي قراءة شاذة قرأ بها المطوعي (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٧٠) .

(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/١٦٣) . (١٠) سورة مريم : الآية (٥) .

(١١) وهي قراءة جميع القراء والأخرى لم يقرأ بها أحد من القراء الأربع عشر (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٩٧) .

(١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٦/٤٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله حصب جهنم أنتم لها واردون) (١) حيث يقول : " واختُلف في قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار (حَصَبُ جهنم) بالصاد (٢) ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه .

وروى عن علي وعائشة – رضي الله عنهما – أنهما كانا يقرءان ذلك (حَطَب جهنم) بالطاء ، وروى عن ابن عباس أنه قرأه (حَضَب) بالضاد " (٣) .

* والإمام الطبري – رحمه الله – في نسبته القراءة لمن قرأ بها من الصحابة –رضي الله عنهم – يذكر ذلك بسنده إلى من قرأ بها من الصحابة – رضي الله عنهم – أحياناً ، وذلك لأن العصر الذي عاش فيه الإمام الطبري – رحمه الله – هو أحد عصور الرواية ، التي كان العلماء يتناقلون أقوال النبي –صلى الله عليه وسلم – وأقوال الصحابة والتابعين بالرواية ، وتفسير الطبري يعد من المصادر الأصيلة في الحديث لكونه يذكر الأحاديث والآثار بسنده عن شيوخه .

* والإمام الطبري – رحمه الله – ينسب القراءة لمن قرأ بها من التابعين – رحمهم الله تعالى .

ومن أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم ...)* (٤) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري (إذ تُصعِدون) بضم التاء وكسر العين (٥) ، وبه القراءة عندنا لإجماع الحجة من القراء على القراءة به . واستنكار ما خالفه .

وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (إذ تَصعَدون) بفتح التاء والعين (٦) ... " (٧) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين)*(٨)، حيث يقول:" وأما القراء من جميع الأمصار ، فإنها قرأت

---

(١) سورة الأنبياء : الآية (٩٨) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء ، أما القراءات الأخرى فلم يقرأ بها أحد من القراء الأربع عشر (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣١٢) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧/٩٤) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (١٥٣) .

(٥) وهي قراءة جميع القراء (انظر: إتحاف فضلاء البشر ٨٠) .

(٦) وهي قراءة الحسن البصري كما ذكر الشيخ (انظر : المرجع السابق) .

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/١٣٢) .

(٨) سورة الأعراف : الآية (٤٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوله (في سَم الخياط) بفتح السين ، وأجمعت على قراءة الجَمَل بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك (١) .

وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ، فإنه حكي عنهم أنهم كانوا يقرأون ذلك (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم (٢) ، على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس " (٣) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه ...]* (٤) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة (لن تُخلَفه) بضم التاء وفتح اللام (٥) بمعنى : وإن لك موعداً لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله ، لن يخلفه الله، ولكن يذيقكه .

وقرأ ذلك الحسن وقتادة وأبو نهيك (وإن لك موعداً لن تُخلِفه) بضم التاء وكسر اللام (٦) ، بمعنى : وإن لك موعداً لن تخلفه أنت يا سامري ، وتأولوه بمعنى لن تغيب عنه " (٧) .

* والإمام الطبري - رحمه الله - ينسب القراءة أحياناً إلى مصاحف الأمصار التي أرسلها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إليها .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير]*(٨) حيث يقول :"وهذا الحرف في مصاحف أهل الحجاز والعراق ، والزبر بغير باء (٩) ، وهو في مصاحف أهل الشام وبالزبر بالباء (١٠) ، مثل الذي في سورة فاطر"(١١) .

وإنما نسب الإمام الطبري - رحمه الله - القراءة لمصاحف الأمصار ليبين أن كلتا

---

(١) وهي قراءة جميع القراء (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٢٤) .
(٢) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن محيصن (انظر : المرجع السابق) .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧٨/٨) .
(٤) سورة طه : الآية (٩٧) .
(٥) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب (انظر : النشر في القراءات العشر ٣٢٢/٢) .
(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٠٧) .
(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠٦/١٦-٢٠٧) .
(٨) سورة آل عمران : الآية (١٨٤) .
(٩) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن عامر (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤٥/٢) .
(١٠) وهي قراءة ابن عامر (انظر : المرجع السابق) .
(١١) جامع البيان من تأويل آي القرآن (١٩٩/٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القراءتين صحيحة ، وذلك أن كل واحدة موافقة لمرسوم أحد مصاحف الأمصار .

يتبين مما سبق أن الغالب على منهج الإمام الطبري - رحمه الله - نسبة القراءة لمن قرأ بها سواء كانت النسبة لأهل بلد ، أم لأحد القراء السبعة أو العشرة أو غيرهم، أم كانت للصحابي أو للتابعي ومع هذا فإنه -رحمه الله - كان يذكر بعض القراءات دون أن ينسبها لمن قرأ بها وهذا قليل في تفسيره.

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***{ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب }*** (١) ، حيث يقول :"واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة منهم (تخرج الحي من الميِّت وتخرج الميِّت من الحي) بالتشديد وتثقيل الياء من الميت (٢) ، بمعنى : أنه يخرج الشيء الحي من الشيء الذي قد مات ، ومما لم يمت .

وقرأت جماعة أخرى منهم (تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) بتخفيف الياء من الميت (٣) بمعنى : أنه يخرج الشيء الحي من الشيء الذي قد مات دون الشيء الذي لم يمت ، وتخرج الشيء الميت دون الشيء الذي لم يمت من الشيء الحي (٤) ".

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***{ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب }***(٥) حيث يقول :" وفي قوله (حتى يقول الرسول) وجهان من القراءة: الرفع(٦)، والنصب (٧)"(٨) ثم بين وجه كل قراءة من حيث النحو والإعراب.

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٢٧) .

(٢) وهي قراءة نافع وحفص وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف ، ووافقهم الأعمش . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، إتحاف فضلاء البشر ١٧٢) .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة (انظر المرجعين السابقين) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/ ٢٢٦) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٢١٤) .

(٦) وهي قراءة نافع (انظر : النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٢٧) .

(٧) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع (انظر : المرجع السابق) .

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/ ٣٤٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث : ضوابط قبول القراءة وردها عند الإمام الطبري

لقد كثرت القراءات في القرن الثالث الهجري ، وكثر الآخذون عن أئمة القرن الثاني ، وتعددت الطرق إليهم تعدداً واسعاً ، ولم يكن الآخذون عن أئمة القرن الثاني على درجة واحدة من الإتقان والتثبت. فاختلفت لذلك القراءات ، فكان منها الصحيح ومنها العليل ، وقد بين ابن الجزري ذلك فقال : " ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين - أي الذين تجردوا للقراءة في الأمصار الخمسة التي أرسلت المصاحف إليها - كثروا وتفرقوا في البلاد ، وانتشروا ، وخلفهم أمم بعد أمم ، عُرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم فكان منهم المتقن للتلاوة والمشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصر على وصف من الأوصاف وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط ، واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق ، فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد ، وبينوا الحق المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات وميزوا بين المشهور والشاذ ، والصحيح والفاذ ، بأصول أصلوها وأركان فصلوها " (١) .

وقد صور ابن مجاهد - رحمه الله - ذلك أصدق تصوير ، وهو الذي دفعه ما رأى إلى أن يختار من بين القراء المنتشرين في أمصار المسلمين سبعة كي لا يلتبس الأمر فتصبح قراءة القرآن فوضى ، لكل أن يقرأ حسب معرفته ، دون علم تام بوجوه القراءات ، ودون تمييز بين صحيحها وسقيمها ، حيث يقول :" وحملة القرآن متفاضلون في حمله ، ولِنَقَلَة الحروف منازل في نقل حروفه ... فمن حملة القرآن المُعْرِبُ العالمُ بوجوه الإعراب والقراءات ، العارف باللغات ومعاني الكلام ، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذي يَفْزَع إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين .

ومنهم من يُعرب ، ولا يلحنُ ولا علم له بغير ذلك ، فذلك كالأعرابي الذي يقرأ بلغته ، ولا يقدر على تحويل لسانه فهو مطبوع على كلامه .

ومنهم من يؤدي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم ، ولا يعرف بالإعراب ولا غيره فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى إذ طال عهده فيضيِّعُ الإعراب لشدة تشابهه ، وكثرة فتحه وضمه

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٩/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكسره في الآية الواحدة ، لأنه لا يعتمد على علم بالعربية ، ولا به بصر بالمعاني يرجع إليه ، وإنما اعتماده على حفظه وسماعه ، وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه الحروف ، فيقرأ بلحن لا يعرفه ، وتدعوه الشبهة إلى أن يروي عن غيره ، ويبرئُ نفسه ، وعسى أن يكون عند الناس مصدقاً فيحمل ذلك عنه وقد نسيه ووهم فيه وجسر على لزومه والإصرار عليه ، أو يكون قد قرأ على من نسي وضيع الإعراب ودخلته الشبهة فيتوهم ؛ فذلك لا يقلد القراءة ولا يُحتج بنقله .

ومنهم من يُعرب قراءته ويبصر المعاني ويعرف اللغات ، ولا علم له بالقراءات واختلاف الناس والآثار ، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعاً " (١) .

لهذا كان لا بد من وضع ضابط محدد ، ليتميز من خلاله صحيح القراءات من شاذها وهذا ما كان بالفعل . فقد تصدى علماء الأمة – رحمهم الله وأجزل لهم المثوبة – للقراءات الكثيرة المتنوعة ، فوضعوا لها ضوابط وشروطاً ، يحكم على أساس هذه الضوابط بصحة القراءة أو شذوذها ، وبقبول القراءة أو ردها.

يقول الدكتور عبد الهادي الفضلي :" إن القراء وضعوا مقاييس للقراءة المتواترة ، ليميزوا بها المتواتر من الشاذ ، ومرت هذه المقاييس بمراحل مختلفة تطورت فيها وفق متطلبات علم القراءات وملابساته ، وأقدم مقياس وقفنا عليه هو مقياس ابن مجاهد ثم تلاه مقياس ابن خالويه فمقياس مكي ابن أبي طالب ، ثم مقياس الكواشي ، وأخيراً مقياس ابن الجزري الذي استقر عليه العرف القرآني حتى اليوم " (٢) .

قلت : بل إن أقدم مقياس وضع للتمييز بين القراءات هو مقياس الإمام الطبري – رحمه الله – وهو من الوضوح والدقة جدير بأن يكون كذلك ، كما سيتضح ذلك في موضعه قريباً .

ليس هذا فحسب بل إني أزعم أن من جاء بعد الإمام الطبري – رحمه الله – كابن خالويه ومكي وابن الجزري – رحمهم الله تعالى – قد تأثروا بما ذكره الإمام الطبري من ضوابط في تفسيره .

---

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (٤٥-٤٦) .

(٢) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف لعبد الهادي الفضلي (١٠٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم إن المقياس الذي ذكر الدكتور الفضلي أن ابن مجاهد وضعه يعتمد على أمرين :

الأول : أن يكون القارئ مجمعاً على قراءته من قبل أهل مصره .

والثاني : أن يكون إجماع أهل مصره على قراءته قائماً على أساس من توفره على العلم بالقراءات واللغة أصالة وعمقاً (١) .

ويلاحظ أن هذين الشرطين اللذين وضعهما ابن مجاهد إنما نظر عند وضعهما إلى القارئ لا إلى القراءة ، وأنه وضعهما أساساً بنى عليه اختياره للقراء السبعة الذين اشتهر أمرهم بعد اختياره لهم .

وقد وضع مكي بن أبي طالب ضوابط وشروطاً لقبول القراءة ، وبين أن هذه الضوابط إن توفرت في القراءة فهي صحيحة مقبولة يقرأ بها حيث يقول :" جميع ما رُوي من القراءات على ثلاثة أقسام : قسم يقرأ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال ، وهي أن ينقل عن الثقات إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً ، ويكون موافقاً لخط المصحف ، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرئ به ، وقطع على مغيبه ، وصحته ، وصدقه "(٢).

أما الضوابط التي وضعها ابن الجزري - رحمه الله - فنتؤخذ مما ذكره في نشره حيث يقول :" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم " (٣) .

ويقول - رحمه الله - في طيبته : "

فكل ما وافق وجه نحـــو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القــرآن ... فهذه الثلاثــــة الأركـــان

وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه فـــي السبعة (٤) .

---

(١) القراءات القرآنية تاريخ وتعريف لعبد الهادي الفضلي (١٠٩).

(٢) الإبانة عن معاني القراءات لمكي (٣٩).

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٩/١).

(٤) طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الإمام الطبري - رحمه الله - فلم ينص في مقدمة تفسيره ، أو في مكان ما منه على ضوابط محددة وشروط معينة يكون على أساسها قبوله للقراءة أو ردها ، إنما يؤخذ ذلك من مجموع تعليلاته التي ذكرها ، والتي على أساسها كان يقبل القراءة أو يردها ، عند حديثه عن القراءات في تفسيره .

وسأحاول فيما يأتي بيان هذه الضوابط معتمداً على أقواله المتناثرة في ثنايا تفسيره فأقول وبالله التوفيق .

لقد أشار الإمام الطبري -رحمه الله - في غير موضع من تفسيره إلى ضرورة التلقي والمشافهة في أخذ القراءات ، لأنها سنة متبعة ، لا مجال للرأي والاجتهاد والقياس فيها ، وإلى أنه لا يجوز وإن كان للكلمة وجه صحيح في العربية أن يقرأ بها ، بل لابد من التلقي والرواية .

ومن أمثلة ذلك قوله :" وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية ، لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية ، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم " (١) .

ويقول أيضاً :" وغير جائز لأحد من أهل الإسلام الاعتراض بالرأي على ما نقله المسلمون وراثة عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم - نقلاً ظاهراً قاطعاً للعذر ، لأن ما جاءت به الحجة من الدين هو الحق الذي لا شك فيه أنه من عند الله ، ولا يعترض على ما قد ثبت ، وقامت به حجة أنه من عند الله بالآراء والظنون والأقوال الشاذة " (٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى [***ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم***] (٣) حيث يقول :" فإن قال : فهل يجوز النصب في قوله (فإخوانكم) قيل : جائز في العربية ، فأما في القراءة فإنما منعناه لإجماع القراء على رفعه ، وأما في العربية فإنما أجزناه لأنه يحسن معه تكرير ما يحمل في الذي قبله من الفعل فيهما ، وإن تخالطوهم فإخوانكم تخالطون ، فيكون ذلك جائزاً في كلام العرب " (٤) .

وقد اعتمد الإمام الطبري -رحمه الله- في قبول القراءة على ثلاثة شروط إن توافرت في أي

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٤٦/٢٢) .

(٢) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٤١/٢) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٢٠) .

(٤) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢٧٣/٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قراءة فهي صحيحة مقبولة ، وإن تخلف أحدها فهي قراءة مردودة غير مقبولة ، والشروط الثلاثة هي :

١- استفاضة القراءة ، وإجماع الحجة من القراء عليها .

٢- موافقة القراءة لرسوم مصاحف المسلمين .

٣- قوة الوجه في العربية ، والأفصح في اللغة .

الشرط الأول : استفاضة القراءة وإجماع الحجة من القراء عليها .

فالقراءة إن لم تكن مستفيضة أومجمعاً عليها من قبل الحجة من القراء فهي قراءة مردودة عنده.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها : قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين }* (١) حيث يقول :" والقراءة على فتح (٢) اللام بمعنى ملكين من الملائكة ... وكان ابن عباس يقرأ (إلا أن تكونا ملِكين) بكسر اللام (٣) ... والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها ، القراءة التي عليها قراء الأمصار وهي فتح اللام من (ملَكين) بمعنى : ملَكين من الملائكة لما تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضاً في قرأة الإسلام من القراءة ، فهو الصواب الذي لا يجوز خلافه " (٤) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون }* (٥) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (وقالوا قلوبنا غلْف) مخففة اللام ساكنة (٦) وهي قراءة عامة الأمصار في جميع الأقطار .

وقرأه بعضهم (وقالوا قلوبنا غُلُف) مثقلة اللام مضمومة (٧) (محركة اللام مضمومة) ....

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٢٠) .

(٢) وهي قراءة القراء العشرة جميعهم . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٢٣) .

(٣) لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/ ١٤٠ - ١٤١) .

(٥) سورة البقرة : الآية (٨٨) .

(٦) وهي قراءة القراء العشرة جميعهم . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤١) .

(٧) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن محيصن . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله (قلوبنا غلف) ، هي قراءة من قرأ (غُلْف) بتسكين اللام بمعنى أنها في أغشية وأغطية ، لإجماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحتها ، وشذوذ من شذ عنهم بما خالفه من قراءة ذلك بضم اللام ، وقد دللنا على أن ما جاءت به الحجة متفقة عليه حجة على من بلغه ، وما جاء به المنفرد فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلاً وقولاً وعملاً في غير هذا الموضع ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا المكان " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***[يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم]*** (٢) حيث يقول : " وقد حكي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه (لا تقولوا راعناً) بالتنوين (٣) بمعنى : لا تقولوا قولاً راعناً ، من الرعونة وهي الحمق والجهل ، وهذه قراءة لقراء المسلمين مخالفة ، فغير جائز لأحد القراءة بها لشذوذها وخروجها عن قراءة المتقدمين والمتأخرين وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين (٤) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***[فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون]*** (٥) حيث يقول :" وقد حكي عن بعضهم أنه كان يقرأ ذلك (فإن خفتم فَرُجَّالاً) مشددة (٦) ، وعن بعضهم أنه كان يقرأ : (فَرَجَالا)(٧) وكلتا القراءتين غير جائزة القراءة بها عندنا . بخلاف القراءة الموروثة المستفيضة في أمصار المسلمين"(٨) .

الشرط الثاني : موافقة القراءة لرسوم مصاحف المسلمين .

لقد اشترط الإمام الطبري لقبول القراءة موافقتها لرسوم مصاحف المسلمين ، وأشار في غير موضع من تفسيره إلى أن القراءة إن خالفت مرسوم المصاحف فهي مردودة ، غير جائز القراءة بها .

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١/٤٠٦-٤٠٨) . (٢) سورة البقرة : الآية (١٠٤) .

(٣) قرأ القراء العشرة (راعنا) بدون تنوين ، وقرأ الحسن وابن محيص بالتنوين . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٥) .

(٤) جامع البيان عن تاويل اي القران (١/٤٧٢) .(٥) سورة البقرة الآية : (٢٣٩)

(٦) قرأ القراء العشرة (فرِجَالا) بكسر الراء وتخفيف الجيم، وقرأ ابن محيصن (فرُجَّلاً) بضم الراء وتشديد الجيم (انظر: إتحاف فضلاء البشر ١٥٩)

(٧) لم يقرأ بها أحد من القراء الأربعة عشر . (٨) جامع البيان عن تاويل اي القران (٢/٥٧٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى { والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ... } (١) حيث يقول : " وأما ما رُوي عن أبيّ بن كعب وابن عباس من قراءتهما (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين ، وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه " (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى { لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم } (٣) حيث يقول : " واختلفت القراء في قراءة قوله (إلا أن تقطع قلوبهم) فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة (إلا أن تُقطع قلوبهم) بضم التاء من تقطع (٤) ، على أنه لم يسم فاعله ، وبمعنى : إلا أن يقطع الله قلوبهم .

وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة (إلا أن تقطع قلوبهم) بفتح التاء من تقطع (٥) على أن الفعل للقلوب ، بمعنى : إلا أن تتقطع قلوبهم ، ثم حذفت إحدى التاءين .

وذكر أن الحسن كان يقرأ (إلى أن تَقطع قلوبهم) بمعنى : حتى تتقطع قلوبهم (٦) .

وذكر أنها في قراءة عبد الله (ولو قُطِّعت قلوبهم) وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك " إلا أن تُقطع " بضم التاء .

والقول عندي في ذلك أن الفتح في التاء والضم متقاربا المعنى ، لأن القلوب لا تتقطع إذا تقطعت إلا بتقطيع الله إياها ، ولا يقطعها الله إلا وهي متقطعة ، وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب للصواب في قراءته .

وأما قراءة من قرأ ذلك (إلى أن تقطع) فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ، ولا أرى القراءة

---

(١) سورة النساء : الآية (٢٤) . (٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/٥) . (٣) سورة التوبة : الآية (١١٠) .

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة والكسائي وخلف (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٨١/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٥) .

(٥) وهي قراءة ابن عامر وحفص وحمزة وأبي جعفر ويعقوب (انظر : المرجعين السابقين) .

(٦) قرأ يعقوب إلا أن تَقطع بتخفيف اللام على أنه حرف جر (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٨١/٢) ، ووافقه الحسن والمطوعي . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٤٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بخلاف ما في مصاحفهم جائزة " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون]* (٢) حيث يقول :" وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبيّ بن كعب (وإن كان ذا عسرة) بمعنى : وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة وذلك وإن كان في العربية جائزاً فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين " (٣) .

يلاحظ من الأمثلة السابقة أن الإمام الطبري - رحمه الله - لا يجيز القراءة بما خالف رسم المصحف لذلك تراه إن ذكر قراءة مخالفة لرسم أحد المصاحف ، وقد قرأ بها القراء بين أنها في مصحف اخر من مصاحف الأمصار بهذا الرسم .

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[ويقول الذين امنوا أهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين]* (٤) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (ويقول الذين آمنوا) فقرأتها قراء أهل المدينة (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين يقولُ الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله) بغير واو (٥) ... وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة بغير واو .

وقرأ ذلك بعض البصريين (ويقولَ الذين آمنوا) بالواو ، ونصب يقول (٦) عطفاً به على (فعسى الله أن يأتي بالفتح) ... وهي في مصاحف أهل العراق بالواو .

وقرأ ذلك قراء الكوفيين (ويقولُ الذين آمنوا) بالواو ورفع يقول (٧) بالاستقبال والسلامة من الجوازم والنواصب ....

وقراءتنا التي نحن عليها (ويقولُ) بإثبات الواو في (ويقول) ، لأنها كذلك هي في مصاحفنا مصاحف أهل الشرق بالواو ، وبرفع يقول على الابتداء " (٨) .

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١١/٢٤-٣٥) .

(٢) سورة البقرة : الاية (٢٨٠) .

(٣) جامع البيان عن تاويل أي القرآن (٣/١١٠) .

(٤) سورة المائدة : الاية (٥٢) .

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٤) .

(٦) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

(٧) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف (انظر : المرجع نفسه) .

(٨) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٦/٢٨٠-٢٨١) . ويقصد بالابتداء : أي أن الجملة مرفوعة على أنها مبتدأ بها . فهي ليست معطوفة عما قبلها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالإمام الطبري - رحمه الله - يقف من القراءات المخالفة لرسم المصحف موقفاً واضحاً وذلك أنه إما أن يبين أن هذه القراءة المخالفة لرسم المصحف موافقة لرسم أحد مصاحف الأمصار الأخرى وإن كانت مخالفة لرسوم جميع مصاحف الأمصار ردها وبين أنه لا تجوز القراءة بها .

الشرط الثالث : قوة وجه القراءة في العربية ، والأفصح في اللغة .

فالإمام الطبري - رحمه الله - لا يشترط موافقة القراءة للغة العربية أو وجه من وجوهها فحسب ، بل يشترط أن يكون وجه القراءة قوياً في العربية ، وأن يكون وجهها هو الأفصح فيها ، والقراءة إن لم تكن كذلك لا يقبلها ولا يجيز القراءة بها . وحجته في ذلك أن كتاب الله تعالى في القمة السامقة من الفصاحة والبلاغة ، وأحق ما يقرأ عليه القرآن الكريم هو ما كان وجهه قوياً في العربية ، وكان الأفصح من كلام العرب الذين نزل القرآن بلغتهم .

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **{ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير }** (١) حيث يقول :" وأما قوله (كيف ننشزها) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأ بعضهم (وانظر إلى العظام كيف نُنشزها) بضم النون وبالزاي (٢) ، وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين .

وقرأ ذلك آخرون (وانظر إلى العظام كيف نُنشرها) بضم النون (وبالراء) (٣) ... وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة ....

وقرأ ذلك بعضهم (وانظر إلى العظام كيف نَنشرها) بفتح النون من أوله وبالراء (٤) كأنه وجه ذلك إلى مثل معنى نَشْر الشيء وطيه ، وذلك قراءة غير محمودة ، لأن العرب لا تقول : نشر الموتى ،

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢٥٩) . (٢) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٦٢) .

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب . (انظر : المرجع نفسه) .

(٤) وهي قراءة شاذة قرأ بها الحسن البصري . (انظر : المرجع نفسه) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنما تقول : أنشر الله الموتى ، فنُشروا هم ، بمعنى : أحياهم فحيوا هم ، ويدل على ذلك قوله *{ ثم إذا شاء أنشره }* (١) وقوله *{ الهة من الأرض هم يُنشرون }* (٢) .....

وأما القراءة الثالثة فغير جائز القراءة بها عندي ، وهي قراءة من قرأ (كيف نَنْشُرها) بفتح النون وبالراء لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون }* (٤) حيث يقول : " رُوي عن قتادة أنه كان يقرؤها (وحرث حُجْرٌ) يقول : حرام . مضمومة الحاء (٥) وأما القراء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها (٦) ، وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأنها اللغة الجودى من لغات العرب " (٧) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً }* (٨) حيث يقول : " قرئ قوله (والأرحام) بالخفض عطفاً بالأرحام على الهاء (٩) التي في قوله به ، كأنه أراد : واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام ، فعطف بظاهر على مكنى مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لأنها لا تنسق بظاهر على مكنى في الخفض ، إلا في ضرورة شعر ، وذلك لضيق الشعر ، وأما الكلام فلا شيء يضطر المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق والرديء في الإعراب منه ....

والقراءة التي لا نستجيز للقارئ أن يقرأ غيرها في ذلك النصب (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) بمعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على

---

(١) سورة عبس : الآية (٢٢) .
(٢) سورة الأنبياء : الآية (٢١) .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٤٣-٤٥) .
(٤) سورة الأنعام : الآية (١٣٨) .
(٥) قرأ المطوعي بضم الحاء والجيم ، وقرأ الحسن بضم الحاء وسكون الجيم . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢١٨) .
(٦) وهي قراءة القراء العشرة جميعهم . (انظر : المرجع السابق) .
(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/٤٥) .
(٨) سورة النساء : الآية (١) .
(٩) وهي قراءة حمزة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٧)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكنى في حال الخفض إلا في ضرورة شعر " (١) .

قلت : لقد طعن كثير من العلماء والنحويين في هذه القراءة وذلك لمخالفتها لأقيستهم وقواعدهم التي وضعوها ، وقد انبرى كثير من العلماء ، وخاصة النحويون منهم للدفاع عن هذه القراءة ، وأثبتوا أن ذلك جائز في كلام العرب وجاءوا بأمثلة كثيرة من كلام العرب لتأييد كلامهم وما ذهبوا إليه " (٢) .

ثم إن قراءة الجر في لفظ الأرحام قراءة صحيحة متواترة ، ومجيء القرآن بها يقطع بكونها لغة فصيحة من لغات العرب لأن القرآن الكريم نزل على أفصح لغات العرب دون شاذها وضعيفها .

رأي وتعليق : إن هذه الأركان والشروط التي وضعها الإمام الطبري وغيره من العلماء قد فتحت الباب واسعاً للطعن في القراءات القرآنية المتواترة بحجة أنها مخالفة للغة أو للفصيح منها .

والذي أراه في هذه المسألة أن الشرط الأول وهو تواتر القراءة هو الشرط الذي ينبغي أن يعول عليه ، ويكون هو الأساس الذي بناء عليه تقبل القراءة أو ترد .

ثم إن الشرطين الآخرين تابعان لهذا الشرط بالضرورة ، فإن القراءة إن خالفت رسم المصحف مخالفة شديدة ، فقد فقدت شرط التواتر ، لترك المسلمين القراءة بها ، فقد ترك المسلمون القراءة بكل ما خالف رسم المصحف ، بل لقد أنكروا على من قرأ بما خالف رسم المصحف ، وأقاموا له مجلس تأديب كما حدث مع (ابن شنبوذ (٣)) ، فليست هناك قراءات خالفت رسم المصحف مخالفة شديدة وبقي المسلمون يتناقلونها ويُقرئ بعضهم بعضاً بها .

وكذلك يقال في الشرط الآخر وهو موافقة القراءة للغة العربية أو للفصيح منها ، فإن اللغة الواردة في القرآن الكريم بقراءاته المتعددة هي أفصح لغات العرب لأن القرآن نزل بأفصح اللغات .

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٤/٢٣٦-٢٢٨) .

(٢) انظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٣/١٥٧) وما بعدها ، دفاع عن القرآن لأحمد مكي الأنصاري (٤) وما بعدها .

(٣) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ، ويقال ابن الصلت بن أيوب بن شنبوذ الإمام أبو الحسن البغدادي ، شيخ الإقراء بالعراق ، أستاذ كبير ، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات مع الثقة والخير والصلاح والعلم ، كان يرى جواز القراءة بالشاذ ، وهو ما خالف رسم المصحف الإمام ، فعقد له مجلس تأديب بحضرة الوزير أبي علي بن مقلة ، وبحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة وكتب عليه به المحضر ، واستتيب عنه بعد اعترافه به . ت ٣٢٨ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٥٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم إن القول بهذا الشرط يعد خلافاً للأصل إذ الأصل أن يكون القرآن العظيم هو الحكم على اللغة لأنه الأفصح والأثبت سنداً .

أما أن نجعل كلام البشر حكماً على كلام خالق البشر ، فإن وافقت إحدى قراءاته قواعد اللغة التي وضعها العلماء دون إحاطة تامة بجميع لغات العرب ، فهي قراءة مقبولة وما خالف منها هذه القواعد حكم عليه بالضعف والشذوذ بل وبالرد والرفض أحياناً ، فإن هذا لهو الشيء المرفوض الذي لا يستسيغه العقل البتة .

ثم إن القراء لم يردوا قراءة صحيحة لمخالفتها للغة العرب ، بل العكس هو الذي حدث فقد حمل بعض العلماء على القراءات المخالفة لأقيستهم ، وردوها ، ولم يلتفت القراء لأقوالهم ، بل تصدى لهم كثير من العلماء ، وشككوا في أقوالهم ، ووصفوهم بقلة العلم بالقراءات ، ولم يتصدى هؤلاء العلماء للدفاع عن القراءات إلا لكون الشرط الأول وهو التواتر قد توافر فيها فهي إذن صحيحة ينبغي الدفاع عنها .

ثم إن هناك قراءات قد خالفت رسم المصحف مخالفة يسيرة ، وهي قراءات متواترة قرأ بها جماعة من القراء العشرة .

ومن أمثلة ذلك قراءة أبي عمرو قوله تعالى *{ وإذا الرسل أقتت }* (١) بالواو أي (وقتت) ، وقراءته أيضاً قوله تعالى *{ وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين }* (وأكون من الصالحين) بالواو (٢) ، وقراءته أيضاً قوله تعالى *{ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم }* بالألف (٣) أي (يألتكم) .

وهذه القراءات مخالفة لرسوم مصاحف الأمصار كما نص الداني على ذلك حيث قال :" وكذلك

---

(١) سورة المرسلات : الآية (١١) . قرأ أبو عمرو بالواو وتشديد القاف ، وقرأ ابن وردان وابن جماز بخلاف عنه كذلك مع تخفيف القاف ، والباقون بالهمزة مع تشديد القاف وهو الوجه الثاني لابن جماز ، (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦-٢٩٧) ، (إتحاف فضلاء البشر ٤٣٠) .

(٢) سورة المنافقون : الآية (١٠) ، وهي قراءة أبي عمرو . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٨٨) .

(٣) سورة الحجرات : الآية (١٤) ، وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٧٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قراءته في الحجرات (لا يألتكم من أعمالكم شيئاً) بالهمزة التي صورتها ألف ، وذلك مرسوم في جميع المصاحف بغير ألف ، وكذلك قراءته أيضاً في المنافقون (وأكون من الصالحين) بالواو والنصب ، وذلك في كل المصاحف بغير واو مع الجزم ، قال أبو عبيد : وكذلك رأيته في الإمام قال : واتفقت على ذلك المصاحف ، وكذلك أيضاً قراءته في المرسلات (وإذا الرسل وقتت) بالواو من الوقت ، وذلك في الإمام وفي كل المصاحف بالألف " (١) .

وفي ذلك أوضح دليل على أن القراءة إنما تكون مقبولة إذا تواترت وتلقتها الأمة بالقبول . فالذي جعل قراءة أبي عمرو في الأمثلة السابقة مقبولة هو تواترها لا موافقتها لرسم المصحف ، ولو نظر إلى هذا الشرط لما كانت مقبولة .

ثم إن الإمام الطبري نفسه لم ينظر في القراءات السابقة إلى موافقتها أو مخالفتها لرسم المصحف إنما كان اهتمامه بالشرط الأول لذلك قبل هذه القراءات .

مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى { وإذا الرسل أقتت } (٢) حيث يقول :"واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة غير أبي جعفر ، وعامة قراء الكوفة (أقتت) بالألف وتشديد القاف (٣) .

وقرأه بعض قراء البصرة بالواو وتشديد القاف (وقّتت) (٤) .

وقرأه أبو جعفر (وُقِتت) بالواو وتخفيف القاف (٥) .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن كل ذلك قراءات معروفات ولغات مشهورات بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب " (٦) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب*

---

(١) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني (١١٣) . (٢) سورة المرسلات : الآية (١١) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى أبي عمرو وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦-٢٩٧) .

(٤) وهي قراءة أبي عمرو . (انظر : المرجع السابق) .

(٥) وهي قراءة أبي جعفر . (انظر : المرجع السابق) .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٩/٢٣٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأصدق وأكن من الصالحين } (١) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة قوله (وأكن من الصالحين) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار غير ابن محيصن وأبي عمرو : (وأكن) ، جزماً (٢) عطفاً بها على تأويل قوله (فأصدق) لو لم تكن فيه الفاء ، وذلك أن قوله (فأصدق) لو لم تكن فيه الفاء كان جزماً.

وقرأ ذلك ابن محيصن وأبو عمرو (وأكون) بإثبات الواو ، ونصب (وأكونَ) (٣) عطفاً به على قوله (فأصدق) فنصب قوله (وأكون) إذ كان قوله (فأصدق) نصباً .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب " (٤) .

وفي كلام ابن الجزري - رحمه الله - إشارة إلى أن النقل والرواية هو الأساس المعتمد عليه في قبول القراءة حيث يقول :"على أن مخالفة صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أوثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به، ووردت مشهورة مستفيضة، ألا ترى أنهم لم يعدو إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسألني) في الكهف، وقراءة (وأكون من الصالحين)، والظاء من (بضنين) ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود فإن الخلاف في ذلك يغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها ، وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني فإن حكمه حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيها " (٥) .

فابن الجزري - رحمه الله - اعتمد القراءة وقبلها رغم مخالفتها لمرسوم المصحف وعدها مخالفة قريبة تغتفر ، وذلك لكونها جاءت مستفيضة مشتهرة تلقتها الأمة بالقبول .

وخلاصة القول في ذلك أن الشرط الذي لابد منه لقبول القراءة هو التواتر فإذا كانت القراءة متواترة ، فهي القراءة المقبولة ، وإن خالفت ما وضعه علماء اللغة من قواعد وأقيسة لم يستوعبوا فيها جميع اللغات التي كان العرب يتكلمون بها ، والقراءة إن كانت متواترة فهي اللغة الفصيحة التي غاب عن علماء اللغة اعتمادها والأخذ بها ، وإن خالفت مرسوم المصاحف كذلك .

---

(١) سورة المنافقون : الآية (١٠).

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى أبي عمرو . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٨٨ ، إتحاف فضلاء البشر ٤١٧) .

(٣) وهي قراءة أبي عمرو ووافقه الحسن واليزيدي وابن محيصن . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٤١٧) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٩/١١٨-١١٩) .

(٥) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/١٢-١٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

منهج الإمام الطبري في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها

الاحتجاج لغة

أصل مادة الاحتجاج والحجة (حجَّ) ومن معانيها القصد ، وكل قصد حجٌّ وإنما اشتقت الحجة من هذا ؛ لأنها تقصد ، أو بها يقصد الحق المطلوب .

والحجة : البرهان ، وقيل هي : ما دُوفع به الخصم ، وهي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، واحتج بالشيء : اتخذه حجة . وهي مصدر بمعنى الاحتجاج والاستدلال (١) .

الاحتجاج للقراءات اصطلاحاً

هو الإتيان بالدليل والبرهان لإثبات صحة القراءة أو تقويتها ، لمدافعة الخصم ، والرد عليه ودحض مزاعمه ، وقد يكون الدليل من القرآن أو الحديث ، أو الشعر ، أو اللغة ، أو النحو ، أو النظر .

أو هو الاستدلال على صحة القراءات ، والدفاع عنها ، بما ورد من أدلة من الشعر أو النحو أو اللغة أو النظر أو غير ذلك لدحض شبه الخصم .

وقد استعمل العلماء الذين صنفوا في الاحتجاج للقراءات في كتبهم ألفاظاً ثلاثة هي : الحجة ، والوجه ، والعلة . وهي الألفاظ الغالبة في الاستعمال عندهم .

وبعد تتبعي لمواضع ورود هذه الألفاظ في كتبهم ، توصلت إلى أن هذه الألفاظ وإن اختلفت مادتها اللغوية إلا أنها بمعنى واحد ؛ وذلك أن كل لفظ منها استعمل في موضع ومكان الآخر عندهم ، وأتبع كل لفظ منها ما يصلح أن يكون احتجاجاً ، وتوجيهاً ، وتعليلاً للقراءات .

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (حج) ،تاج العروس للزبيدي مادة (حج) ،ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حج).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نشأة الاحتجاج للقراءات

بدأ الاحتجاج للقراءات أول ما بدأ غضاً طرياً ، شأنه في ذلك شأن العلوم كلها ، وكان لا يعدو بعض الإشارات الخفيفة واللمحات السريعة ، والاحتجاجات الفردية لبعض القراءات ، دون استيعاب لقراءة بعينها ، فضلاً عن قراءات كثيرة متعددة ، من ذلك ما رُوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قرأ :" نُنشرها " من قوله تعالى *{ وانظر إلى العظام كيف ننشزها }* (١) ، واحتج بقوله تعالى *{ثم إذا شاء أنشره }* (٢) (٣) . ومن ذلك أيضاً احتجاج سيبويه (٤) - رحمه الله - لبعض القراءات في كتابه ، وكذلك احتجاج كل من الفراء (٥) - رحمه الله - في كتابه (معاني القرآن) ، والأخفش (٦) في كتابه (معاني القرآن) لبعض القراءات القرآنية دون استيعاب لها . وكانت مادة الاحتجاج عندهم مكونة من القرآن الكريم ، واللغة ، والشعر ، والنثر ، والنحو . ولا غرابة في ذلك ؛ فإن القرآن الكريم وقراءاته أصل العربية فضلاً عن كونه قرآناً عربياً غير ذي عوج . ثم إن خوف علماء اللغة على القرآن من أن يمسه تحريف كان من أهم الأسباب التي حفزتهم على وضع قواعد اللغة العربية وليس أدل على ذلك من الحادثة التي رواها ابن الأنباري في (نزهة الألباء) ، حيث يقول :" ويروى أيضاً أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : من يقرئني شيئاً مما أنزل الله على محمد -صلى الله عليه وسلم - ؟ فأقــراه رجــل ســورة بــراءة فقال *{ أن الله بريء من المشركين ورســولــه }* (٧) بالجر . فقال الأعرابي : أوقد بَرِئَ الله من رسوله ؟ إن يكن الله برئ من

---

(١)سورة البقرة : الآية (٢٥٩) . (٢)سورة عبس : الآية (٢٢) . (٣)انظر : معاني القرآن للفراء (١/١٧٣) .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، بالولاء ، أبوبشر ، إمام النحاة ، وأول من بسط علم النحو ، لزم الخليل بن أحمد ، وألف كتابه المسمى (كتاب سيبويه) في النحو ، لم يصنع قبله ولا بعده مثله . توفي شاباً سنة ١٨٠ هـ . (انظر : الأعلام ٥/١٨١) .

(٥) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي ، أبو زكريا المعروف بالفراء ، إمام العربية ، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ، له تصانيف كثيرة نافعة منها : معاني القرآن ، وغريب الحديث ، والنوادر ، والحدود وغيرها . ت ٢٠٧ هـ . (انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٦٧) .

(٦) هو سعيد بن مسعدة أبو الحسن الأخفش الأوسط ، كان مولى لبني مُجاشع بن دارم من أهل بلخ ، قرأ على سيبويه ، وكان معتزلياً ، وهو أحفظ من أخذ عن سيبويه . له مؤلفات قيمة منها : معاني القرآن ، والمقاييس في النحو ، والاشتقاق ، والعروض وغيرها . ت ٢١٥ هـ . (انظر : طبقات المفسرين للداودي ١/١٩١) .

(٧)سورة براءة : الآية (٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسوله فانا أبرأ منه . فبلغ عمر- رضي الله عنه- مقالة الأعرابي فدعاه فقال له : يا أعرابي تبرأ من رسول الله -صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ، فأقرأني هذا سورة براءة ، فقال : (*أن الله بريء من المشركين ورسوله*) فقلت : أوقد برئ الله تعالى من رسوله ؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فانا أبرأ منه ، فقال عمر -رضي الله عنه - له : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال [أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ] فقال الأعرابي : أنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم . فأمر عمر -رضي الله عنه - أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود الدؤلي (١) بوضع النحو " (٢) .

فكان الحافز على التفكير في تقعيد القواعد ووضع أصول علم العربية إنما هو أخطاء في قراءة القرآن الكريم بلغت آذان أولي الأمر من المسلمين في ذلك الوقت ، فتنادوا لتدارك الأمر .

ثم إن علوم البلاغة كان همها الأول هو بيان روعة النظم القرآني البديع المعجز ليتذوق الناس حلاوة القرآن الكريم ، ويدركوا سر إعجازه بعد أن بعدوا عن الذوق العربي الرفيع . لذا نجد أن كتب اللغويين والنحويين مليئة بالقراءات وتوجيهها والاحتجاج بها ولها .

ومن المحتمل أن يكون قد ألف في القرن الثالث رسائل في الاحتجاج للقراءات وإن لم يصلنا علم شيء منها ، فلربما ذهبت وعفت آثارها ، شأنها شأن كثير من المؤلفات التي كابد علماؤنا عناء تأليفها عبر التاريخ الإسلامي الطويل ثم عدت عليها السنون .

وقد أدرج الاحتجاج للقراءات قبل استقلاله ضمن علوم أخرى كالتفسير مثلاً فقد ألف يحيى ابن سلام -رحمه الله- (٣) كتاباً في التفسير ، لم يغفل فيه الحديث عن القراءات واختياره القراءة

---

(١) هو ظالم بن عمرو بن سفيان ، أبو الأسود الدؤلي ، قاضي البصرة ، ثقة جليل ، أول من وضع مسائل في النحو بإشارة علي -رضي الله عنه - فلما عرضها على عليٍّ قال : ما أحسن هذا النحو الذي نحوت ، فمن ثم سمي النحو نحواً ، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يره ، فهو من المخضرمين ت ٦٩ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٤٥-٣٤٦) .

(٢) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (١٩- ٢٠) وانظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه لخديجة الحديثي (١٣) .

(٣) هو يحيى بن سلام بن ثعلب ، أبو زكريا البصري ، روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري ، وله اختيار في القراءة من طريق الآثار ، كان رحمه الله ثقة ، ثبتاً ، ذا علم بالكتاب والسنة ، ومعرفة باللغة العربية ، صاحب سنة . له كتاب (تفسير القرآن) وكتابه (الجامع) . ت ٢٠٠ هـ . (انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٣٧١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تتماشى مع المعنى الذي يراه صواباً (١) .

وألف إمامنا الطبري - رحمه الله تعالى - كتاب القراءات الذي عفت آثاره ، وتفسيره العظيم جامع البيان والذي نحن بصدد دراسة منهجه في الاحتجاج للقراءات فيه.

وبقي الاحتجاج للقراءات على هذا النحو حتى جاء ابن مجاهد - رحمه الله - فهيأ الأسباب لنهوض هذا العلم ، حيث اختار من القراءات الكثيرة المتعددة سبع قراءات وأودعها كتاب السبعة ، فجمع بذلك مادة الدراسة .

وبعد جمع ابن مجاهد للقراءات السبع في كتابه السبعة أخذ الاحتجاج للقراءات مسلكاً جديداً ، إذ شرع العلماء يصنفون كتباً خاصة يحتجون بها للقراءات السبعة التي في كتاب ابن مجاهد .

فقد ذكر بعض المؤرخين أن أبا بكر بن السراج (٢) - رحمه الله - ألف كتاباً يحتج فيه للقراءات الواردة في كتاب ابن مجاهد فأتم سورة الفاتحة ، وجزءاً من سورة البقرة ثم أمسك (٣) .

وألف أيضاً أبو طاهر عبد الواحد البزار (٤) كتاب الانتصار لحمزة (٥) ، وألف محمد بن الحسن الأنصاري (٦) كتاب السبعة بعللها الكبير (٧) ، وألف أبو بكر محمد بن

---

(١) انظر : التفسير ورجاله لمحمد الفاضل بن عاشور (٢٢ - ٣٠) .

(٢) هو محمد بن السري ، المعروف بابن السراج ، كان أحد العلماء المذكورين ، وأئمة النحو المشهورين ، أخذ عن أبي العباس المبرد ، وإليه انتهت الرئاسة في النحو ، له مصنفات حسنة ، وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول ، فإنه جمع فيه أصول علم العربية (ت ٣١٠ هـ) (نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري ١٨٦) .

(٣) انظر : الفهرست لابن النديم (٦٨) ، خطبة الحجة لأبي علي الفارسي (٦/١) .

(٤) هو عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ، أبو طاهر البغدادي البزار ، الأستاذ الكبير ، الإمام ، النحوي ، العلم ، الثقة ، تصدر للإقراء بعد ابن مجاهد . ت ٣٤٩ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤٧٥) .

(٥) انظر : الفهرست لابن النديم (٣٥) .

(٦) هو محمد بن الحسن بن الفرج ، أبو بكر الأنصاري ، مقرئ متصدر ، قرأ على العباس بن الفضل الرازي . ت ٣٥١ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/١١٨) .

(٧) انظر : الفهرست لابن النديم (٣٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسن بن مقسم العطار (١) كتاب احتجاج القراءات ، وكتاب السبعة بعللها الكبير ، والسبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر (٢) .

ثم جاء أبو علي الفارسي (٣) فألف كتابه المشهور (الحجة في علل القراءات السبع) ، الذي احتج فيه للقراءات السبع التي في كتاب ابن مجاهد .

وقد أثنى ابن الجزري - رحمه الله - على أبي علي ومؤلفه فقال :" وألف أبو علي كتاب الحجة شرح سبعة ابن مجاهد فأجاد وأفاد " (٤) ، ولما لهذا الكتاب من أهمية كبيرة اختصره مكي بن أبي طالب في كتاب سماه (منتخب الحجة في القراءات) وجعله في ثلاثين جزءاً (٥) . واختصره أيضاً أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي (٦) (٧) .

ثم ألف أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة كتابه (حجة القراءات) ، واحتج فيه للقراءات السبع التي جمعها ابن مجاهد وأودعها كتابه السبعة .

وفي القرن الخامس الهجري ألف مكي بن أبي طالب الأندلسي (ت ٤٣٧ هـ) كتابه (الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها) الذي شرح به كتاب (التبصرة) الذي ألفه بالمشرق عام (٣٩١هـ) (٨) .

---

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسم ، أبو بكر البغدادي العطار ، الإمام المقرئ النحوي ، كان يقول : إن كل قراءة وافقت المصحف ، ووجهاً في العربية ، فالقراءة بها جائزة ، وإن لم يكن لها سند ، فعقد له مجلس ، ووقف للضرب فتاب ورجع ، له تصانيف عدة . ت٣٥٤هـ (غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/١٢٣) .

(٢) انظر : الفهرست لابن النديم(٣٦) .

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان ، الإمام أبو علي الفارسي ، النحوي المشهور ، روى القراءة عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد ، له مؤلفات كثيرة نافعة . ت ٣٧٧ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٠٦) .

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري(١/٢٠٧) .

(٥) انظر : معجم الأدباء لياقوت الحموي(١٩/١٦٩) .

(٦) هو إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران ، الشيخ أبو طاهر النحوي ، المقرئ الأنصاري الأندلسي ثم المصري ، صاحب كتاب العنوان ، والاكتفاء ، إمام عالم . ت ٤٥٥ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٦٤) .

(٧) انظر : بغية الوعاة للسيوطي (١/٤٤٨) .

(٨) انظر : مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن للدكتور أحمد حسن فرحات (٥١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ألف في هذا القرن أيضاً كتاب (الحجة في القراءات السبع) لابن خالويه (١) .

وكما اعتنى بعض العلماء بتتبع القراءات المتواترة ، فاحتجوا لها ، وخاصة تلك التي أنكرها بعض أهل اللغة . اعتنى بعض اللغويين والنحاة بتتبع القراءات الشاذة واحتجوا لها أيضاً ، ومن أشهر الكتب التي صنفت في ذلك كتاب (المحتسب) لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) .

وقد اختلفت أنظار العلماء إلى هذا المنهج الذي اتبعه العلماء في احتجاجهم للقراءات .

فيرى بعضهم أن الاحتجاج للقراءات دراسة قرآنية جليلة الشأن ، عظيمة القدر ، يراد بها توثيق القراءات ونفي الشبهة عنها والشك في سلامتها ، وهو منهج لا ضير فيه ولا غبار عليه البتة ، وما المصنفات التي وضعت في هذا النوع من الدراسة إلا شاهد على أن مؤلفيها قد استساغوا هذا المنهج وعدوه منهجاً سليماً وسديداً .

ويرى آخرون أن هذا المنهج ليس منهجاً سديداً ولا صواباً ، بل هو عكس للوضع الصحيح ، وأن السداد والصواب في المنهج يقتضي أن يحتج بالقراءات القرآنية على صحة النحو وفصاحة اللغة لا العكس .

وممن ذهب إلى هذا الرأي سعيد الأفغاني حيث يقول :" إن تآليف المؤلفين القدامى يحتجون للقراءات المتواترة بالنحو ، وشواهده عكس للوضع الصحيح ، وأن السلامة في المنهج ، والسداد في المنطق العلمي التاريخي يقضيان بأن يحتج للنحو، ومذاهبه وقواعده وشواهده بهذه القراءات المتواترة لما توفر لها من الضبط والوثوق ، والدقة والتحري شيء لم يتوافر بعضه لأوثق شواهد النحو" (٢) .

ويقول أيضاً :" وأزمنة تآليف هذه الكتب (يعني كتب الاحتجاج للقراءات) بدءاً من ابن السراج متقاربة ، ومؤلفوها إلى تحكيم مذاهب النحو في القراءات أقرب منهم إلى الوجه الأمثل ، سمة اتسم بها هذا النوع من التأليف في العصر العباسي ، وبدعة نسج فيها الآخر على منوال الأول ،

---

(١) هو الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون ، أبو عبد الله النحوي اللغوي ، الإمام المشهور ، أخذ القراءات عرضاً عن أبي بكر بن مجاهد وابن الانباري، والنحو واللغة عن ابن دريد ونفطويه ، له تصانيف كثيرة منها البديع في القرآن الكريم، وحواشي البديع في القراءات ، وكتاب مجدول في القراءات . ت ٣٧٠ هـ . (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٣٧) .

(٢) مقدمة حجة القراءات لأبي زرعة للمحقق سعيد الأفغاني (١٨ ، ١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرفت أن المنهج السليم يقضي بتحكيم القراءات في مذاهب النحو ، وتعديل هذه لتساوق تلك حين يكون بينهما تخالف " (١) .

قلت : إن ما ذهب إليه سعيد الأفغاني ليس سديداً ، فإن التأليف في ذلك العصر في هذا النوع من الدراسة القرآنية ليس بدعة ، ولا أن العلماء الذين ألفوا فيه أرادوا تحكيم مذاهب النحو في القراءات ، إنما القضية أبعد من ذلك .

إن العلماء الذين ألفوا في الاحتجاج للقراءات كانوا يعتقدون أن القراءات هي الأصل الذي يرجع إليه ، لذا تراهم في مواطن كثيرة من كتبهم ينكرون على من رد قراءة متواترة لمخالفتها الأقيسة النحوية .

وينبغي هنا أن نفرق بين قضيتين كي لا يختلط الأمر علينا .

القضية الأولى : الاحتجاج للقراءات والدواعي التي دعت إلى ذلك .

القضية الثانية : الاحتجاج بالقراءات .

أما عن القضية الأولى : فمما لا شك فيه أن العلماء الذين ألفوا في الاحتجاج للقراءات كانوا يعتقدون أن القراءات القرآنية والمتواترة منها خاصة مما يحتج به ، واحتجاجهم للقراءات لم يكن غرضه تحكيم مذاهب النحو وقواعد اللغة في القراءات ، وإنما كان غرضهم هو نفي الشك والشبهة عن القراءات التي تكلم فيها بعض النحاة ، وطعنوا فيها لمخالفتها لأقيستهم التي وضعوها بأدلة مما بنى عليه هؤلاء النحاة قواعدهم وأصولهم .

يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي :" أما أبو علي الفارسي فقد أراد أن يحتج للقراءات بطريقة القياس والنظر ، فبعد بذلك عن القول بالنقل والأثر ، ولم يقل بأن القراءة سنة إلا حين لا يستطيع أن يجري مقاييس العربية على قراءة من القراءات المروية .

وقد سلك هذا المسلك ؛ لأنه نصب نفسه للدفاع عن كتاب الله في عصر تفشاه الإلحاد ، وتغشاه الكيد للإسلام ، فكان عليه أن يدافع عن القرآن بالحجج التي يحتج بها أعداؤه بالقياس والنظر " (٢) .

---

(١) مقدمة حجة القراءات لأبي زرعة لسعيد الأفغاني (٢٤) وانظر : في أصول النحو لسعيد الأفغاني (٢٨ - ٣٣) .

(٢) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح شلبي (٧٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن الناظر إلى العصر الذي ألفت فيه كتب الاحتجاج للقراءات والعصر الذي قبله يجد أنه كانت بين النحويين ، وبين بعض النحويين والقراء خلافات فكرية واسعة حيث قام فريق من العلماء والنحاة يَسِمون بعض القراءات القرآنية الصحيحة بالضعف والشذوذ لمخالفتها القواعد والأقيسة التي وضعها علماء اللغة والتي يعوزها الاستقراء التام . مما حدى ببعض العلماء الغيورين على القرآن الكريم وقراءاته من النحويين واللغويين القيام بحملة واسعة للاستدلال على صحة القراءات جميعها في مجالي النحو واللغة وغيرهما من المجالات ، والدفاع عنها ، وبيان أنها لم تخرج عما نطقت به العرب، وأنه ما من قراءة إلا ولها دليل من كلام العرب شعره ونثره يثبت أنها صحيحة . فكانوا بذلك يردون على من طعن في بعض القراءات بما يحتج به هو ، وبما اعتمد عليه في وضع قواعد النحو وأقيسته .

ففكرة الدفاع عن القراءات بالاحتجاج لها لم تكن إلا للرد على فئة معينة من النحويين المتعصبين لقواعدهم وأقيستهم التي وضعوها ، والتي يرون أنها حق وصواب لا يتطرق إليها أي خطأ ، ولا يمكن العدول عنها أو تغييرها لأي سبب من الأسباب ، فهؤلاء لا يسلمون ولا يقتنعون إذا قيل لهم إن هذه القراءات صحيحة متواترة ، لا يجوز ردها ، وإنما يحتاجون إلى أدلة من الأمور التي بنوا عليها قواعدهم وأصولهم لذا كانت هذه الدراسة .

ثم إن لهذه الكتب فائدة كبيرة ، فالقارئ يتعرف من خلالها على توجيه القراءات وتخريجها ، فيساعده ذلك على فهم معنى القراءة ومن ثم فهم معنى الآية التي فيها هذه القراءة .

والكتب التي ألفت في ذلك إنما كان اعتماد أصحابها على بيان وشرح وتوضيح القراءات والكشف عن وجوهها ، وتخريجها أكثر من اعتمادهم على تقديم الأدلة والبراهين لإثبات صحة القراءة . وهم بذلك لم يحكموا النحو في القراءات ، إنما بينوا وجه القراءة من حيث اللغة والنحو ، وكتب الاحتجاج ثروة علمية عظيمة لا غنى لدارس كتاب الله تعالى وقراءاته عنها .

أما القضية الثانية وهي قضية الاحتجاج بالقراءات ، فإن الخلاف فيها بين النحويين قديم .

ففي حين نجد الكوفيين قد اعتمدوا على القراءات القرآنية ، وفتحوا الباب واسعاً أمامها جميعها يحتجون بها ، ويصححون بعض القواعد النحوية بناء على ما جاء في بعضها .

نجد البصريين قد تشددوا في قبول القراءات حتى المتواتر منها ، ووقفوا من القراءات المخالفة لأصولهم ، وقواعدهم موقف الرافض لها ، وحجتهم في ذلك أنها لا تتفق مع مقاييسهم التي وضعوها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد اتخذ الكوفيون من قراءة حمزة " والأرحام " بالخفض منطلقاً عاماً إلى قاعدة كلية بحيث أجازوا عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض بلا قيد ولا شرط .

أما البصريون فقد طعنوا في قراءة حمزة ، وغدت هذه القاعدة واحدة من مسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين (١) .

وفي ذلك تقول خديجة الحديثي :" فالاستشهاد بالقراءات المتواترة غير المخالفة للقياس سار عليه البصريون كما سار عليه الكوفيون . أما الاحتجاج بالقراءات الشاذة والقياس عليها ، واعتبارها أصلاً من أصول الاستشهاد فهو ليس من منهج البصريين لأنهم لم يكونوا يعتبرون من القراءات حجة إلا ما كان موافقاً لقواعدهم وأقيستهم وأصولهم المقررة ، فإن خالفتها ردوها ، في حين كانت القراءات مصدراً من مصادر النحو الكوفي ... فالكوفيون يأخذون بالقراءات السبع وبغيرها من القراءات يحتجون بها فيما له نظير من العربية ، ويجيزون ما ورد فيها مما خالف الوارد عن العرب ، ويقيسون عليها ، فيجعلونها أصلاً من أصولهم التي يبنون عليها القواعد والأحكام ، وهم إذا رجحوا القراءات التي يجتمع عليها القراء لا يرفضون غيرها ولا يغلطونها " (٢) ، ثم مثلت لما قررته سابقاً من رفض البصريين الاحتجاج بالقراءات المخالفة لأقيستهم ، وقبول الكوفيين لذلك وأخذه والقياس عليه بقراءة ابن عامر في قوله تعالى [*وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم* ....(٣)](٤)

ويقول مهدي المخزومي :" القراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي ، ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية ، وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم ، فما وافق منها أصولهم ولو بالتأويل قبلوه ، وما أباه رفضوا الاحتجاج به ، ووصفوه بالشذوذ ، كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها " (٥) .

---

(١) انظر : أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي لعفيف دمشقية (١١٢) .

(٢) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه لخديجة الحديثي (٤٧ - ٤٨) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (١٣٧) .

(٤) انظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه (٤٨) .

(٥) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو لمهدي المخزومي (٣٨٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : إنما بنيت الأقوال السابقة في تقرير موقف الكوفيين والبصريين من القراءات على الأغلب والأشهر ، وإلا فإن من الكوفيين من أنكر بعض القراءات المتواترة ، ومن البصريين من بنى على بعض القراءات بعض القواعد النحوية .

يقول الدكتور عبد المجيد المحتسب :" ومما يجب ذكره أن الفراء أنكر قراءة حمزة ومن وافقه واستقبحها ، وقد حمّل صاحب الإنصاف البصريين مسؤولية تضعيف هذه القراءة مع أن الفراء هو أول من ضعفها ، وتبعه في ذلك المبرد ، فحمل ذلك النحاة على البصريين عامة ، ولم يكن سيبويه يجيز العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض ، وأبى الأخفش البصري وتبعه جمهور الكوفيين قاعدة سيبويه المذكورة ، ولذلك صحح الأخفش المذكور هذه القراءة مستمداً منها الحكم بجواز العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض " (١) .

وبعد فإنه مما لا شك فيه أن منهج أولئك الذين رفضوا الاحتجاج بالقراءات والمتواترة منها بخاصة ، هو المنهج الذي يقال عنه هو منهج غير سديد بعيد كل البعد عن الحق والصواب .

وقد نبه العلماء قديماً وحديثاً على خطأ هذا المنهج ، وخطأ أولئك الذين تعصبوا لقواعدهم وأقيستهم التي وضعوها ؛ فحملهم ذلك على الطعن في بعض القراءات المتواترة ، ووسمها بالضعف والشذوذ ؛ لكونها مخالفة لأقيستهم .

يقول الإمام الفخر الرازي (٢) - رحمه الله :" والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد ، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن " (٣) .

ويقول أبو حيان -رحمه الله- بعد رد كلام الزمخشري وابن عطية في تضعيفهم وطعنهم في قراءة حمزة بجر لفظ (الأرحام) في أول سورة النساء (٤) :" ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا

---

(١) منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط لعبد المجيد المحتسب (١٣٢) ، انظر : المدارس النحوية لشوقي ضيف (٢٢٠) .

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي الرازي ، أبو عبد الله ، الملقب بفخر الدين ، المعروف بابن الخطيب الشافعي ، كان فريد عصره ، ومتكلم زمانه ، جمع كثيراً من العلوم ، ونبغ فيها ، وكان إماماً في التفسير ، له تآليف مشهورة نافعة منها : التفسير الكبير ، ت ٦٠٦ هـ. (انظر : طبقات المفسرين للداودي ٢/٢١٥) .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي (٩/١٦٤) .

(٤) سورة النساء : الآية (١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيرهم ممن خالفهم ، فكم حكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون ، وإنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية " (١) .

ونقل سعيد الأفغاني عن ابن حزم (٢) - رحمه الله - قوله :" من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ، ويتخذه مذهباً ، ثم إذا تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فياخذ في صرف الآية عن وجهها " . وقوله في موضع آخر " ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس ، أو لزهير ، أو لجرير ، أو الحطيئة ، أو الطرماح ، أولأعرابي أسدى أو سُلمى ، أو تميمي ، أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة ، وقطع به ، ولم يعترض فيه ، ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ، ويحرفه عن موضعه ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه " (٣) .

ويقول شيخي فضيلة الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس :" أراد بعض النحويين - وقد جعلوا من قواعدهم أصولاً لا ينبغي أن تخالف - أن يخضعوا القراءات المتواترة لأصولهم وقواعدهم ، فإذا رأوا قراءة تتعارض مع هذه القواعد والأصول ردوها ، أو حكموا عليها بالضعف ، ومن توفيق الله ، ومن حسن الحظ أنهم لم يجمعوا على قاعدة ، فما يراه البصريون ملزماً ينقضه الكوفيون ، وما يرتئيه الأخفش لا يجيزه غيره ، ومن حسن الحظ كذلك أن هيأ الله لهذه القراءات من يذب عن قدسيتها ،ويدافع عن حماها ، وكان هؤلاء الذابون المدافعون فئات كثيرة ، منهم المفسرون ، والمتكلمون ، والأصوليون ، بل وجد من اللغويين والنحويين أنفسهم من ينبري لهذا الواجب " (٤) .

ويقول أحمد مكي الأنصاري :" فالقرآن هو الحجة البالغة ، وعلى أساسه يكون تقعيد القواعد ، كما ينبغي تصحيح ما وضع منها إذا ما تعارض مع شيء من القراءات المحكمة ، ويعجبني في هذا

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٥٩/٣) .

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد : عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، إمام المذهب الظاهري ، وقد انتسب إلى مذهبه خلق كثيرون . له مؤلفات كثيرة نافعة منها : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، والمحلى ، والناسخ والمنسوخ وغيرها . ت ٤٥٦ هـ . (انظر : الأعلام للزركلي ٢٥٤/٤) .

(٣) في أصول النحو لسعيد الأفغاني (٣٢) .

(٤) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس (١٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المذهب الذي يقول :" وليس غرضنا تصحيح القراءات بقواعد النحو ، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءات (١) " وهذا هو مذهب الحذاق من العلماء الأصفياء المخلصين للقرآن الكريم (٢) " .

وخلاصة القول : أن القراءات القرآنية تعد أصلاً يعتمد عليها ويحتج بها في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة ، ومن قال غير هذا فإن قوله لا يؤبه به ولا يتلفت إليه .

كما وأن منهج العلماء في احتجاجهم للقراءات لا يتعارض مع كونها أصلاً يحتج به ، ولا ضير من الاحتجاج لها مع كونها حجة في الوقت نفسه .

ثم إن احتجاج العلماء لها إنما كان ببيان وجهها من حيث اللغة والنحو ، وأنها موافقة لما قالته العرب ونطقت به وسمع عنها . وكل ذلك إنما كان لنفي الشك والشبهة عنها رداً على من طعن فيها ووسمها بالضعف والشذوذ ممن تعصبوا لقواعدهم وأقيستهم .

منهج الإمام الطبري في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها

يعد الإمام الطبري -رحمه الله- من العلماء الأعلام الذين كانت لهم عناية خاصة ومميزة بالقراءات ، فقد ألف كتاباً في القراءات على جانب كبير من الأهمية ، ولكنه مع الأسف ذهب واندثرت آثاره وقد اهتم بتوجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها ، وتفسيره جامع البيان الذي نحن بصدد دراسته والحديث عنه خير شاهد على ذلك ، فهو تفسير للقرآن الكريم ، وقد كان للحديث عن القراءات وتوجيهها والاحتجاج لها حظ وافر فيه ، ويعد الإمام ابن جرير - رحمه الله - أول من تحدث عن توجيه القراءات وتعليلها والاحتجاج لها ، مدرجاً ذلك ضمن تفسيره . بهذه الدقة والكثرة والإسهاب .

وقد سار الإمام الطبري - رحمه الله - في توجيهه للقراءات والاحتجاج لها على منهج يومئ برسوخ كعبه وتمكنه من علومٍ كثيرة استعان بها جميعها في الكشف عن القراءات وتخريجها وبيان وجهها من حيث المعنى والإعراب والسياق وغير ذلك .

وتتألف مادة الإمام الطبري العلمية في توجيهه للقراءات والاحتجاج لها من

---

(١) وهو قول أحمد بن المنير . انظر : كتاب الانتصاف من الكشاف له على هامش الكشاف للزمخشري (٤٧٢/١) .

(٢) الدفاع عن القراءات لأحمد مكي الأنصاري (ص: ي) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن الكريم وقراءاته الصحيحة والشاذة ، والحديث الشريف ، والشعر ، ولهجات القبائل المختلفة ، وأقوال أئمة اللغة والنحو ، يستعين بها في الإيضاح والشرح ، ويركن إليها في التخريج والتعليل والاستشهاد للقراءات .

وإليك تفصيلاً لمنهجه - رحمه الله - في توجيهه للقراءات وتعليلها والاحتجاج لها مدعماً بأمثلة من مواطن متنوعة من تفسيره .

* لم يقتصر الإمام الطبري -رحمه الله- في توجيهه للقراءات والاحتجاج لها على القراءات الصحيحة المستفيضة التي تلقتها الأمة بالقبول ، بل تراه يحتج للقراءات الشاذة كذلك ، ويبين معناها ووجهها من حيث الإعراب . مثال ذلك احتجاجه لقراءة { *مالك يوم الدين* } (١) بنصب الكاف ، حيث يقول :" وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ { مالك يوم الدين } فإنه أراد يا مالك يوم الدين ، فنصبه بنية النداء والدعاء ، كما قال جل ثناؤه { *يوسف أعرض عن هذا* } (٢) بتأويل : يا يوسف أعرض عن هذا وكما قال الشاعر من بني أسد وهو شعر فيما يقال جاهلي :

إن كنت أَزْنَنْتَني بها كذباً جَزْءُ فلاقيت مِثْلَها عَجِلا (٣)

يريد يا جزء . وكما قال الآخر :

كذبتم وبيتِ الله لا تَنْكِحُونها بني شاب قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ (٤)

يريد يا بني شاب قرناها " (٥) .

---

(١) سورة الفاتحة : الآية (٤) ، وهي قراءة المطوعي . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٢٢) .   (٢) سورة يوسف : الآية (٢٩) .

(٣) الشعر لجاهلي مخضرم هو حضرمي بن عامر الأسدي ، وسبب قوله هذا الشعر : أن إخوته كانوا تسعة فماتوا ؛ فورثهم ، فحسده ابن عمه جزء ابن مالك بن مجمع ، وقال له : من مثلك ؟ مات إخوتك فورثتهم : فأصبحت ناعماً جذلاً ، وما كاد حتى جلس جزء وإخوة له تسعة على بئر فانخسفت بإخوته ، ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرمياً فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً ، وأبقت حقداً ، يعني قوله لجزء " فلاقيت مثلها عجلاً . وأزننته بشيء : اتهمته به . انظر : أمالي القالي (٦٧/١) ، الكامل للمبرد (٩٤/١) ، تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر (١٥٢/١) .

(٤) نسبه في اللسان (قرن) ومجاز القرآن (١٠٠) إلى رجل من بني أسد ، والبيت في كتاب سيبويه (٨٥/٢ ، ٢٠٧/٣ ، ٢٢٦) ، وهو شاهد مشهور ، وبني شاب قرناها ... أي يا بني العجوز الراعية ، لاهم لها إلا أن تصر ، أي تشد الصرار على الضرع حتى تجتمع الضرة ثم تحلب . وذاك ذم لها . والقرن : الضفيرة (انظر : تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ١٥٣/١) .

(٥) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٦٧/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابن جرير -رحمه الله- لم يقف عند هذا الحد من توجيهه للقراءة والاحتجاج لها ، بل تابع الحديث حول هذه القراءة التي وصمها بالشذوذ في آخر كلامه - مبيناً السبب الذي حمل صاحب هذه القراءة وهو المطوعي - أحد القراء الأربعة أصحاب القراءات الشاذة - على اختيار هذه القراءة والمداومة عليها ولزومها حتى نسبت إليه . دون القراءة الأخرى التي أجمع عليها القراء ، ثم بين خطأ ذلك مستدلاً بما عرف عن العرب ، وبالشعر ، وبآي من الذكر الحكيم حيث قال : " إنما أورطه في قراءة ذلك بنصب الكاف من مالك على المعنى الذي وصفت حيرته في توجيه قوله [إياك نعبد وإياك نستعين] وجهته مع جر (مالك يوم الدين) وخفضه ، فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره (مالك يوم الدين) ، فنصب (مالك يوم الدين) ليكون إياك نعبد له خطاباً ، كأنه أراد : يا مالكَ يوم الدين ، إياك نعبد ، وإياك نستعين . ولو كان علم تأويل أول السورة وأن الحمد لله رب العالمين ، أمر من الله عبده بقيل ذلك كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس : أن جبريل قال للنبي -صلى الله عليه وسلم - عن الله : قل يا محمد : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وقل أيضاً يا محمد : إياك نعبد وإياك نستعين . وكان عقل عن العرب أن من شأنها إذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول ، أن تخاطب ، ثم تخبر عن غائب ، وتخبر عن الغائب ، ثم تعود إلى الخطاب : لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب ، والمخاطب كقولهم للرجل : قد قلت لأخيك : لو قمت لقمت ، وقد قلت لأخيك : لو قام لقمت ، لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر (مالك يوم الدين) ومن نظير مالك يوم الدين مجروراً ، ثم عوده إلى الخطاب بإياك نعبد لما ذكرنا قبل البيت السائر من شعر أبي كبير الهذلي :-

يا لهف نفسي كان جِدَّةُ خالدٍ وبَيَاضُ وجهِكَ للترابِ الأعفرِ (١) .

فرجع إلى الخطاب بقوله : وبياض وجهك ، بعدما قد مضى الخبر عن خالد على معنى الخبر عن الغائب . ومنه قول لبيد بن ربيعة :-

باتت تَشَكّي إليّ النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا (٢) .

---

(١) انظر : ديوان الهذليين ، القسم الثاني ص (١٠١) . وقوله جدة : أي شبابه الجديد ، والجدة : نقيض البلى ، التراب الأعفر : الأبيض ، قل أن يطأه الناس . وخالد : صديق له من قومه يرثيه . (انظر : حاشية تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ١/١٥٤) .

(٢) انظر : شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري . تحقيق الدكتور إحسان عباس (٣٥٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرجع إلى مخاطبة نفسه ، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب . ومنه قول الله وهو أصدق قيل وأثبت حجة ﴿ *حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة* ﴾ (١) فخاطب ثم رجع إلى الخبر عن الغائب ، ولم يقل : وجرين بكم ، والشواهد من الشعر وكلام العرب في ذلك أكثر من أن تحصى وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه. فقراءة (مالك يوم الدين) محظورة غير جائزة ؛ لإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفض القراءة بها " (٢) .

قلت : هذا ما سماه العلماء فيما بعد (الالتفات) ، وهذه التسمية لم تكن مستقرة في القرون الأولى . وفي هذا دلالة واضحة على تطور بعض المصطلحات وأنها مرت في مراحل حتى استقرت على اصطلاح خاص عرفت به .

ومن أمثلة توجيهه للقراءات الشاذة أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *شهر رمضان الذين أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ...* ﴾ (٣) حيث يقول : " وقد قرأ بعض القراء (شهرَ رمضان) نصباً ، بمعنى : كتب عليكم الصيام أن تصوموا شهر رمضان . وقرأه بعضهم نصباً بمعنى : أن تصوموا شهر رمضان خير لكم إن كنتم تعلمون ، وقد يجوز أيضاً نصبه على وجه الأمر بصومه ، كأنه قيل : شهر رمضان فصوموه ، وجائز نصبه على الوقت كأنه قيل : كتب عليكم الصيام في شهر رمضان " (٤) .

قلت : أراد بالوقت هنا : المفعول فيه ، وهو المسمى ظرفاً ، وفي هذا دليل أيضاً على أن المصطلحات النحوية لم تكن مستقرة ، إنما مرت في مراحل حتى استقرت على ما هي عليه الآن .

ويقول -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون* ﴾(٥) :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (وقالوا قلوبنا غُلْف) مخففة اللام ساكنة (٦)، وهي قراءة عامة الأمصار في جميع الأقطار. وقرأه بعضهم (وقالوا قلوبنا غُلُف) مثقلة اللام مضمومة (أي بتحريك اللام مضمومة) (٧) ، فأما الذين قرأوها بسكون اللام وتخفيفها ،

---

(١) سورة يونس: الآية (٢٢) . (٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١/ ٦٧، ٦٨) . (٣) سورة البقرة: الآية (١٨٥) .

(٤) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٢/ ١٤٤) . (٥) سورة البقرة: الآية (٨٨) .

(٦) وهي قراءة القراء العشرة . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤١) . (٧) وهي قراءة شاذة قرأ بها الحسن البصري (انظر : المرجع نفسه) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنهم تأولوها أنهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف، والغلف على قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء، كما يقال للرجل الذي لم يختتن: أغلف ، والمرأة : غلفاء، وكما يقال للسيف إذا كان في غلافه: سيف أغلف، وقوس غلفاء ، وجمعها غلف ، وكذلك جمع ما كان من النعوت ذكره على أفعل وأنثاه على فعلاء، يجمع على فُعْل مضمومة الأول ساكنة الثاني، مثل أحمر وحمر، وأصفر وصفر، فيكون ذلك جماعاً للتأنيث والتذكير، ولا يجوز تثقيل عين فُعْل إلا في ضرورة شعر كما قال طرفة بن العبد :

أيها الفتيان في مجلسنا ... جرِّدوا منها وراداً وَشُقُرْ (١) .

يريد : شقراً ، لأن الشعر اضطره إلى تحريك ثانيه فحركه ...

وأما الذين قرأوها (غُلُفٌ) بتحريك اللام وضمها ، فإنهم تأولوها أنهم قالوا : قلوبنا غلف للعلم بمعنى أنها أوعية . قال : والغلف على تأويل هؤلاء جمع غلاف كما يجمع الكتاب كتب ، والحجاب حجب والشهاب شهب . فمعنى الكلام على تأويل قراءة من قرأ (غُلُف) بتحريك اللام وضمها . وقالت اليهود : قلوبنا غلف للعلم ، وأوعية له ولغيره " (٢) والأمثلة على ذلك كثيرة مبثوثة في ثنايا تفسيره .

* وقد وجه الإمام الطبري –رحمه الله– بعض الكلمات التي أجمع القراء على قراءتها بكيفية معينة من ذلك توجيهه وتعليله لقراءة غير بالجر من قوله تعالى *(غير المغضوب عليهم)* (٣) حيث يقول : " والقراء مجمعة على قراءة (غير) بجر الراء منها ، والخفض يأتيها من وجهين : أحدهما أن يكون (غير) صفة للذين ونعتاً لهم فتخفضها ، إذ كان الذين خفضاً وهي لهم نعت وصفة ؛ وإنما جاز أن يكون (غير) نعتاً (للذين) ، (والذين) معرفة و (غير) نكرة ، لأن (الذين) بصلتها ليست بالمعرفة المؤقتة كالأسماء التي هي أمارات بين الناس ، مثل : زيد وعمرو ، وما أشبه ذلك ، وإنما هي كالنكرات المجهولات ، مثل الرجل ، والبعير ، وما أشبه ذلك ، فلما كان (الذين) كذلك صفتها ، وكانت (غير) مضافة إلى مجهول من الأسماء نظير (الذين) في أنه معرفة غير مؤقتة كما (الذين) معرفة غير مؤقتة ، جاز

---

(١) انظر : ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال (ص٦٩) قوله (جردوا منها وراداً) أي القوا منها جلالها وأسرجوها للقاء ، وقيل : الجريدة من الخيل هي التي تختار ، فتجرد أي تكمش في مهم الأمور ، والوراد جمع وَرْد ، وهو من الخيل بين الكميت والأشقر ، وشقر جمع أشقر وهو الأحمر حمرة صافية ، وحرك الثاني إتباعاً للأول .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٤٠٦-٤٠٧).

(٣) سورة الفاتحة : الآية (٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أجل ذلك أن يكون (غير المغضوب عليهم) نعتاً للذين أنعمت عليهم ، كما يقال : لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل ، يراد : لا أجلس إلا إلى من يعلم ، لا إلى من يجهل ، ولو كان (الذين أنعمت عليهم) معرفة مؤقتة كان غير جائز أن يكون (غير المغضوب عليهم) لها نعتاً ، وذلك أنه خطأ في كلام العرب ، إذا وصفت معرفة مؤقتة بنكرة ، أن تلزم نعتها النكرة إعراب المعرفة المنعوت بها ، إلا على نية تكرير ما أعرب المنعوت بها . خطأ في كلامهم أن يقال : مررت بعبد الله غير العالم ، فتخفض غير إلا على نية تكرير الباء التي أعربت عبد الله ، فكان معنى ذلك لو قيل كذلك : مررت بعبد الله ، مررت بغير العالم ، فهذا أحد وجهي الخفض في (غير المغضوب عليهم) .

والوجه الآخر من وجهي الخفض فيها أن يكون (الذين) بمعنى المعرفة المؤقتة ، إذا وجه إلى ذلك، كانت (غير) مخفوضة بنية تكرير الصراط الذي خفض (الذين) عليها ، فكأنك قلت : صراط الذين أنعمت عليهم صراط غير المغضوب عليهم .

وهذان التأويلان في (غير المغضوب عليهم) ، وإن اختلفا باختلاف معربيهما فإنهما يتقارب معناهما من أجل أن من أنعم الله عليه فهداه لدينه الحق فقد سلم من غضب ربه ، ونجا من الضلال في دينه " (١) .

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى [*قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار*] (٢) : " وإنما اختارت القراء النصب في قوله (ألا تكلم الناس) لأن معنى الكلام : قال آيتك أن لا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام، فكانت(أن) هي التي تصحب الاستقبال دون التي تصحب الأسماء فتنصبها ، ولو كان المعنى فيه : آيتك أنك لا تكلم الناس ثلاثة أيام : أي أنك على هذه الحال ثلاثة أيام ، وكان وجه الكلام الرفع ؛ لأن (أن) كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ولكن لم يكن ذلك جائزاً لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر "(٣).

قلت : لقد أشار الإمام الطبري – رحمه الله – في هذا المثال إلى قضية مهمة ، حرية بالوقوف عندها وتدبرها ، وهي اعتماد الإعراب على المعنى المراد ؛ لأن الإعراب هو فرع المعنى .

ولبيان ذلك أقول : أجمع القراء على النصب في قوله (تكلم) ، لأن المعنى على القراءة بالنصب

---

(١) جامع البيان من تاويل اي القران (٧٧/١).　(٢) سورة آل عمران : الآية (٤١).　(٣) جامع البيان من تاويل اي القران (٣/٢٦٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هو المراد ، دون المعنى على القراءة بالرفع ، مع أن الإعرابين جائزان من حيث الصناعة النحوية ، ولكن لما كان الإعراب فرع المعنى ، وأنه لابد من اختيار الإعراب الذي ينسجم ويتلاءم مع المعنى المراد من الآية، كانت القراءة بالنصب عند جميع القراء دون القراءة بالرفع .

ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى [*وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين*] (١) : " والقراءة التي هي القراءة في قوله (وما كان قولهم) النصب لإجماع قراء الأمصار على ذلك نقلاً مستفيضاً وراثة عن الحجة ، وإنما اختير النصب في القول ؛ لأن (إلا أن) لا تكون إلا معرفة ، فكانت أولى بأن تكون هي الاسم دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً ، ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي جواب كان إذا كان بعده أن الخفيفة ، كقوله [*فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه*] (٢) وقوله [*ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا*] (٣) فأما إذا كان الذي يلي كان اسماً معرفة ، والذي بعده مثله ، فسواء الرفع والنصب في الذي ولي كان ، فإن جعلت الذي ولي كان هو الاسم رفعته ونصبت الذي بعده ، وإن جعلت الذي ولي كان هو الخبر نصبته ، ورفعت الذي بعده ، وذلك كقوله جل ثناؤه [ثم كان عاقبة الذي أساءوا السوأى] (٤) إن جعلت (العاقبة) الاسم رفعتها ، وجعلت(السوأى) هي الخبرمنصوبة ، وإن جعلت (العاقبة) الخبر نصبت ، فقلت : وكان عاقبة الذين أساءوا السوأى ، وجعلت (السوأى) هي الاسم فكانت مرفوعة كما قال الشاعر :

لقد علم الأقوام ما كان داءَها　　　بثهلان إلا الخزيُ ممن يقودها (٥) .

وروى أيضاً : ما كان داؤها بثهلان إلا الخزي نصباً ورفعاً على ما قد بينت ، ولو فعل مثل ذلك مع أن كان جائزاً ، غير أن أفصح الكلام ما وصفت عند العرب " (٦) .

قلت : يظهر بين أول كلام الإمام الطبري -رحمه الله- وآخره في المثال السابق اختلاف وتغاير.

---

(١)سورة ال عمران : الاية (١٤٧) .　(٢)سورة العنكبوت : الاية (٢٤) .　(٣)سورة الأنعام : الاية (٢٣) .

(٤)سورة الروم : الاية (١٠) .

(٥) انظر : كتاب سيبويه (٥٠/١) ولم ينسبه . معنى البيت : لم يكن داء هذه الكتيبة ، وسبب انهزامها في جبل (ثهلان) إلا جبن قائدها ، وقد جعل الشاعر الفعل للخزي، والمراد صاحبه . وقال عبد السلام هارون: ولم أجد للبيت نسبة .(انظر: حاشية كتاب سيبويه تعليق عبد السلام هارون ٥٠/١)

(٦) جامع البيان عن تاويل آي القران (١٢١/٤ - ١٢٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك أنه أشار في المثال السابق إلى أن ما بعد كان شيئان . الأول ما يليها مباشرة ، والثاني ما يأتي بعده وهو ما فيه أن . ثم بين أن ما يلي كان قد يكون نكرة أحياناً ومعرفة أحياناً ، أما ما فيه أن فلا يكون إلا معرفة ، ولما كان أن وما بعدها لا تحتمل النكرة ، وإنما هي معرفة دائماً جعلت هي الاسم ، أما ما يلي كان فيحتمل الأمرين لذا جعل خبراً ومثل له بقوله تعالى **{ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه }** وبقوله تعالى **{ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا }** وبالآية التي ورد الكلام فيها وهي قوله تعالى **{وما كان قولهم إلا أن قالوا ... }** وما ذكره إلى هنا واضح بين لا شيء فيه .

ثم بين - رحمه الله - أنه إذا كان الذي يلي كان اسماً معرفة والذي بعده مثله ، فسواء الرفع والنصب في الذي ولي كان ، ومثل له بقوله تعالى **{ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى }** وبقول الشاعر (ما كان داءَها بثهلان إلا الخزي) فاختلف بذلك كلامه وتغاير .

وذلك أنا لو نظرنا إلى الأمثلة التي مثل بها في أول كلامه ، والتي بين فيها أن الاختيار النصب فيما ولي كان ، والأمثلة التي مثل بها في آخر كلامه على جواز الأمرين ، وجدناها سواء ؛ لأن الذي ولي كان في الأمثلة جميعها معرفة (فقولهم) في الآية الكريمة (وما كان قولهم) معرفة لإضافة قول إلى الضمير ، وهو أعرف المعارف . وكذلك فتنتهم في قوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) . كما أن (داءها) في قول الشاعر معرفة . وكذلك (عاقبة) في الآية الكريمة .

فلا فرق إذن بين الأمثلة التي مثل بها على اختيار النصب فيما ولي كان ، والأمثلة التي مثل بها علي جواز الأمرين الرفع والنصب ، لما ذكرت من أن الذي ولي كان فيها معرفة .

هذا وقد وردت في بعض الآيات السابقة قراءات صحيحة متواترة ، فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ، ويعقوب برفع (عاقبة) في قوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى) وقرأ باقي القراء العشرة بالنصب (١) ، ولم يشر الإمام الطبري - رحمه الله - لهذه القراءة (٢) .وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص برفع (فتنتهم) في قوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ..) وقرأ باقي العشرة بالنصب فيها (٣) .

---

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر (٣٤٧)

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/ ٢٥) .

(٣) انظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر (٢٠٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* والإمام الطبري - رحمه الله - يوجه القراءات ببيان معنى الآية على كل قراءة منها ، ويستشهد بأقوال الصحابة والتابعين على صحة ما ذهب إليه من توجيه لها على المعاني المختلفة . ويرجع ذلك إلى عنايته - رحمه الله - بنقل الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ؛ لشرح وتفسير آيات كتاب الله تعالى . فتفسير الإمام الطبري - رحمه الله - زاخر بالروايات والآثار المروية عن الصحابة والتابعين ، وكان نقله لهذه الروايات عنهم بسنده إليهم غالباً .

من أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى **﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾** (١) حيث يقول : " اختلف أهل التأويل في قائل هذا القول (أي ومن كفر فأمتعه قليلاً ...) وفي وجه قراءته ، فقال بعضهم : قائل هذا القول ربنا تعالى ذكره وتأويله على قولهم : قال ومن كفر فأمتعه قليلاً برزقي من الثمرات في الدنيا إلى أن يأتيه أجله . وقرأ قائل هذه المقالة ذلك (فأمتِّعه قليلاً) بتشديد التاء ورفع العين (٢) .

ثم أتبع ذلك بذكر من قال بهذا القول من السلف بسنده إليهم فقال :

ذكر من قال ذلك .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني أبو العالية ، عن أبيّ بن كعب في قوله (ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار) قال : هو قول الرب تعالى ذكره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : لما قال إبراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر) وعدل الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية ؛ انقطاعاً إلى الله ، ومحبة وفراقاً لمن خالف أمره ، وإن كانوا من ذريته ، حيث عرف أنه كائن منهم ظالم لا ينالُ عهده ، بخبره عن ذلك حين أخبره ، قال الله (ومن كفر) فإني أرزق البر والفاجر (فأمتعه قليلاً) .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٦) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن عامر فقد قرأ بسكون الميم ، وتخفيف التاء ورفع العين . (انظر : النشر في القراءات العشر ١/٢٢٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال آخرون : بل قال ذلك إبراهيم خليل الرحمن على وجه المسألة منه ربه أن يرزق الكافر أيضاً من الثمرات بالبلد الحرام مثل الذي يرزق به المؤمن ويمتعه بذلك قليلاً ، ثم اضطره إلى عذاب النار ، بتخفيف التاء وجزم العين ، وفتح الراء من اضطره ، وفصل (ثم اضطره) بغير قطع ألفها (١) على وجه الدعاء من إبراهيم لهم والمسألة .

ثم يبين - رحمه الله - من قال بهذه المقالة من السلف ، وأورد قوله بسنده إليه فقال .

ذكر من قال ذلك .

حدثني المثنى ، قال ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال أبو العالية : كان ابن عباس يقول : ذلك قول إبراهيم يسأل ربه أن من كفر فأمتعه قليلاً .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن ليث ، عن مجاهد (ومن كفر فأمتعه قليلاً) يقول : ومن كفر فارزقه أيضاً ثم اضطره إلى عذاب النار " (٢) .

ويقول أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى *(فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير)*(٣) :"ثم اختلفت القراء في قراءة قوله (قال أعلم أن الله) ، فقرأه بعضهم : (قال اعلم) على معنى الأمر ، بوصل الألف من (أعلم) ، وجزم الميم منها (٤) . وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة . يذكرون أنها في قراءة عبد الله ، قيل : اعلم على وجه الأمر من الله للذي أحيي بعد مماته ، فأمر بالنظر إلى ما يحييه الله بعد مماته ، وكذلك رُوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنى حجاج ، عن هارون ، قال : هي في قراءة عبد الله : قيل اعلم أن الله ، على وجه الأمر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه سمعت ابن عباس يقرأ (فلما تبين له قال اعلم) قال : إنما قيل ذلك له .

حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : ذُكِرَ لنا والله أعلم أنه قيل

---

(١) وهي قراءة شاذة مروية عن ابن عباس رضي الله عنهما (انظر : المحتسب لابن جني ١/١٠٤).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٥٤٤ - ٥٤٥).

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٩).

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له انظر ، فجعل ينظر إلى العظام كيف يتواصل بعضها إلى بعض ، وذلك بعينيه ، فقيل : اعلم أن الله على كل شيء قدير . فعلى هذا القول تأويل ذلك : فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته ، قال الله له : اعلم الآن أن الله على كل شيء قدير .

ثم ذكر - رحمه الله- وجهاً آخر لهذه القراءة فقال :" ولو صرف متأول قوله له (اعلم) وقد قرأه على وجه الأمر إلى أنه من قبل المخبر عنه بما اقتص في هذه الآية من قصته ، كان وجهاً صحيحاً ، وكان ذلك كما يقول القائل : اعلم أن قد كان كذا وكذا على وجه الأمر منه لغيره ، وهو يعني به نفسه " .

ثم تابع حديثه عن القراءة الثانية فقال :" وقرأ ذلك آخرون (قال أعلم) على وجه الخبر عن نفسه للمتكلم به ؛ بهمز ألف (أعلم) وقطعها ورفع الميم (١) . بمعنى : فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينة ما عاينه قال : أليس ذلك ؟ أعلم الآن أنا أن الله على كل شيء قدير . وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراء أهل العراق ، وبذلك من التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن وهب بن منبه قال : لما عاين من قدرة الله ما عاين ، قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول : فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال - يعني نبي الله - عليه السلام - بعد إنشار العظام - : فقال أعلم أن الله على كل شيء قدير .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال عزير عند ذلك - يعني عند معاينة إحياء الله حماره - : أعلم أن الله على كل شيء قدير " (٢) .

* وكان الإمام الطبري - رحمه الله- يعتمد في توجيهه للقراءات ، وبيان معناها على ما ورد من توجيهات عمن قرأ بهذه القراءة أو تلك ، وعمن اختار القراءة بإحدى القراءات الواردة في الآية ، ويحشد

---

(١) وهي قراءة من سوى حمزة والكسائي من القراء العشرة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣١) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٤٥-٤٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما ورد عنهم من حجج وأقوال تدعم وتقوي ما ذهبوا إليه من الاختيار .

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى **{ وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون }** (١) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق (وما كان لنبي أن يَغُل) (٢) بمعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم ، واحتج بعض قارئي هذه القراءة أن هذه الآية نزلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر ، فقال بعض من كان مع النبي – صلى الله عليه وسلم – : لعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أخذها (٣) . ورووا في ذلك روايات .

وذكر – رحمه الله – الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية ثم قال : " وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين : إنما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وجههم في وجهة ، ثم غنم النبي – صلى الله عليه وسلم – فلم يقسم للطلائع ؛ فأنزل الله –عز وجل– هذه الآية على نبيه –صلى الله عليه وسلم– يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ ، وإن الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ، ويعرفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم ، وأنه ليس له أن يَخُص بشيء منها أحداً ممن شهد الوقعة ، أو ممن كان ردءاً لهم في غزوهم دون أحد .

وذكر – رحمه الله – من قال بذلك من السلف ثم قال :" وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الياء وضم الغين : إنما أنزل ذلك تعريفاً للناس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يكتم من وحي الله شيئاً ، وذكر من قال بذلك من سلف الأمة ، ثم شرع في توجيه القراءة الثانية فقال :" وقرأ ذلك آخرون : (وما كان لنبي أن يُغَل) بضم الياء وفتح الغين (٤) . وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة .

واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه ما كان لنبي أن يغله أصحابه ، ثم

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١٦١) .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الحروف والقراءات ، باب (١) (٤/٢٨٠ ح ٣٩٧١) ، والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب من سورة آل عمران (٥/٢٣٠ ح ٣٠٠٩) . وقال : حديث حسن غريب .

(٤) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسقط الأصحاب ، فبقي الفعل غير مسمى فاعله . وتأويله : وما كان لنبي أن يخان " وذكر -رحمه الله- من قال بذلك من التابعين ثم قال :" قال آخرون منهم : معنى ذلك : وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق . وكأن متأولي ذلك كذلك وجهوا قوله (وما كان لنبي أن يُغَلّ) إلى أنه مراد به يُغَلَّل ، ثم خففت العين من (يُفَعَّل) فصارت (يفعل)، كما قرأ من قرأ قوله (فإنهم لا يكذِّبونك) بتأويل (يكذبونك)"(١)

* وكان الإمام الطبري - رحمه الله - أثناء توجيهه للقراءات ابتداء من عند نفسه ، أو نقلاً عن غيره ممن قرأ بالقراءة - يرد الأقوال التي لا يراها مقبولة ، أو منسجمة مع المعنى .

من ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين }* (٢) حيث قال :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (مردَفين) بنصب الدال (٣) ، وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين (مردِفين)(٤) واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك إذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها ، فقال بعض البصريين والكوفيين : معنى ذلك إذا قرئ بالكسر : أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضاً على لغة من قال : أردفته ، وقالوا : العرب تقول : أردفته ، وردفته ، بمعنى تبعته وأتبعته ، واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر (٥) :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننتُ بآلِ فاطمة الظنونا

قالوا : فقال الشاعر : أردفت وإنما أراد ردفت : جاءت بعدها ؛ لأن الجوزاء تجيء بعد الثريا .

وقالوا : معناه إذا قرئ (مردَفين) أنه مفعول بهم ، كأن معناه : بألف من الملائكة يُردِف الله بعضهم بعضاً.

وقال آخرون : معنى ذلك إذا كسرت الدال : أردفت الملائكة بعضها بعضاً ، وإذا قرئ بفتحها : أردف الله المسلمين بهم .... وأما قول من قال : معنى ذلك إذا قرئ (مردَفين) بفتح الدال : أن الله أردف

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (٤/١٥٤-١٥٧) . (٢) سورة الأنفال : الآية (٩) .

(٣) وهي قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٧٥) .

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر والكوفيين . (انظر : المرجع السابق) .

(٥) هو خزيمة بن نهد بن زيد بن قضاعة ، من قدماء الشعراء في الجاهلية . إن الجوزاء تردف الثريا في اشتداد الحر ، وعند ذلك تنقطع المياه وتجف ، فيتفرق الناس في طلب المياه فتغيب عنه محبوبته ، فلا يدري أين مضت ، ولا أين نزلت (انظر : الأغاني ١٣/٨٥ ، اللسان مادتي (ردف ، قرظ) ، وتفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر ١٣/٤١٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين بهم فقول لا معنى له ، إذ الذكر الذي في (مردِفين) من الملائكة دون المؤمنين . وإنما معنى الكلام : أن يمدكم بألف من الملائكة يُردَف بعضهم ببعض ، ثم حذف ذكر الفاعل ، وأخرج الخبر غير مسمى فاعله ، فقيل مردَفين بمعنى : مردَف بعض الملائكة ببعض ، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في المردَفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة ، وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن " (١) .

* وكان - رحمه الله - يعتمد في تخريجه للقراءات وتوجيهها والاحتجاج لها على بيان وجه ذلك من حيث الصناعة النحوية ، ذاكراً أكثر من إعراب لبعض القراءات التي يريد بيان وجهها ، وقد يرد التخريج الذي لا يراه قوياً أو صواباً ، وكان يورد أحياناً آراء نحويي الكوفة والبصرة دونما تعصب لأي فريق منهم ، ويرجح من آرائهم ما يراه صواباً .

ومن أمثلة اعتماده في توجيه القراءات على الصناعة النحوية قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[تنزيل العزيز الرحيم]* (٢) حيث يقول :" اختلف القراء في قراءة قوله (تنزيل العزيز الرحيم) فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (تنزيلُ العزيز) برفع (تنزيل) (٣) ، والرفع في ذلك يتجه من وجهين أحدهما : بأن يجعل خبراً ، فيكون معنى الكلام : إنه تنزيل العزيز الرحيم . والآخر : بالابتداء ، فيكون معنى الكلام حينئذ : إنك لمن المرسلين ، هذا تنزيل العزيز الرحيم .

وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام (تنزيلَ) (٤) نصباً على المصدر من قوله (إنك لمن المرسلين) لإن الإرسال إنما هو عن التنزيل ، فكأنه قيل : لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقاً " (٥) .

وقوله عند تفسيره لقوله تعالى *[قال فالحق والحق أقول]* (٦) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (قال فالحق والحق أقول) فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق الأول ، ونصب الثاني (٧) . وفي رفع الحق الأول إذا قرئ كذلك وجهان : أحدهما : رفعه بضمير الحق ، أو أنا الحق وأقول الحق . والثاني : أن يكون مرفوعاً بتأويل قوله (لأملأن) فيكون معنى الكلام حينئذ :

---

(١) جامع البيان من تاويل آي القرآن (٩/١٩١-١٩٢) . (٢) سورة يس : الآية (٥) .

(٣) وهي قراءة المدنيين والبصريين والمكي وشعبة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٥٣) .

(٤) وهي قراءة ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف (انظر : المرجع السابق) .

(٥) جامع البيان من تاويل آي القرآن (٢٢/١٤٩) . (٦) سورة الصافات : الآية (٨٤) .

(٧) وهي قراءة عاصم وحمزة وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٦٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالحق أن أملأ جهنم منك ، كما يقول : عزمة صادقة لآتينك ، فرفع عزمة بتأويل لآتينك ، لأن تأويله أن أتيك ، كما قال : { ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه } (١) فلابد لقوله (بدا لهم) من مرفوع ، وهو مضمر في المعنى .

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحق الأول والثاني كليهما (٢) ، بمعنى : حقاً لأملأن جهنم والحق أقول ، ثم أدخلت الألف واللام عليه ، وهو منصوب ، لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء ، كما سواء قولهم : حمداً لله ، والحمد لله عندهم إذا نصب ، وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء ، بمعنى الزموا الحق ، وابتغوا الحق ، والأول أشبه لأنه خطاب من الله لإبليس بما هو فاعل به وبتباعه " (٣) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى { وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين } (٤) ، حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرَ) بفتح (آزر) (٥) على اتباعه الأب في الخفض ولكنه لما كان اسماً اعجمياً فتحوه إذ لم يجروهوإن كان في موضع خفض ، وذكر عن أبي يزيد المديني (٦) والحسن البصري أنهما كانا يقرءان ذلك : آزر بالرفع (٧) على النداء بمعنى : يا آزر ، فأما الذي ذكر عن السدي من حكايته أن آزر اسم صنم ، وإنما نصبه بمعنى : أتتخذ آزر أصناماً آلهة ، فقول من الصواب من جهة العربية بعيد ، وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعل بعد حرف الاستفهام ، لا تقول : أخاك أكلمت ، وهي تريد : أكلمت أخاك " (٨) .

ومن أمثلة إيراده لآراء نحويي الكوفة والبصرة قوله عند تفسيره لقوله تعالى { قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى }(٩)

---

(١) سورة يوسف : الآية (٣٥) . (٢) وهي قراءة المدنيين والبصريين والمكي والشامي والكسائي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٣٦٢/٢) .

(٣) جامع البيان عن تاويل أي القرآن (١٨٧/٢٣) . (٤) سورة الأنعام : الآية (٧٤) .

(٥) وهي قراءة جميع القراء سوى يعقوب . (انظر النشر في القراءات العشر ٢٥٩/٢) .

(٦) نزيل البصرة مقبول من الرابعة ، قال أبو زرعة وقد سئل عنه :" لا أعلم له اسماً (انظر التقريب لابن حجر العسقلاني) (٦٨٥) ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٥٩/٩) ، كتاب الكنى والأسماء للدولابي (١٦٤/٢) . (٧) وهي قراءة يعقوب (انظر النشر في القراءات العشر ٢٥٩/٢) .

(٨) جامع البيان عن تاويل أي القرآن ٢٤٣/٧) . (٩) سورة طه : الآية (٦٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث يقول :" وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (إن هذان لساحران) فقرأته عامة قراء الأمصار (إنّ هذان) بتشديد (إن) وبالألف في (هذان) (١) ، وقالوا : قرأنا ذلك كذلك ، وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : إن خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة لقوم يرفعون بها ، ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى (ما) .

وقال بعض نحويي الكوفة : ذلك على وجهين : أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم ، يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف ، وقد أنشدني رجل من الأسد عن بعض بني الحارث بن كعب :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى   مساغاً لنا باه الشجاع لصمما (٢)

قال : وحكى عنه أيضاً : هذا خط يدا أخي أعرفه .... والوجه الآخر أن تقول وجدت الألف من هذا دعامة ، وليست بلام فعلى ، فلما بنيت زدت عليها نوناً ، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال ، كما قالت العرب (الذي) ، ثم زادوا نوناً تدل على الجمع ، فقالوا (الذين) في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كما تركوا (هذان) في رفعه ونصبه وخفضه ، قال : وكان القياس أن يقولوا (الذون) " (٣) .

* والإمام الطبري -رحمه الله- يعتمد في احتجاجه للقراءات وتوجيهها اعتماداً كبيراً على اللغة فقد كان يرجع في شأن القراءة إلى اللغة كثيراً ، يلتمس لها شاهداً فيرويه ، أو نظيراً فيقيسها عليه .

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **[قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون]** (٤) ، حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه جماعة من أهل الكوفة (فإنهم لا يُكْذبونك) بالتخفيف (٥) ، بمعنى : إنهم لا

---

(١) وهي قراءة المدنيين وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ، وقرأ ابن كثير وحفص بتخفيف النون وبالألف في هذان ، وقرأ أبو عمرو بتشديد النون وبالياء في هذان أي: هذين . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٢٠ - ٣٢١) .

(٢) البيت للمتلمس : جرير بن عبد العزى ، من كلمة له رواها ابن الشجري ، (انظر : كتاب الأشموني في النحو تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ١/ ٤٧) . قال : أطرق : سكت فلم يتكلم ، وأرخى عينيه ينظر إلى الأرض ، والشجاع : ضرب من الحيات لطيف دقيق ، وهو أجرؤها ، ومسوغاً: اسم مكان من ساغ يسوغ : إذا دخل ونفذ . وصمم : عض ونيب . (انظر : حاشية جامع البيان للطبري ، طبعة دار الفكر ١٦/ ١٨١) .

(٣) جامع البيان من تأويل آي القرآن (١٦/ ١٨٠ - ١٨١) .   (٤) سورة الأنعام : الآية (٣٣) .

(٥) وهي قراءة نافع والكسائي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكذبونك فيما أتيتهم به من وحي الله ، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحاً ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحدون حقيقته قولاً فلا يؤمنون به .

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكي عن العرب أنهم يقولون : أكذبتَ الرجل ، إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه ، وقال : ويقولون : كذبته ، إذا أخبرت أنه كاذب .

وقرأته جماعة من قراء المدينة والعراقين - الكوفة والبصرة - (فإنهم لا يكذِّبونك) (١) بمعنى إنهم لا يكذبونك علماً ، بل يعلمون أنك صادق ، ولكنهم يكذبونك قولاً ، عناداً وحسداً " (٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى ***(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلاً كريماً)*** (٣) حيث يقول :" وأما قوله (وندخلكم مدخلاً كريماً) فإن القرأة اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين (وندخلكم مَدخلاً كريماً) بفتح الميم(٤) ، وكذلك الذي في سورة الحج ***(ليدخلنهم مَدخلاً يرضونه)*** (٥) ، فمعنى (وندخلكم مَدخلاً كريماً) : فيدخلون دخولاً كريماً ، وقد يحتمل على مذهب من قرأ هذه القراءة أن يكون المعنى في المدخل : المكان والموضع ؛ لأن العرب ربما فتحت الميم من ذلك بهذا المعنى . كما قال الراجز :

بِمَصْبَح الحمدِ وحيث تُمْسي (٦)

وقد أنشدني بعضهم سماعاً من العرب :

الحمد لله مَمْسانا ومَصبحنا   بالخير صبحنا ربي ومسانا (٧) .

وأنشدني غيره :

الحمد لله مُمسانا ومُصبحنا .

لأنه من أصبح وأمسى ، وكذلك تفعل العرب فيما كان من الفعل بناؤه على أربعة ، تضم ميمه

---

(١) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع والكسائي . (انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٥٧-٢٥٨) .

(٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٧/١٨٠-١٨١) .

(٣) سورة النساء : الآية (٣١) .

(٤) وهي قراءة نافع وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٩) .

(٥) سورة الحج : الآية (٥٩) .

(٦) ذكره الفراء في معاني القرآن (١/٢٦٤) ولم ينسبه لأحد ، وكذلك صاحب اللسان مادة (صبح) ، وقال أحمد شاكر : لم أعرف قائله (تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر ٨/٢٥٨) .

(٧) البيت لأمية بن أبي الصلت . (انظر : ديوانه تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ٥١٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مثل هذا فتقول : دحرجته ، أدحرجه ، مدحرجاً ، فهو مُدحرج ، ثم تحمل ما جاء على (أَفْعَل يُفْعِلُ) على ذلك ؛ لأن (يُفعِل) من يدخل ، وإن كان على أربعة ، فإن أصله يكون على (يُؤَفْعِل) يُؤدْخِل ، ويُؤَخرج ، فهو نظير يُدَحرِج .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين (مُدخَلاً) بضم الميم (١) ، يعني : وندخلكم إدخالاً كريماً"(٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***[ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون]*** (٣) حيث يقول :" ذكر عن بعض القراء أنه قرأ (إلا أماني) مخففة (٤) ومن خفف ذلك وجهه إلى نحو جمعهم المفتاح مفاتح ، والقرقور قراقر، وأن ياء الجمع لما حذفت خففت الياء الأصلية ، أعني من الأماني ، كما جمعوا الأثفية أثافي مخففة ، كما قال زهير بن أبي سلمى :

أثافيَ سُعفاً في مُعَرّس مِرْجَلٍ ... ونُؤْياً كجِذْمِ الحوض لم يتثلم (٥) .

وأما من ثقل (أمانيَّ) فشدد ياءها ، فإنه وجه ذلك إلى نحو جمعهم المفتاح مفاتيح ، والقرقور قراقير ، والزنبور زنابير ، فاجتمعت ياء فعاليل ولامها وهما جميعاً ياءان ، فأدغمت إحداهما في الأخرى فصارتا ياء واحدة مشددة " (٦) .

* ومن منهج الإمام الطبري - رحمه الله - أنه كان يرجع في شأن بعض القراءات القرآنية إلى لهجة من لهجات العرب أو لغة من لغاتها فيرد القراءة إليها .

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***[وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت***

---

(١) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤٩/٢) .

(٢) جامع البيان عن تاويل اي القران (٤٥/٥-٤٦) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٧٨) .

(٤) وهي قراءة أبي جعفر والحسن البصري . (انظر : اتحاف فضلاء البشر ١٣٩) .

(٥) الأثفية : جمعها الأثافي - بتثقيل الياء وتخفيفها - وهي حجارة توضع القدر عليها ، السعف : السواد ، المرجل : القدر ، معرسه : مكانه ، والنُؤى : نهير يحفر حول البيت ليجري فيه الماء لاستقبال ماء المطر وصرفه عنه ، الجذم: الأصل . يقول الشاعر : عرفت حجارة سوداً ينصب عليها القدر ، وعرفت نهيراً كان حول بيت ام اوفى بقي غير متثلم كانه اصل حوض . يريد أن هذه الأشياء دلته على أنها دار ام اوفى . (انظر : ديوان زهير بن أبي سلمى تحقيق وشرح كرم البستاني ٧٥) .

(٦) جامع البيان عن تاويل اي القران (٣٧٦/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم) (١) حيث يقول :" وفي الرءوف لغات : إحداها (رَؤُف) على مثال (فَعُل) كما قال الوليد بن عقبة :

وشرُّ الطالبين - ولا تَكُنْه بقاتلِ عمه الرَّؤُف الرحيم (٢) .

وهي قراءة عامة أهل الكوفة (٣) .

والأخرى (رءوف) على مثال (فعول) ، وهي قراءة عامة أهل المدينة (٤) .

و (رَئِف) وهي لغة غطفان ، على مثال (فَعِل) مثل (حَذِر) و (رَأْف) على مثال (فَعْل) بجزم العين ، وهي لغة لبني أسد . والقراءة على أحد الوجهين الأولين " (٥) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .... الآية)* (٦) حيث يقول :" وأما (الميتة) فإن القرأة مختلفة في قراءتها . فقرأها بعضهم بالتخفيف (٧) ، ومعناه فيها التشديد ، ولكنه يخففها كما يخفف القائلون في (هو هيِّن ليِّن) (الهين واللين) كما قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميْت إنما المَيْتُ ميِّت الأحياء (٨)

فجمع بين اللغتين في بيت واحد .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٤٣) .

(٢) البيت من شواهد القرطبي في تفسيره (١٥٨/٢) . وهو من قصيدة كتب بها الوليد إلى معاوية يحرضه على الأخذ بثأر عثمان ممن قتله . يقول الوليد : إن شر الطالبين بالثأر لعثمان - وحاشاك أن تكون شرهم - هو من يؤثر الرأفة والرحمة مع من يطلبهم بثأره . (انظر : جامع البيان عن تأويل اي القرآن ١٩/٢ ، وبتحقيق أحمد شاكر ١٧١/٣) .

(٣) وهي قراءة شعبة وأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٩) .

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وأبي جعفر . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٩) .

(٥) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١٨/٢ - ١٩) .

(٦) سورة البقرة : الآية (١٧٣) .

(٧) وهي قراءة القراء العشرة سوى أبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٢٤/٢) .

(٨) البيت لعدي بن الرَّعْلاء الغساني ، وهو شاعر جاهلي ، و (الرعلاء) اسم أمه ، اشتهر بها . والرعلاء : من قولهم : ناقة رعلاء ، وهي التي تقطع قطعة من أذنها وتترك تنوس . (انظر : هامش ص ١٧٠ من الأصمعيات تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقرأها بعضهم بالتشديد (١) ، وحملوها على الأصل ، وقالوا : إنما هو (مَيْوِت) فيعل من الموت ، ولكن الياء الساكنة والواو المتحركة لما اجتمعتا - والياء مع سكونها متقدمة - قلبت الواو ياء ، وشددت فصارت ياء مشددة ، كما فعلوا ذلك في (سيد وجيد) ، قالوا : ومن خففها إنما طلب الخفة ، والقراءة بها على أصلها أولى .

قال أبو جعفر : " والصواب من القول في ذلك عندي ، أن التخفيف والتشديد في ياء (الميتة) لغتان معروفتان في القرأة ، وفي كلام العرب ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ؛ لأنه لا اختلاف في معنييهما " (٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى [فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم] (٣) حيث يقول : " وقد قرئ قوله (فمن خاف من موص) بالتخفيف في الصاد والتسكين في الواو (٤) ، وبتحريك الواو وتشديد الصاد (٥) . فمن قرأ ذلك بتخفيف الصاد وتسكين الواو فإنما قرأه بلغة من قال : أوصيت فلاناً بكذا .

ومن قرأ بتحريك الواو وتشديد الصاد قرأه بلغة من يقول : وصيت فلاناً بكذا . وهما لغتان للعرب مشهورتان : وَصَّيْتك ، وأوصيتك " (٦) .

* وقد اعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في احتجاجه للقراءات وتقويتها ونفي الشبهة والشك عنها على آيات أخر من كتاب الله العزيز ، وعلى بعض القراءات الشاذة المروية عن بعض الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وعلى حديث سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى أسباب نزول بعض الآيات ، وعلى كلام العرب شعره ونثره ، يورد كل هذه الدلائل في مواطن متعددة من تفسيره في سياق احتجاجه للقراءات القرآنية المختلفة .

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٤) .

(٢) جامع البيان عن تاويل اي القران (٢/٨٤-٨٥) .

(٣) سورة البقرة : الآية (١٨٢) .

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم وأبي جعفر . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٥٤) .

(٥) وهي قراءة شعبة وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (انظر : المرجع نفسه) .

(٦) جامع البيان عن تاويل اي القران (٢/١٢٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن أمثلة احتجاجه للقراءة بآيات أخر من كتاب الله تعالى قوله عند تفسيره لقوله تعالى
{ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص } (١) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة (ويعلمُ الذين) رفعاً على الاستئناف (٢) كما قال في سورة براءة *{ويتوب الله على من يشاء }* (٣) .

وقرأته قراء الكوفة والبصرة (ويعلمَ الذين) نصباً (٤) كما قال في سورة آل عمران *{ ويعلمَ الصابرين }* (٥) على الصرف " (٦) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون }* (٧) حيث يقول :" وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو (في أيام نَحِسات) بكسر الحاء (٨) ، وقرأه نافع وأبو عمرو (نحْسات) بسكون الحاء (٩) . وكان أبو عمرو فيما ذكر لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله (يوم نحْس مستمر) (١٠) وأن الحاء فيه ساكنة " (١١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون}*(١٢) حيث يقول :"واختلفت القراء في قراءة قوله (سقفاً) فقرأته عامة قراء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين (سَقْفاً) بفتح السين وسكون القاف (١٣) ، اعتباراً منهم ذلك بقوله *{ فخر عليهم السقف*

---

(١) سورة الشورى : الآية (٣٥) .

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٨٣) . (٣) سورة التوبة : الآية (١٥) .

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٨٣) .

(٥) سورة آل عمران : الآية (١٤٢) . (٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٥/٣٥) . (٧) سورة فصلت : الآية (١٦) .

(٨) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٨٠ ، ٣٨١) .

(٩) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب . (انظر : المرجع نفسه) . (١٠) سورة القمر : الآية (١٩) .

(١١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/١٠٢) . (١٢) سورة الزخرف : الآية (٣٣) .

(١٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٨٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من *فوقهم* / (١) وتوجيهاً منهم ذلك إلى أنه بلفظ واحد معناه الجمع .

وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة (سُقُفاً) بضم السين والقاف (٢) ، ووجهوها إلى أنها جمع سقيفة أو سقوف ، وإذا وجهت إلى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع ؛ لأن السقوف جمع سقف ، ثم تجمع السقوف سُقُفاً ، فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه / *فرُهُنٌ مقبوضة* / (٣) بضم الراء والهاء ، وهي الجمع ، واحدها رهان ورهون ، وواحد الرهون والرهان : رهن . وكذلك قراءة من قرأ / *كلوا من ثُمُره* / (٤) بضم الثاء والميم " (٥) .

ومن أمثلة استشهاده بقراءة شاذة على صحة قراءة صحيحة قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى / *ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون* / (٦) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (ولا يأمركم) ، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة (ولا يأمرُكم) على وجه الابتداء من الله (٧) بالخبر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً . واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها وهي (ولن يأمركم) فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله ، وابتداء خبر مستأنف ، قالوا : فلما صير مكان (لن) في قراءتنا (لا) وجبت قراءته بالرفع .

وقرأه بعض الكوفيين والبصريين (ولا يأمرَكم) بنصب الراء (٨) عطفاً على قوله (ثم يقول للناس) وكان تأويله عندهم : ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس ولا أن يأمركم . بمعنى ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً " (٩) .

---

(١) سورة النحل : الآية (٢٦) .

(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٨٥) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٨٣) . وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٧) .

(٤) سورة الأنعام : الآية (١٤١) . وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع السابق ٢/٢٦٠) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٥/٦٩) . (٦) سورة آل عمران : الآية (٨٠) .

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو من رواية الدوري بخلاف عنه والكسائي وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٠) .

(٨) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف . (انظر : المرجع السابق) .

(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٣٢٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم***] (١) حيث يقول :" قرأت عامة القراء (ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من (تُسألُ) ورفع اللام منها على الخبر (٢) ، بمعنى : يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغت ما أرسلت به ، وإنما عليك البلاغ والإنذار ، ولست مسؤولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق ، وكان من أهل الجحيم .

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزماً (٣) بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها ، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً لتبلغ ما أرسلت به ، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم ، فلا تسأل عن حالهم .... وقد ذكر أنها في قراءة أبيّ (وما تُسْألُ) ، وفي قراءة ابن مسعود (ولن تسألَ) وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي " (٤) .

ومن أمثلة احتجاجه بالحديث الشريف على صحة القراءة قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود***](٥) حيث يقول :" اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته بعضهم (واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى) بكسر الخاء (٦) على وجه الأمر باتخاذه مصلى ، وهي قراءة عامة المصرين - الكوفة والبصرة - وقراءة عامة قراء أهل مكة وبعض قراء أهل المدينة .

وذهب إليه الذين قرأوه كذلك من الخبر الذي حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم قالا : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال عمر بن الخطاب : قلت يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى ؟ فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٧)... فإنما أنزل الله -تعالى ذكره-

---

(١) سورة البقرة : الآية (١١٩).

(٢) وهي قراءة القراء العشرة سوى نافع ويعقوب . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٦) .

(٣) وهي قراءة نافع ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١/٥١٥-٥١٦) .

(٥) سورة البقرة : الآية (١٢٥) .

(٦) وهي قراءة القراء العشرة سوى نافع وابن عامر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٢) .

(٧) اخرجه البخاري في صحيحه . كتاب التفسير باب قوله " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " (٤/١٦٢٩ ح ٤٢١٣) ، والترمذي في سننه . كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة (٥/٢٠٦ ح ٢٩٥٩ ، ٢٩٦٠) وقال : حديث حسن صحيح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الآية أمراً منه نبيه - صلى الله عليه وسلم - باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، فغير جائز قراءتها وهي أمر على وجه الخبر .... وقرأ بعض قراء أهل المدينة والشام (واتخَذوا) بفتح الخاء (١) على وجه الخبر"(٢) .

قلت : بل تجوز القراءة بفتح الخاء على وجه الخبر ، وهي قراءة صحيحة ، والقراءة بها ثابتة عن القراء الأثبات ، ولهذه القراءة وجه صحيح من حيث المعنى ، فهي إخبار عن ولد إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - أنهم اتخذوا مقام إبراهيم مصلى ، وهو مردود إلى قوله (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) . (٣) ، أي أن ولد إبراهيم قد اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فلا حرج عليكم يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من اتخاذه مصلى .

ومن أمثلة احتجاجه بسبب النزول على صحة القراءة المثال السابق وقوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)* (٤) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق (وما كان لنبي أن يَغُل) (٥) بمعنى : أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم . واحتج بعض قارئي هذه القراءة : أن هذه الآية نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم - في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر ، فقال بعض من كان مع النبي -صلى الله عليه وسلم- : لعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذها (٦) . ورووا في ذلك روايات ....

وقرأ ذلك آخرون (وما كان لنبي أن يُغَل) بضم الياء وفتح الغين (٧) ، وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة . واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ما كان لنبي أن يغله أصحابه ، ثم أسقط الأصحاب فبقي الفعل غير مسمىً فاعله ، وتأويله : وما كان لنبي أن يخان .....

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٢) .

(٢) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١/٥٣٤ - ٥٣٥) .

(٣) انظر : حجة القراءات لابن زنجلة (١١٣) .

(٤) سورة ال عمران : الاية (١٦١) .

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم . (انظر النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٢) .

(٦) اخرجه ابو داود في سننه ، كتاب الحروف والقراءات باب (١) ، (٤/٢٨٠ ح /٣٩٧١) ، والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب من سورة آل عمران (٥/٢٣٠ ح ٣٠٠٩) وقال حديث حسن غريب .

(٧) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قوله (وما كان لنبي أن يُغَل) يقول : وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ، ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه " (١) .

ومن أمثلة استدلاله بكلام العرب شعره ونثره على قوة القراءة وصحتها ونفي الشك عنها قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **{ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبءَ في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون }** (٢) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة قوله (ألا يسجدوا لله) فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين (ألا) بالتخفيف (٣) ، بمعنى : ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فأضمروا هؤلاء اكتفاء بدلالة (يا) عليها . وذكر بعضهم سماعاً من العرب : ألا يا ارحمنا ، ألا يا تصدق علينا ، واستشهدوا أيضاً ببيت الأخطل :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر وإن كان حيَّانا عِداً آخر الدهر (٤)

فعلى هذه القراءة (اسجدوا) في هذا الموضع جزم ، ولا موضع لقوله (ألا) في الإعراب .

وقرأ ذلك عامة قراء المدينه والكوفه والبصرة (ألاّ يسجدوا) بتشديد (ألا) (٥) ، بمعنى : وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا لله ، (ألا) في موضع نصب لما ذكرت من معناه أنه لئلا ، و (يسجدوا) في موضع نصب بأن " (٦) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **{ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين }** (٧) حيث يقول : " اختلفت القرأة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرأة أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة (فنادته الملائكة) على التأنيث بالتاء (٨) ، ويراد بها : جمع الملائكة

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١٥٤/٤-١٥٧) .

(٢) سورة النمل : الآية (٢٥) .

(٣) وهي قراءة الكسائي وأبي جعفر ورويس عن يعقوب . (انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٣٦) .

(٤) نسب ابن منظور في اللسان مادة (عدا) البيت إلى الأخطل التغلبي ، الشاعر الأموي .

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة وخلف وروح عن يعقوب (انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٣٦) .

(٦) جامع البيان عن تاويل اي القران (١٤٩/١٩) .

(٧) سورة آل عمران : الآية (٣٩) .

(٨) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب . (انظر إتحاف فضلاء البشر ١٧٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك تفعل العرب في جماعة الذكور إذا تقدمت أفعالها أنثت أفعالها ، ولا سيما الأسماء التي في ألفاظها التأنيث كقولهم : جاءت الطلحات .

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء (١) ، بمعنى : فناداه جبريل ، فذكروه للتأويل ، كما قد ذكرنا آنفاً أنهم يؤنثون فعل الذكر للفظ ، فكذلك يذكرون فعل المؤنث أيضاً للفظ ، واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يذكر أنها قراءة عبد الله بن مسعود .

وهو ما حدثني به المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد أن قراءة ابن مسعود (فناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب) (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً]* (٣) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة قوله (كسفاً) ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بسكون السين (٤) ، بمعنى : أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، وذلك أن الكسف في كلام العرب جمع كِسْفة ، وهو جمع الكثير من العدد للجنس ، كما تجمع السِّدْرة بسدْر ، والتمرة بتمر ، فحكى عن العرب سماعاً : (أعطني كِسْفة من هذا الثوب) : أي قطعة منه ، ويقال منه : (جاءنا بثريد كِسْف) : أي قطع خبز .

وقد يحتمل إذا قرئ كذلك (كِسْفاً) بسكون السين أن يكون مراداً به المصدر من كِسَف . فأما الكِسَف بفتح السين فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر ، يقال : كِسَفة واحدة ، وثلاث كِسَف ، وكذلك إلى العشر .

وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين (كِسَفاً) بفتح السين (٥) ، بمعنى : جمع الكِسْفة الواحدة من الثلاث إلى العشر ، يعني بذلك قطعاً ما بين الثلاث إلى العشر " (٦) .

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٧٣) . وأراد بالياء إمالة الألف لأن أصحاب هذه القراءة يقرأون بإمالة الألف في قوله (فناداه) .

(٢) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (٣/٢٤٩) .

(٣) سورة الإسراء : الآية (٩٢) .

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٨٦) .

(٥) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وأبي جعفر . (انظر : المرجع السابق) .

(٦) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (١٥/١٩٠-١٩١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [*فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى*] (١) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (فأجمعوا كيدكم) ، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (فأجمعوا كيدكم) بهمز الألف من (فأجمعوا) (٢) ، ووجهوا معنى ذلك إلى : فأحكموا كيدكم ، واعزموا عليه ، من قولهم : أجمع فلان الخروج ، وأجمع على الخروج ، كما يقال : أزمع عليه ، ومنه قول الشاعر :

يا ليت شعري والمُنى لا تنفعُ   هل أغدُوَنْ يوماً وأمرى مُجمعُ (٣)

يعني بقوله (مجمع) : قد أحكم وعزم عليه . ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم- :« من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له » (٤) .

وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة (فاجمَعوا كيدكم) بوصل الألف وترك همزها (٥) ، من جمعت الشيء ، كأنه وجهه إلى معنى : فلا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به . وكان بعض قارئي هذه القراءة يعتل فيما ذُكر لي لقراءته ذلك كذلك بقوله [*فتولى فرعون فجمع كيده*] (٦) " (٧) .

* وكان الإمام الطبري - رحمه الله - يعتمد في احتجاجه لبعض القراءات على بيان موافقة القراءة لسياقها وسباقها ، ويعد ذلك دليلاً على صحة معنى القراءة لانسجامها مع آيتها ومع الآيات السابقة واللاحقة لها ، والذي يعد بدوره دليلاً على صحة القراءة بعد الدليل النقلي . وقد لاقت هذه القضية اهتماماً كبيراً منه ، وكانت صفة غالبة على منهجه في توجيهه للقراءات والاحتجاج لها .

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، منها قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [*ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم*

---

(١) سورة طه : الآية (٦٤) .   (٢) وهي قراءة القراء العشرة سوى أبي عمرو . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٠٤) .

(٣) البيت من شواهد الفراء في معاني القران (٢/١٨٥) ولم ينسبه ، وانظر: حجة القراءات لأبي زرعة (٤٥٧) ، ولسان العرب لابن منظور مادة (جمع).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الصوم ، باب النية في الصيام (٢/٨٢٤ ح ٢٤٥٤) ، والترمذي في سننه : كتاب الصوم ، باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل (٣/١٠٨ ح ٧٣٠) ، والنسائي في سننه : كتاب الصيام ، باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة (٤/١٩٦ ح ٢٣٣٣) ، وابن ماجه في سننه : كتاب الصيام ، باب ما جاء في فرض الصوم من الليل (١/٥٤٢ ح ١٧٠٠) .

(٥) وهي قراءة أبي عمرو . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٣٠٤) .

(٦) سورة طه : الآية (٦٠) .   (٧) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٦/١٨٣ - ١٨٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون } (١) حيث يقول :" اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (وما الله بغافل عما يعملون) بالياء (٢) على وجه الإخبار عنهم ، فكأنهم نحو بقراءتهم معنى : (فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون) يعني : عما يعمله الذين أخبر الله عنهم أنه ليس لهم على فعلهم إلا الخزي في الحياة الدنيا ، ومرجعهم في الآخرة إلى أشد العذاب .

وقرأه آخرون (وما الله بغافل عما تعملون) بالتاء (٣) على وجه المخاطبة . قال : فكأنهم نحو بقراءتهم (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ... وما الله بغافل) يا معشر اليهود (عما تعملون) أنتم " (٤) .

ومنها أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل }* (٥) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء الكوفيين (ويعلمه) بالياء (٦) رداً على قوله (كذلكِ الله يخلق ما يشاء ويعلمه الكتاب) ، فألحقوا الخبر في قوله (ويعلمه) بنظير الخبر في قوله (يخلق ما يشاء) وقوله (فإنما يقول له كن فيكون) .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين (ونعلمه) بالنون (٧) عطفاً على قوله (نوحيه إليك) ، كأنه قال : ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ونعلمه الكتاب ، وقالوا : ما بعد (نوحيه) في صلته إلى قوله (كن فيكون) ثم عطف بقوله (ونعلمه) عليه " (٨) .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٨٥) . (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وشعبة ويعقوب وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢١٨) .

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وأبي جعفر . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تاويل اي القران (١/٤٠١-٤٠٢) . (٥) سورة ال عمران : الآية (٤٨) .

(٦) وهي قراءة نافع وعاصم وأبي جعفر ويعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٠) .

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع السابق) .

(٨) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢/٢٧٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخلاصة :

يتبين مما سبق أن الإمام الطبري - رحمه الله - اعتمد في احتجاجه للقراءات وتوجيهها وتعليلها على أمور كثيرة منها اللغة العربية والنحو ، فقد كان اعتماده عليها كبيراً ، فنراه -رحمه الله - يورد القراءات، ويبين أوجه الاختلاف بينها من حيث اللغة والنحو ، مستعيناً في ذلك بأقوال أئمة اللغة والنحو من البصريين والكوفيين دونما تعصب لإحدى هاتين المدرستين ، بل كان يعرض آراءهم وحجة كل منهم من غير ترجيح ، وقد كان يرجح أحياناً مستدلاً على ترجيحه ، وقد يختار رأياً مختلفاً عن آرائهم يراه صواباً .

وكان - رحمه الله - يحتج للقراءات بأدلة من القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف ، والشعرالقديم في الجاهلية والإسلام ، ولهجات القبائل العربية المختلفة .

وكان - رحمه الله - يعتمد كذلك في توجيهه للقراءات وبيان معناها على سياق النص القرآني وسباقه ولواحقه ، تحقيقاً لاتساق معاني الآي ، وربطها ببعضها ، وهي الطريقة الفضلى التي هي حرية بالاتباع لفهم أي الذكر الحكيم فهماً صحيحاً سليماً .

وكان - رحمه الله - في هذا كله متميز الشخصية ، مستقل الرأي ، يحلل المسائل ويقلب النظر فيها من كل جانب ، يوضح ما كان غامضاً منها ، ويشرح منها ما يحتاج إلى شرح ، ويناقش الآراء ، ويعقب عليها ، ويفاضل بينها ، ويخالف ، ويعترض ، ثم يخلص من هذا كله إلى الرأي الذي يتناسب مع بلاغة القرآن الكريم وعلوّ أسلوبه .

ثم إن المنهج الذي اتبعه الإمام الطبري - رحمه الله - في احتجاجه للقراءات يعكس لنا ضلاعته بل إمامته في كثير من العلوم التي اتخذها وسيلة تساعده في تبيين ما انطوت عليه القراءات القرآنية من معانٍ عظيمة ، وفوائد جليلة . والتي هي حرية بالوقوف عليها لاستخراجها ، وفتق الأكمام عنها ليفوح أريجها الشذى يملأ الآفاق بروعة هذا الكتاب الخالد الذي لا تنتهي عجائبه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث

الترجيح والاختيار في القراءات ومنهج الطبري فيه

إن قضية الترجيح بين القراءات القرآنية المتواترة من القضايا المهمة والخطيرة ، وهي قضية حرية بالدرس والبحث ، شأنها في ذلك شأن كثير من القضايا المتصلة بالقراءات القرآنية ، التي لم تهضم ، ولم تحرر تحريراً دقيقاً منطقياً ، يعتمد على الدليل والبرهان في بُعد عن العاطفة الجياشة التي توجد آراء فجة ، ودراسات سطحية لا عمق فيها .

فقد اختلفت أنظار العلماء قديماً وحديثاً إلى هذه القضية ، وكانوا بين مجيز ومانع ، وسأحاول في هذا البحث - وزادي قليل - كشف اللثام عنها ؛ لتظهر جلية واضحة لا غموض فيها .

وقبل الخوض في الحديث عن الترجيح ، يحسن الحديث عن مصطلح هو أقرب ما يكون إلى الترجيح ، وهو الاختيار ؛ لنتبين الفرق بين الترجيح والاختيار .

فالاختيار عند القراء : هو أن يختار القارئ من بين القراءات الكثيرة التي تلقاها عن شيوخه ورواها عنهم قراءة ، يلزمها ، ويداوم عليها ، ويقرئ الناس بها فتنسب إليه . فيقال قراءة فلان .

وهذه النسبة - كما هو واضح - نسبة اختيار ولزوم ودوام ، لا نسبة اختراع وابتداع .

فنافع قرأ على سبعين من التابعين ، وأخذ عنهم قراءات متعددة ، ثم اختار من القراءات الكثيرة التي قرأها ورواها عنهم قراءة اعتمد في اختياره لها على ما اتفق عليه اثنان ، وترك ما سوى ذلك .

فقد نقل عنه قوله : " قرأت على سبعين من التابعين ، فما اتفق عليه اثنان أخذته ، وما شك فيه واحد تركته " (١) .

والاختيار أمر ليس ممنوعاً ولا محظوراً ، فقد كان معمولاً به عند القراء ، ولم ينكر ذلك أحد عليهم ، بل لقد شاعت كلمة الاختيار في تصانيف المقرئين دون نكير . من ذلك قول ابن الباذِش (٢) في

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي (٦١) ، المرشد الوجيز لأبي شامة (١٥٥) .

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف ، أبو جعفر بن الباذش الأنصاري الغرناطي ، أستاذ كبير وإمام محقق محدث ثقة ، ألف كتاب الإقناع في السبع ، من أحسن الكتب ، وكتاب الطرق المتداولة في القراءات (ت ٥٤٠ هـ) (غاية النهاية في طبقات القراء ١/٨٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلامه عن نافع : إمام أهل المدينة والذي صاروا إلى قراءته ، ورجعوا إلى اختياره (١) .

ويقول شعبة عن أبي عمرو بن العلاء : انظر ما يقرأ أبو عمرو مما يختار لنفسه ، فإنه سيصير للناس إسناداً (٢) .

ونقل ابن الجزري عن الإمام البغوي المحدث المفسر قوله :" واتفقت كلمة الأمة على اختيارهم ، ثم عقب بقوله : وقد ذكرت في هذا الكتاب قراءات من اشتهر منهم بالقراءة ، واختياراتهم " (٣) .

ويقول ابن الجزري – رحمه الله – متحدثاً عن الاختيار ، وأنه مبني على الرواية لا على اختراع وابتداع :" ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له ، وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له ، وميلاً إليه ، لا غير ذلك ، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم ، المراد بها : أن ذلك القارئ ، وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فآثره على غيره ، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، وأخذ عنه ؛ فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء ، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد " (٤) .

ثم إن اختيار القارئ لقراءة معينة دون غيرها من القراءات إنما كان مبنياً على أمور جعلته يختار تلك القراءة ، ويميل إليها ، ويؤثرها على غيرها من القراءات الأخرى الصحيحة المتواترة .

وقد بين مكي بن أبي طالب – رحمه الله – الأمور التي على أساسها يكون اختيار القراءة ، فقال :"وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرأوا بقراءة الجماعة وبروايات ، فاختار كل واحد منهم مما قرأ وروى قراءة تنسب إليه بلفظ الاختيار... وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمعت فيه ثلاثة أشياء : قوة وجهه في العربية ، وموافقته للمصحف ، واجتماع العامة عليه. والعامة عندهم ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة ؛ فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار. وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين ، وربما جعلوا الاختيار ما اتفق عليه نافع وعاصم ، فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات ،

---

(١) الاقناع في القراءات السبع لابن الباذش (٥٥/١) .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٢٩٢/١).

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣٨/١) .

(٤) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٥٢/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واصحها سنداً ، وأفصحها في العربية ، ويتلوها في الفصاحة خاصة قراءة أبي عمرو والكسائي -رحمهم الله "(١) .

وقال القرطبي - رحمه الله - :" وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أن كل واحد منهم اختار مما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى ، فالتزمه طريقة ، ورواه ، وأقرأ به ، واشتهر عنه ، وعُرف به ، ونسب إليه ، فقيل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه " (٢) .

بناء على ما سبق من قولَي مكي والقرطبي أقول إن القارئ إنما يختار قراءة من القراءات الكثيرة التي تلقاها عن شيوخه لعلة معينة توجب الاختيار ، ككون معنى القراءة أمكن في نفسه من معنى الأخرى مع اعتقاده صحة معنى الأخرى ، وأنها قراءة متواترة لا غبار عليها ، أو من قرأ بها أكثر ، أو أنها موافقةً لرسم المصحف ، أو غير ذلك من الأسباب الموجبة لاختيار إحدى القراءات ، دون المس ولو من بعيد بالقراءات الأخرى ، ولا ضير في ذلك . فإن الإنسان قد يُفتح عليه ببعض المعاني القرآنية على قراءة من القراءات فيتذوق حلاوة كلام الله على هذه القراءة ، ويبقى معنى القراءة الأخرى غامضاً ، مما يوجب للقراءة التي اتضح معناها الاختيار في القراءة على الأخرى ، وربما يكشف ما كان غامضاً من معنى القراءة الأخرى فيقول حينئذ لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اخترت إلا هذه ، أي اختيار لزوم لها ومداومة عليها وقراءة بها .

ثم إن العلماء الذين أنكروا على بعض العلماء ترجيحهم بين القراءات المتواترة ، لم ينكروا اختيار العلماء لبعض القراءات ، وتفضيلهم للمختارة تفضيلاً لا يقلل من شأن الأخرى ، إنما كان إنكارهم للترجيح بين القراءات ترجيحاً يسقط القراءة المرجوحة ، ويوهن من شأنها .

فهذا أبو حيان - رحمه الله - وهو من العلماء المعدودين الذين لم يجيزوا الترجيح بين القراءات المتواترة ، بل أنكر على المفسرين وغيرهم ترجيحهم لبعض القراءات المتواترة على بعضها ، وقد تكرر ذلك في غير موضع من تفسيره ، منها على سبيل المثال قوله :" وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون

---

(١) الإبانة عن معاني القراءات لمكي (٦٥) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٦/١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين القراءات لا ينبغي ، لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية وثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية ، فلا يمكن ترجيح قراءة على قراءة " (١) .

ويقول أيضاً :" ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ، لأن كلاً منهما متواتر ، فهما في الصحة على حدٍّ سواء " (٢) .

وعلى الرغم من ذلك نجد أن أبا حيان - رحمه الله - يفاضل بين القراءات مفاضلة لا تنقص من صحة المفضولة شيئاً ، فيصف مثلاً إحدى القراءتين بأنها أحسن من القراءة الأخرى ، من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط }* (٣) حيث يقول :" وقرأ الحرميان وأبو عمرو وحمزة في رواية عنه (لا يَضِرْكم) (٤) . من ضار يضير ، ويقال ضار يضور وكلاهما بمعنى ضر .

وقرأ الكوفيون وابن عامر (لا يَضُرُّكم) بضم الضاد والراء المشددة (٥) من ضرَّ يضُرّ ، واختلف أحركة الراء إعراب فهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد وهو مجزوم كقولك مدَّ ، ونسب هذا إلى سيبويه فخرج الإعراب على التقديم ، والتقدير : لا يضركم أن تصبروا ، ونسب هذا القول إلى سيبويه، وخُرِّج أيضاً على أن (لا) بمعنى ليس مع إضمار الفاء ، والتقدير : فليس يضركم وقاله الفراء والكسائي .

وقرأ عاصم فيما روى أبو زيد عن المفضل عنه بضم الضاد وفتح الراء المشددة (٦) وهي أحسن من قراءة ضم الراء ، نحو لم يَرُدَّ زيد ، والفتح هو الكثير المستعمل " (٧) .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٢/٢٦٥) . (٢) المرجع نفسه (١/١٩٩) .

(٣) سورة آل عمران : الآية (١٢٠) .

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب أي قرأوا بكسر الضاد وجزم الراء جواباً للشرط . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٢) .

(٥) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٢) .

(٦) لم أعثر على هذه القراءة . انظر : النشر في القراءات العشر (٢/٢٤٢) ، الغاية في القراءات العشر لأبي بكر النيسابوري (١٢٨) ، وحجة القراءات لأبي زرعة (١٧١) ، المهذب في القراءات العشر لمحمد سالم محيسن (١/١٣٤) ، وإتحاف فضلاء البشر (١٧٨) . إعراب القرآن للنحاس (١/٣٦١ - ٣٦٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكي (١/٣٥٥) . زبدة العرفان في وجوه القرآن لعبد الفتاح بالوي (٤٣) .

(٧) البحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيلاحظ في المثال السابق أن أبا حيان - رحمه الله - فضل قراءة ضم الضاد مع فتح الراء المشددة على القراءة بضم الراء المشددة بقوله (وهي أحسن من قراءة ضم الراء) ، والقراءة التي قال عنها أبو حيان إنها أحسن ليست قراءة سبعية ولا عشرية ولا هي من القراءات الأربع الشواذ ، ومع ذلك فقد فضلها على القراءة الصحيحة المتواترة ، ولكن دون أي طعن منه في القراءة المتواترة أو التهوين منها ، أو التشكيك فيها .

فيتبين مما سبق أن معنى الترجيح عند أبي حيان والذي أنكره على المفسرين هو أن يفضل الشخص قراءة متواترة على أخرى مثلها معتقداً أن هذه القراءة التي فضلها أصوب من الأخرى ، وأن معنى الآية عليها صحيح متسق ، أما القراءة المفضولة فهي ليست صواباً أو أقل رتبة من القراءة الأخرى على أحسن حال ، أو أن معنى الآية عليها غير صحيح ، أو يلزم على القراءة بها محذور ينبغي أن يجل عنه كلام الله تعالى ، كأن يكون في الآية بناء عليها تكرار ، أو تناقض ، أو غير ذلك من الأمور .

فإذا كان الترجيح بهذا المعنى وعلى هذا المنهج ، فهو أمر منكر . لا يجوز القول به مطلقاً ، لأن في ذلك تضعيف وتوهين وتشكيك في القراءة الصحيحة المتواترة التي هي من عند الله تعالى ، نزل بها الروح الأمين - عليه الصلاة والسلام - على قلب الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - وما دامت القراءة هذا مصدرها ، فإن لها معنىً قوياً بلا شك ، خفي هذا المعنى على من هون من شأنها لظنه بضعف معناها ، وعدم اتساق معنى الآية بناء عليها ، أو فساد معناها .

أما أن يكون الذي منعه أبو حيان ، وأنكره على المفسرين والعلماء هو تفضيل قراءة على قراءة أخرى لأي سبب من الأسباب دون الطعن في القراءة الأخرى أو التهوين من شأنها أو التقليل من رتبتها، فلا ، لأنا لو قلنا هذا لكان كلام أبي حيان - رحمه الله - متناقضاً ، إذ كيف ينكر على من يقول بالترجيح بين القراءات المتواترة من المفسرين ، ثم يأتي ما أنكره على غيره بقوله (وهي أحسن من قراءة ضم الراء) وهذا ما نجل عنه العلامة أبا حيان - رحمه الله تعالى .

هكذا يمكن أن نفهم كلام أبي حيان ، ونتبين رأيه دون اللجوء إلى القول بتناقضه .

وبناء على ما سبق أقول إن الترجيح الذي لا يجوز البتة هو تفضيل قراءة علي حساب القراءة الأخرى ، تفضيلاً يفضي إلى رد القراءة الأخرى أو تضعيفها أو التقليل من شأنها أو التشكيك فيها .

أما اختيار إحدى القراءتين لعلة ما جعلت المختار يميل إلى هذه القراءة دون غيرها ويلزمها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويداوم عليها ، دون أن يقلل من شأن الأخرى ، بل يعتقد صحة القراءة الأخرى من حيث الرواية والمعنى ، فلا أرى في ذلك حرج ، وبهذا المعنى كانت اختيارات القراء والعلماء السابقين .

وهذه بعض أقوال العلماء في معنى ما سبق ذكره :

يقول الكواشي – رحمه الله – (١) في بيانه لفائدة توجيه القراءات :" أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً ، إلا أنه ينبغي التنبيه على شيء ، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يُسقط الأخرى ، وهذا غير مرضي ؛ لأن كلتيهما متواترة " (٢) .

وقال شهاب الدين أبو شامة – رحمه الله – :" قد أكثر المصنفون في القراءات والتفاسير من الترجيح بين قراءة (ملك) و (مالك) ، حتى إن بعضهم يبالغ إلى حدٍ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى ، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ، واتصاف الرب تعالى بهما " (٣) .

ثم إنا لو رجعنا إلى كتب الاحتجاج للقراءات ، وحجة القراءات لأبي زرعة على وجه الخصوص ، فسنجدها مليئة باحتجاجات العلماء والقراء لاختياراتهم ، من ذلك قول أبي علي الفارسي في حجته : حكى أبو بكر السراج عن بعض من اختار القراءة بملك ... ثم ساق حجتهم (٤) .

ولو سلك الإمام الطبري – رحمه الله – طريق الاختيار ، فاختار من القراءات التي تلقاها عن شيوخه إحداها ، ثم بين السبب الذي من أجله وقع اختياره على هذه القراءة دون غيرها من القراءات الكثيرة ، مع اعتقاده صحة القراءة الأخرى من حيث الرواية ، ومن حيث المعنى ، ومن حيث اللغة . أقول : لو أنه سلك هذا الطريق لكان أسلم له وأقوم من طريق ترجيح إحدى القراءتين على حساب الأخرى بما يفضي إلى تضعيف الأخرى ، أو التشكيك فيها ، أو ردها ، فإن هذا الطريق طريق وعر ، محفوف بالمخاطر ، وقد أدى به سلوكه إلى منزلق خطير ، تبعه بعد ذلك في هذا الطريق من تبعه ممن تأثروا به وبمسلكه هذا .

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع بن حسين ، الإمام العلامة الزاهد الكبير ، موفق الدين ، أبو العباس الموصلي الكواشي الشيباني الشافعي المفسر ، برع في القراءات والتفسير والفضائل ، له مؤلفات كثيرة نافعة ، منها : التفسير الكبير ، والتفسير الصغير ، عليه اعتمد جلال الدين المحلي في تفسيره ، والسيوطي في تكملته (ت ٦٨٠ هـ) . (انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ١/١٥١ ، طبقات المفسرين للداودي ١/١٠٠) .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣٣٩) . (٣) المرجع نفسه (٣٤٠) .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٤٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من هذا كله فإن منهج الإمام الطبري - رحمه الله - الذي سار عليه في اختياره لبعض القراءات والترجيح بينها منهج علمي ذو أصول وقواعد محددة ، ويؤخذ من منهجه - رحمه الله- الأسس التي كان العلماء والقراء يختارون القراءات على أساسها . وهذا المنهج العلمي الدقيق يكشف لنا بجلاء عن عقلية علمية عظيمة ، وهبها الله الإمام الطبري ، وأنعم بها عليه .

فإنه - رحمه الله - كان ناقداً وممحصاً ، وذا شخصية مميزة ، وتفكير حر ، شأنه في ذلك شأن كثير من علماء الأمة الإسلامية الأفذاذ الذين ملأوا الأرض نوراً ، وتركوا لنا هذه الثروة العلمية التي هي مصدر عز وفخار ، والتي هي حرية بالدراسة العميقة الواعية .

* وقد استعمل الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه ومفاضلته واختياره بين القراءات ألفاظاً عدة ، وهذه الألفاظ مختلفة معانيها ودلالتها . فبعض هذه الألفاظ يفهم منها ترجيح قراءة على حساب القراءة الأخرى . من هذه الألفاظ : والقراءة التي هي أولى بالصواب ، وأولى القراءتين بالصواب ، والصواب عندي من القراءة ، والقراءة التي هي القراءة عندنا . مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه ... }* (١) حيث يقول :" اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامتهم (فأزلّهما) بتشديد اللام ....(٢) .

وقرأ آخرون : (فأزالهما) .... (٣) .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (فأزلهما) لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله فأزالهما ، فلا وجه إذا كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج أن يقال فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، فيكون كقوله : فأزالهما الشيطان عنها ، فأزالهما مما كانا فيه . ولكن المعنى المفهوم أن يقال : فاستزلهما إبليس عن طاعة الله - كما قال جل ثناؤه (فأزلهما الشيطان) وقرأت به القراء - فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة " (٤) .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٣٦) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢١١) .

(٣) وهي قراءة حمزة . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل اي القران (١/٢٣٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتضح من المثال السابق أن الإمام الطبري - رحمه الله - رجح قراءة (فأزلهما) على قراءة (فأزالهما) بلفظ (وأولى القراءتين بالصواب) وبين أن القراءة المرجوحة يلزم عليها تكرار في الآية ، ونحن لا نسلم له ذلك وسيأتي مزيد توضيح لذلك في المبحث الذي نحن بصدده .

ومثال ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ...***] (١) حيث يقول :" وأما قوله (يبشرك) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة (أن الله يُبَشِّرُك) بتشديد الشين وضم الياء (٢) على وجه تبشير الله زكريا بالولد .

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وغيرهم (أن الله يَبْشُرُك) بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها(٣) ، بمعنى : أن الله يسرك بولد يهبه لك ....

والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك ضم الياء وتشديد الشين ، بمعنى التبشير ؛ لأن ذلك هي اللغة السائرة ، والكلام المستفيض المعروف في الناس ، مع أن جميع قراء الأمصار مجمعون في قراءة (فبم تبشرون) على التشديد ... " (٤) .

فالإمام الطبري - رحمه الله - رجح قراءة التشديد على قراءة التخفيف بقوله (والقراءة التي هي القراءة عندنا في ذلك) وهي صيغة حصر . ونحن لا نسلم له ما ذهب إليه ؛ لأن قراءة (يبشرك) بالتخفيف قراءة صحيحة ولغة فصيحة وهي صحيحة من حيث المعنى كذلك .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، وسيأتي كثيرٌ منها في هذا المبحث عند حديثنا عن منهجه في الترجيح إن شاء الله تعالى .

وبعض الألفاظ التي استعملها يفهم منها بيان اختياره دون الغض من شأن القراءة الأخرى . من هذه الألفاظ قوله : والقراءة التي أختارها ، وأعجب القراءتين إليّ ، وأحب القراءتين إليّ ، وأميل إلى هذه القراءة . مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***ولا تؤتوا السفهاء أموالكم***

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٣٩) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٩ - ٢٤٠) .

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٣/٢٥١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً } (١) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ بعضهم (التي جعل الله لكم قِيَماً) بكسر القاف وفتح الياء بغير ألف (٢) . وقرأ آخرون (قياماً) بألف (٣) .

قال محمد :" والقراءة التي نختارها (قياماً) بالألف ؛ لأنها القراءة المعروفة في قراءة أمصار الإسلام ، وإن كانت الأخرى غير خطأ ولا فاسد ، وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك ؛ لأن القراءات إذا اختلفت في الألفاظ واتفقت في المعاني ، فأعجبها إلينا ما كان أظهر وأشهر في قراءة أمصار الإسلام"(٤)

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ... }* (٥) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) بالتاء ، وهي قراءة معظم قراء أهل المدينة والكوفة (٦) على وجه المخاطب ، بمعنى : قال لهم : لتبيننه للناس ولا تكتمونه .

وقرأ ذلك آخرون (ليبيننه للناس ولا يكتمونه) بالياء جميعاً (٧) ، على وجه الخبر عن الغائب ، لأنهم في وقت إخبار الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بذلك عنهم كانوا غير موجودين ، فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب .

والقول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان صحيحة وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفتي المعاني ، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك ، غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إليّ أن أقرأ (ليبيننه للناس ولا يكتمونه) بالياء جميعاً استدلالاً بقوله (فنبذوه) أنه إذا كان قد خرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله (فنبذوه) حتى يكون متسقاً كله على معنى واحد ، ومثال واحد ، ولو كان الأول بمعنى الخطاب لكان أن يقال : فنبذتموه وراء ظهوركم ، أولى من أن يقال : فنبذوه وراء ظهورهم " (٨) .

---

(١) سورة النساء : الآية (٥) .
(٢) وهي قراءة نافع وابن عامر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٧) .
(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع وابن عامر . (انظر : المرجع السابق) .
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/٢٤٩) .
(٥) سورة آل عمران : الآية (١٨٧) .
(٦) وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٦) .
(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي بكر (شعبة) . (انظر : المرجع السابق) .
(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/٢٠٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى (***الم * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين***) (١) حيث يقول: "وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قراء الأمصار غير حمزة (٢) ، فإنه قرأ ذلك رفعاً (٣) على وجه الاستئناف ، إذ كان منقطعاً عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية ، وأنه مدح ، والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف وقع موقع الحال إذا كان فيه معنى مدح أو ذم .

وكلتا القراءتين صواب عندي ، وإن كنت إلى النصب أميل ، لكثرة القراء به " (٤) .

يلاحظ من الأمثلة السابقة أن الإمام الطبري - رحمه الله - كان استعماله لألفاظ الترجيح إذا كان في إحدى القراءتين معنى زائد عن معنى الأخرى ، أو لإجماع الحجة من القراء على القراءة بها ، أو لقوة وجهها في العربية ، أو لأي علة أخرى توجب لإحدى القراءتين الترجيح على الأحرف .

أما إن كان معنى القراءتين متفق أو متقارب فنراه لا يرجح بينهما ، إنما يصف كلتا القراءتين أو القراءات بالصواب . ثم يبين بعد ذلك أحب القراءتين إليه أو أعجبها إليه أو ميله إلى إحداهما ويبين علة ذلك . وذلك قوله في الأمثلة السابقة (وإنما اخترنا ما اخترنا من ذلك ؛ لأن القراءات إذا اختلفت في الألفاظ ، واتفقت في المعاني ، فأعجبهما إلينا ما كان أظهر وأشهر في قراءة أمصار الإسلام) ، (والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان صحيحة وجوههما ، مستفيضتان في قراءة الإسلام ، غير مختلفتي المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك ، غير أن الأمر في ذلك وإن كان كذلك ، فإن أحب القراءتين إليّ أن أقرأ ...) ، (وكلتا القراءتين صواب عندي ، وإن كنت إلى النصب أميل ، لكثرة القراء به) .

وقد تتبعت العلل التي علل بها اختياره وترجيحه ومفاضلته بين القراءات فوجدتها واحدة ، وكان منهجه - رحمه الله - في ذلك كله واحداً ، فآثرت - لئلا يكون في الكلام تكرار - أن أتحدث عن منهجه في ذلك كله تحت عنوان : منهج الإمام الطبري - رحمه الله - في الاختيار والترجيح بين القراءات . فأقول وبالله التوفيق .

---

(١) سورة لقمان : الآية (١-٣) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٤٦) .

(٣) وهي قراءة حمزة . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تاويل اي القران (٢١/٥٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* اعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه بين القراءات على المعنى اعتماداً كبيراً ، فنراه في مواطن كثيرة لا يرجح بين القراءات ، ولا يختار إحداها ، ولا يرى للترجيح بينها مسوغاً ، لكون القراءتين بمعنى واحد ، أو لتقارب معناهما ، أو لعدم وجود معنى في إحدى القراءتين زائد على الأخرى وقد بين الإمام الطبري - رحمه الله - ذلك بوضوح وجلاء عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره }* (١) حيث يقول :" واختلف القراء في قراءة (القدر) ، فقرأه بعضهم (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) بتحريك الدال إلى الفتح (٢) ...

وقرأ آخرون بتسكين الدال (٣) ...

والقول في ذلك عندي أنهما جميعاً قراءتان قد جاءت بهما الأمة ، ولا يحيل القراءة بإحداهما معنى في الأخرى ، بل هما متفقتا المعنى ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ذلك فهو للصواب مصيب " ثم تابع قائلاً " وإنما يجوز اختيار بعض القراءات على بعض لبينونة المختارة على غيرها بزيادة معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها ، وأما إذا كانت المعاني في جميعها متفقة ، فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءاً به من غيره " (٤) .

ونجده إن كان في إحدى القراءتين معنى زائدٌ على القراءة الأخرى اختارها ورجحها ، وكذا إن كان معنى القراءة أمكن ، أو أن المعنى على إحدى القراءتين يشمل معنى الأخرى لا العكس ، أو أن معنى الآية على القراءة الأخرى لا يستقيم .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ ملك يوم الدين }* (٥) حيث يقول:" القراء مختلفون في تلاوة (ملك يوم الدين) ، فبعضهم يتلوه (ملك يوم الدين) (٦) وبعضهم يتلوه (مالك يوم الدين) (٧) ، وبعضهم يتلوه (مالكَ يوم الدين) بنصب الكاف ...(٨) .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢٣٦) .

(٢) وهي قراءة ابن ذكوان وحفص وحمزة والكسائي وأبي جعفر وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٨) .

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام وشعبة ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/٥٢٧-٥٢٨) .

(٥) سورة الفاتحة : الآية (٤) .

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ١/٢٧١) .

(٧) وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف . (انظر : المرجع السابق) .

(٨) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن محيصن . (إتحاف فضلاء البشر ١٢٢)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأولى التأويلين بالآية ، وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ (ملك) بمعنى المُلك ، لأن في الإقرار له بالإنفراد بالمُلك إيجاب لإنفراده بالمِلك ، وفضيلة زيادة الملك على المالك ، إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا ملكاً " (١) .

فيلاحظ أن ترجيح الإمام الطبري - رحمه الله - لقراءة (ملك) لكون معناها أعم وأشمل من معنى قراءة (مالك) . ثم أضاف - رحمه الله - حجة أخرى فقال :" فإن الله جل ذكره ، قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله (ملك يوم الدين) أنه مالك جميع العالمين ، وسيدهم ، ومصلحهم ، والناظر لهم ، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة بقوله *{ الحمد لله رب العالمين ٭ الرحمن الرحيم }* .

فإذا كان جل ذكره قد أنبأهم عن مُلكه إياهم كذلك بقوله (رب العالمين) فأولى الصفات من صفاته - جل ذكره - أن يتبع ذلك مالم يحوه قوله (رب العالمين ، الرحمن الرحيم) مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة إذ كانت حكمته التي لا تشبهها حكمة ، وكان في إعادة وصفه - جل ذكره - بأنه مالك يوم الدين إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله (رب العالمين) مع تقارب الآيتين ، وتجاور الصفتين ، وكان في إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعان متفقة ، ولا تفيد السامع ما كرر منه فائدة به إليها حاجة . والذي لم يحوه من صفاته - جل ذكره - ما قبل قوله (مالك يوم الدين) المعنى الذي في قوله (ملك يوم الدين) وهو وصفه بأنه الملك " (٢) .

فالإمام الطبري - رحمه الله - ذكر في العلة التي من أجلها رجح قراءة (ملك) على قراءة (مالك) أن القراءة بـ(مالك) يلزم عليها تكرار غير محمود يجل عنه كتاب الله تعالى .

ومع إجلالي وتقديري للإمام الطبري - رحمه الله - فلست معه فيما ذهب إليه من ترجيح قراءة (ملك) على قراءة (مالك) لكون المعنى الذي تدل عليه أعمُ وأبلغ .

وإذا كان الإمام الطبري - رحمه الله - اختار قراءة (ملك) لكونها أبلغ ، فإن غيره من العلماء والقراء اختاروا قراءة (مالك) لنفس السبب والعلة التي اختار من أجلها ابن جرير القراءة ، أي لكونها أبلغ وأعم .

يقول أبو زرعة - رحمه الله- :" وحجة من قرأ مالك هي أن مالكاً يحوي الملك ، ويشتمل عليه ،

---

(١) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١/٦٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١/٦٥-٦٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصيّر المُلك مملوكاً ، لقوله تعالى { قل اللهم مالك الملك } (١) فقد جعل المُلك للمالك ، فصار (مالك) أمدح وإن كان يشتمل على ما يشتمل عليه الملك وعلى ملكه ، سوى ما يتلوه من زيادة الألف التي هي حسنة قد ضمن عنها عشر حسنات ... وحجة أخرى ذكرها الأخفش وهي أن مالكاً يضاف في اللفظ إلى سائر المخلوقات ، فيقال : هو مالك الناس والجن والحيوان ، ومالك الريح ، ومالك الطير وسائر الأشياء. ولا يقال : هو ملك الريح والحيوان ، فلما كان ذلك كذلك كان الوصف بالمِلك أعم من الوصف بالمُلك لأنه يملك جميع ما ذكرنا ، وتحيط به قدرته ، ويحكم يوم الدين بين خلقه دون سائر خلقه .

قال علماؤنا : إنما يكون الملك أبلغ في المدح من مالك في صفة المخلوقين ، لأن أحدهم يملك شيئاً دون شيء ، والله يملك كل شيء " (٢) .

ولست مع الإمام الطبري - رحمه الله - أيضاً في أن كلمتي (رب العالمين) و (مالك) متساويتان في المعنى ، إذ لا ترادف في كتاب الله تعالى ، بل إن كل كلمة وردت في كتاب الله تعالى إنما جاءت لتؤدي رسالة خاصة بها ، لا تؤديها أية كلمة أخرى مهما قرب معناها منها ، ثم إن اشتراك الكلمتين في الدلالة على الملك لا يحمل على القول بترادفهما .

وما أحسن وأجمل قول أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس - حفظه الله ، وأطال عمره ، ونفع به الإسلام والمسلمين - في تعقيبه على قول الإمام الطبري - رحمه الله - في بحثه القيم النافع الذي عنون له بـ (القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية) حيث يقول :" والذي ندين به ، ونلقى الله عليه ، أن كلتا القراءتين صحيحة أداء ومعنى ، ولكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز " ثم بين - حفظه الله - ما أجمله في هذه العبارة الموجزة قائلاً :" بيان ذلك أن الناس في هذه الدنيا يفرقون بين أمرين اثنين ، وهذان الأمران هما غاية كثير من الناس : أحدهما : المُلك ، وهو حب الرياسة ، وطلب القوة . والآخر : المِلك ، وهو حب القنية والتملك وجمع الثروات الهائلة ولكل وجه ، والآية الكريمة بقراءتيها جاءت مبينة هاتين الغايتين اللتين تسيطران على كثير من الناس ، وبأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم ، فهما لله وحده ، فالله ملك يوم الدين ، صاحب السلطان ، لا سلطان لأحد

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٢٦) .

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة (٧٨-٧٩) ، وانظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (١/٢٥-٢٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيره . وهذا ما ترشد إليه القراءة الأولى (ملك يوم الدين) . وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شؤون الناس والكون ، هو الذي يملك كل شيء وهو الغني الحميد ، وهذا ما ترشد إليه القراءة الثانية (مالك) .

ثم إننا نجد لكل من القراءتين شاهداً وسنداً من كتاب الله ، فقراءة (ملك) يشهد لها قوله سبحانه *{ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار }* (١) ، ويشهد لقراءة (مالك) *{ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله }* (٢) " (٣) .

ومن أمثلة ترجيحه بين القراءات بناء على المعنى قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه .... }* (٤) حيث يقول : " اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامتهم (فأزلهما) بتشديد اللام (٥) ..... وقرأ آخرون (فأزالهما) (٦) ....

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (فأزلّهما) ؛ لأن الله جل ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه ، وذلك هو معنى قوله (فأزالهما) فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج أن يقال: فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه، فيكون كقوله: فأزالهما الشيطان عنها ، فأزالهما مما كانا فيه ، ولكن المعنى المفهوم أن يقال : فاستزلهما إبليس عن طاعة الله -كما قال جل ثناؤه (فأزلهما الشيطان) وقرأت به القراء - فأخرجهما باستزلاله إياهما من الجنة" (٧) .

فابن جرير يرى أن القراءة بالألف (فأزالهما) يلزم عليها تكرار ينبغي أن نجل كلام الله عنه .

وليس الأمر كما قال ابن جرير - رحمه الله - فإنه لا يلزم على القراءة بالألف (فأزالهما) تكرار أبداً ، لأن كلمة فأخرجهما أفادت معنى جديداً لم تفده كلمة فأزالهما .

وحسبي في بيان ذلك ما ذكره أستاذي الفاضل الدكتور فضل حسن عباس في بحثه عن القراءات حيث يقول : " قراءة أزال كما يرى ابن جرير إذن ، يلزم عليها تكرار ينبغي أن نجل الآية الكريمة

---

(١) سورة غافر : الآية (١٦) .
(٢) سورة الإنفطار : الآية (١٩) .

(٣) القراءة القرانية من الوجهة البلاغية . مجلة دراسات ، المجلد الرابع عشر ، العدد السابع ، ١٩٨٧م ، ص١٦ .

(٤) سورة البقرة : الآية (٣٦) .
(٥) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة . (انظر: النشر في القراءات العشر ٢/٢١١)

(٦) وهي قراءة حمزة . (انظر : المرجع السابق) .
(٧) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١/٢٣٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنه ، ولو أن غير ابن جرير قال هذا لكان له عذر في أنه ليس ملماً بأساليب العربية . أما ابن جرير وهو العلامة الذي حذق أساليب العرب كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره ، فما كان له وما كنا نرضى منه أن يذهب هذا المذهب ، وأساليب العرب شاهدة على أن هذه الفاء العاطفة قد تأتي للتفصيل والتفريع كقوله تعالى *{ وصوركم فأحسن صوركم }* (١) ، *{ الذي خلق فسوى }* (٢) ، *{ الذي خلقك فسواك فعدلك }* (٣) فالإزالة مطلق التنحية ، والفاء في قوله تعالى (فأخرجهما مما كانا فيه) أفادت شيئاً جديداً حيث فصلت هذه الإزالة ، وهو أن الشيطان أخرجهما مما كانا فيه من نعيم وراحة وطمأنينة وسكينة ، وهذا المعنى لا يفهم من الإزالة وحدها .

فليست قراءة حمزة يلزم عليها تكرار في كتاب الله - إذن - كما ادعى ابن جرير رحمه الله " (٤).

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً ... }* (٥) حيث يقول :"واختلفت القراء في قراءة قوله (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين والكوفيين (السَّلَم) بغير ألف (٦) ، بمعنى الاستسلام ، وقرأه بعض الكوفيين والبصريين (السلام) بألف (٧) ، بمعنى التحية . والصواب من القراءة في ذلك عندنا (لمن ألقى إليكم السَّلَم) ، بمعنى : من استسلم لكم مذعناً لله بالتوحيد مقراً لكم بملتكم ، وإنما اخترنا ذلك لاختلاف الرواية في ذلك ، فمن راوٍ روى أنه استسلم بأن شهد شهادة الحق ، وقال : إني مسلم ، ومن راوٍ روى أنه قال : السلام عليكم ، فحياهم تحية الإسلام ، ومن راوٍ روى أنه كان مسلماً بإسلام قد تقدم منه قبل قتلهم إياه ، وكل هذه المعاني يجمعها (السَّلَم) لأن المسلم مستسلم ، والمحيِّي بتحية الإسلام مستسلم ، والمتشهد شهادة الحق مستسلم لأهل الإسلام ، فمعنى (السَّلم) جامع جميع المعاني التي رويت في أمر المقتول الذي نزلت في شأنه هذه الآية ، وليس كذلك في (السلام) ، لأن (السلام) لا وجه له في هذا الموضع إلا التحية ، فلذلك وصفنا (السَّلم) بالصواب " (٨) .

---

(١) سورة غافر : الآية (٦٤). (٢) سورة الأعلى : الآية (٢). (٣) سورة الإنفطار : الآية (٧). (٤) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص (٢٢).

(٥) سورة النساء : الآية (٩٤). (٦) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وأبي جعفر وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٥١).

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب . (انظر : المرجع السابق). (٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٢٢٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ما اعتمد عليه الإمام الطبري - رحمه الله - واستدل به على ترجيح قراءة (السَّلَم) بدون ألف على قراءة (السلام) بالألف لا يسلم له به . وذلك أن معنى السلام لا يختص بالتحية فقط كما قال الإمام الطبري - رحمه الله - بل إن السلام كما يأتي بمعنى التحية يأتي بمعنى الاستسلام والإنقياد ، ويأتي بمعنى الإسلام أيضاً . وقد أفاد ذلك السمين الحلبي (١) - رحمه الله - في الدر المصون حيث يقول : " فأما السلام فالظاهر أنه التحية ، وقيل الإستسلام والإنقياد ، والسَّلَم - بفتحها - الإنقياد فقط " (٢) .

ويقول مكي بن أبي طالب - رحمه الله - في توجيهه لقراءة (السلام) :" وقرأ الباقون (السلام) بألف على معنى السلام الذي هو تحية الإسلام ، وعلى معنى : لا تقولوا لمن حياكم تحية الإسلام لست مؤمناً ، فتقتلوه لتأخذوا سلبه ، ويجوز أن يكون المعنى لا تقولوا لمن كف يده عنكم ، واعتزلكم لست مؤمناً ، حكى الأخفش أنه يقال : أنا سلام ، أي معتزل عنكم لا أخالطكم ، ومنه قوله *[وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً]* (٣) لم يخبر عنهم أنهم حيوهم بالسلام ، وإنما معناه : قالوا براءة منكم لا نخالطكم . وبالألف قرأ ابن عباس وابن جبير وابن هرمز وقتادة والجحدري وابن سيرين . والألف أحب إليّ ؛ لأن أكثر القراء عليه ؛ ولأنه أبين في المعنى . وقد روي في ما قال لهم الرجل الذي قتلوه ، ونزلت هذه الآية بسببه أنه قال لهم : إني مسلم ، وروي أنه شهد أن لا إله إلا الله ، فلم يصدقوه ، وقتلوه ، وروى أنه قال لهم : السلام عليكم ، فاتهموه وقتلوه ، وهذا كله يدل على السلام " (٤) .

يلاحظ مما سبق أن مكي بن أبي طالب - رحمه الله - اختار من القراءتين خلاف ما اختار الإمام الطبري - رحمه الله .

والأولى بالصواب من القول أن يقال : إن كلتا القراءتين صحيحة متواترة ، وقد قرأ بكل قراءة منهما نصف القراء العشرة ، وأن القراءتين معناهما واحد . فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يعتمد كثيراً في ترجيحه بين القراءات أو اختياره لبعضها

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود ، أبو العباس الحلبي المعروف بالسمين النحوي ، إمام كبير ، قرأ على أبي حيان ، وسمع كثيراً منه ، ألف تفسيراً جليلاً وإعراباً كبيراً ، وشرح الشاطبية شرحاً لم يسبق إلى مثله . ت ٧٥٦ هـ . (انظر : طبقات المفسرين للداودي ١/١٠١) .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٤/٧٤) ، وانظر : الفتوحات الإلاهية لسليمان الجمل (١/٤١٤) .

(٣) سورة الفرقان : الآية (٦٣) .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (١/٢٩٥-٢٩٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على استفاضة القراءة ، وإجماع الحجة من القراء عليها ، فهو يرجح القراءة المستفيضة ، ويبين في مواضع من تفسيره أن القراءة لو كانت مستفيضة لكانت القراءة بها صواباً . من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [**ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ....**] (١) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قراء الكوفيين والمكيين (أن ينكح المحصِنات) بكسر الصاد مع سائر ما في القرآن من نظائر ذلك سوى قوله (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) فإنهم فتحوا الصاد منها (٢) .

وقرأ عامة قراء المدينة والعراق ذلك كله بالفتح (٣) .... وقرأ بعض المتقدمين كل ذلك بالكسر (٤).

والصواب عندنا من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار مع اتفاق ذلك في المعنى ، فبايتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ، إلا في الحرف الأول من سورة النساء ، وهو قوله (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم) فإني لا استجيز الكسر في صاده لاتفاق قراءة الأمصار على فتحها ، ولو كانت القراءة بكسرها مستفيضة استفاضتها بفتحها كان صواباً القراءة بها كذلك لما ذكرنا من تصرّف الإحصان في المعاني التي بيناها " (٥) .

فالإمام الطبري - رحمه الله - منع القراءة بكسر الصاد في الموضع الأول من سورة النساء مع صحة ذلك في المعنى لعدم استفاضة القراءة بها ، فالقراء جميعاً على القراءة بفتح الصاد في هذا الموضع والقراءة بكسر الصاد فيه قراءة شاذة قرأ بها الحسن البصري - رحمه الله - وقراءه الحسن البصري من القراءات الأربع الشواذ باتفاق المسلمين .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [**إلا أن تتقوا منهم تقاة**] (٦) حيث يقول :" وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (إلا أن تتقوا منهم تقاة) ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (إلا أن تتقوا منهم تُقاة) (٧) على تقدير فُعَلَة مثل تُخَمَة وتُؤَدَة وتُكَاة من اتقيت ، وقرأ ذلك آخرون (إلا

---

(١) سورة النساء : الآية (٢٥) .

(٢) وهي قراءة الكسائي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٩).

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى الكسائي . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) وهي قراءة الحسن البصري . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٨٨) .

(٥) جامع البيان عن تاويل اي القران (٥/١٧ -١٨) .

(٦) سورة ال عمران : الآية (٢٨) .

(٧) وهي قراءة جميع القراء سوى يعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تتقوا منهم تَقِيَّةً) (١) على مثال فَعِيلَة .

والقراءة التي هي القراءة عندنا قراءة من قرأها (إلا أن تتقوا منهم تقاة) لثبوت حجة ذلك بأنه القراءة الصحيحة بالنقل المستفيض الذي يمتنع معه الخطأ " (٢) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت] (٣) حيث قال : " واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة القراء (وَضَعَت) (٤) خبراً من الله عز وجل عن نفسه أنه العالم بما وضعت من غير قيلها (رب إني وضعتها أنثى) ، وقرأ ذلك بعض المتقدمين (والله أعلم بما وضعتُ) (٥) على وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هي القائلة ، والله أعلم بما ولدت مني .

وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها ، وذلك قراءة من قرأ (والله أعلم بما وضعت) ، ولا يعترض بالشاذ عنها وعليها " (٦) .

ومن أمثلة ترجيحه للقراءة لإجماع الحجة من القراء عليها قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى] (٧) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) بفتح الألف من (أن) ونصب (تضل وتذكر) (٨) .....

وقرأ ذلك آخرون كذلك غير أنهم كانوا يقرأونه بتسكين الذال من (تذكر) وتخفيف كافها (٩) ...

وقرأ ذلك آخرون (إن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) بكسر (إن) من قوله (إن تضل) ورفع (تذكر) وتشديده (١٠) ....

---

(١) وهي قراءة يعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٩) .

(٢) جامع البيان عن تاويل اي القران (٣/٢٢٩ - ٢٣٠) .
(٣) سورة آل عمران : الآية (٣٦) .

(٤) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن عامر وأبي بكر ويعقوب (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٧٣) .

(٥) وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .
(٦) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (٣/٢٣٧) .

(٧) سورة البقرة : الآية (٢٨٢) .

(٨) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم والكسائي وأبي جعفر وخلف . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٦٦) .

(٩) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .
(١٠) وهي قراءة حمزة . (انظر : المرجع نفسه) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة من قرأه بفتح أن من قوله (أن تضل إحداهما) وبتشديد الكاف من قوله (فتذكر إحداهما الأخرى) ونصب الراء منه ....

وإنما اخترنا ذلك في القراءة لإجماع الحجة من قدماء القراء والمتأخرين على ذلك ، وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ، ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم إلى غيرها " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***{ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام }*** (٢) حيث يقول : " وفي قوله (ويشهد الله على ما في قلبه) وجهان من القراءة ، فقرأته عامة القراء (ويُشهد اللهَ على ما في قلبه) (٣) ، بمعنى : أن المنافق الذي يعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله يستشهد الله على ما في قلبه أن قوله موافق اعتقاده ، وأنه مؤمن بالله ورسوله ، وهو كاذب .

وقرأ ذلك آخرون (ويَشهد اللهُ على ما في قلبه) (٤) ، بمعنى : والله يشهد على الذي في قلبه من النفاق ، وأنه مضمر في قلبه غير الذي يبديه بلسانه ، وعلى كذبه في قلبه ، وهي قراءة ابن محيصن .

والذي نختاره في ذلك من قول القراء قراءة من قرأ (ويُشهد اللهَ على ما في قلبه) ، بمعنى : يستشهد الله على ما في قلبه ، لإجماع الحجة من القراء عليه " (٥) .

يلاحظ في الأمثلة السابقة أن الإمام الطبري - رحمه الله - رجح واختار من القراءات ما أجمعت الحجة من القراء عليه دون ما انفرد به أحدهم ، وعد - رحمه الله - ما انفرد به أحد القرآء شاذاً ، وهي قراءات صحيحة كما بينت ذلك في الحاشية . ولعل مصطلح (شاذ) في عصر الإمام الطبري -رحمه الله- لا يفهم منه ما يفهم في عصرنا الحاضر من أن القراءات الشاذة هي ما خلا القراءات العشر مما جاء بأخبار الآحاد ، إذ أن لكل عصر مصطلحاته الخاصة ، وما تعنيه هذه المصطلحات في ذلك العصر .

فبعض القراءات التي وصفها الإمام الطبري - رحمه الله - بالشذوذ ، هي من القراءات

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٣/١٢٥) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٠٤) .

(٣) وهي قراءة القراء العشرة جميعهم . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٥٥)

(٤) وهي قراءة شاذة قرأ بها ابن محيصن والحسن البصري . (انظر : المرجع السابق) .

(٥) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٢/٢١٤-٢١٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السبع التي اختارها ابن مجاهد - رحمه الله - وأودعها كتابه (السبعة) ، وتلقتها الأمة بالقبول ، ومن المعلوم أن الإمام الطبري - رحمه الله - إنما ألف كتابه (جامع البيان) قبل اختيار ابن مجاهد رحمه الله للقراءات السبع .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يعتمد في اختياره وترجيحه بين القراءات على فصاحة القراءة وقوتها وشهرتها في لغة العرب . فنراه في مواطن كثيرة من تفسيره لا يرجح بين القراءات إذا كانت جميعها في الفصاحة والقوة والشهرة سواء .

مثال ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين }* (١) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة (فنادته الملائكة) على التأنيث بالتاء (٢) .

وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء (٣) .

وإنما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك أنهما قراءتان معروفتان - أعني التاء والياء - فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القراءتين ، وهما جميعاً فصيحتان عند العرب . وذلك أن الملائكة إن كان مراداً بها جبريل كما روي عن عبد الله ، فإن التأنيث في فعلها فصيح في كلام العرب للفظها إن تقدمها الفعل ، وجائز فيه التذكير لمعناها ، وإن كان مراداً بها جميع الملائكة فجائز في فعلها التأنيث ، وهو من قِبْلِها للفظها ، وذلك أن العرب إذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته ، فقالت : قالت النساء ، وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد إذ تقدم فعله ، فيقال : قال الرجال " (٤) .

أما إن كانت إحدى القراءتين أفصح في لغة العرب ، أو أنها اللغة المعروفة عند العرب دون غيرها ، أو أن العرب تؤثرها على غيرها ، أو أن القراءة أصح مخرجاً في العربية من القراءة الأخرى رجحها مستدلاً بالشعر وبما سمع عن العرب في ذلك .

---

(١) سورة آل عمران : الآية (٣٩) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٩) .

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٢٥٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين)* (١) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (فلا تسألن ما ليس لك به علم) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار (فلا تسألنِ ما ليس لك به علم) بكسر النون وتخفيفها (٢) ونحوا بكسرها إلى الدلالة على الياء التي هي كناية اسم الله (فلاتسألن) .

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض أهل الشام (فلا تسألَنَّ) بتشديد النون وفتحها (٣) ، بمعنى : فلا تسألنَّ يا نوح ما ليس لك به علم .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا تخفيف النون وكسرها ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب المستعمل بينهم " (٤) .

قلت : إن المنهج الذي سار عليه ابن جرير - رحمه الله - في ترجيح بعض القراءات لكونها الأفصح ، والأشهر ، والأكثر استعمالاً عند العرب منهج غير سديد ، ثم إن سلوك هذا الطريق أمر في غاية الخطورة ، فقد يودي بصاحبه إلى الردة بعد الإسلام كما قال أبو حيان - رحمه الله - عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(كذب أصحاب الأيكة المرسلين)* (٥) ، حيث يقول :" قرأ الحرميان وابن عامر ليكة هنا وفي (ص) بغير لام ممنوع الصرف ، وقرأ باقي السبعة الأيكة بلام التعريف ... وقد طعن في هذه القراءة المبرد وابن قتيبة والزجاج وأبو علي الفارسي والنحاس وتبعهم الزمخشري ووهموا القراء ... إلى أن قال : وهذه نزعة اعتزالية يعتقدون أن بعض القراءة بالرأي لا بالرواية ، وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ، ويقرب إنكارها من الردة والعياذ بالله " (٦) .

فما ينبغي لأحد مهما بلغت منزلته أن يخضع القراءات القرآنية الصحيحة للغة وقواعد النحو فما وافقهما قبله وإلا رده أو رجحه على غيره على أحسن حال .

---

(١) سورة هود : الآية (٤٦) .

(٢) وهي قراءة ابي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٨٩/٢ ، طيبة النشر في القراءات العشر ٧٤ ، إتحاف فضلاء البشر ٢٥٧) .

(٣) وهي قراءة ابن كثير والدجوني عن هشام عن ابن عامر . (انظر المراجع السابقة) . وهناك قراءة ثالثة في قوله (فلا تسألن) وهي بفتح اللام وتشديد النون مع كسرها ، وهي قراءة نافع وابن ذكوان والحلواني عن هشام عن ابن عامر وأبي جعفر . (انظر : المراجع نفسها) .

(٤) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (٥٤/١٢) .

(٥) سورة الشعراء : الآية (١٧٦)

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٣٧/٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن الأصل في القراءات النقل ، فإن ثبتت القراءة بالنقل الصحيح فلا يصح ولا يجوز أن تُخضع لقياس عربي ولا يُحكم عليها بكلام العرب ، بل العكس هو الصحيح .

فالقرآن الكريم ، وكذلك قراءاته المتواترة ، والشاذة إذا كان سندها صحيحاً هي الأصل والحكم على اللغة والنحو .

والقراءات القرآنية إذا ثبت تواترها فهي اللغة الفصيحة ، لمجيئها في القرآن الكريم ، إذ أن القرآن الكريم وقراءاته المتواترة في القمة السامقة من البلاغة والفصاحة مما جعل العرب يقفون أمامه عاجزين عن الإتيان بمثل سورة واحدة منه ، وهم من هم في الفصاحة والبلاغة . وهي الوجه القوي في العربية ، والتي ينبغي أن تصحح مقاييس النحو وقواعده على أساسها ، أو تقعد قواعد جديدة بناء على هذه القراءة أو تلك .

هذا هو المنهج السديد والطريق القويم الذي لا يحيد عنه إلا مخطئ ضل الصواب ، وابتعد عن الهدي الصحيح الذي يعصم صاحبه من التيه والضياع في متاهات ترديه في المهالك .

هذا هو المنهج الذي قرره علماؤنا قديماً وحديثاً في كتبهم وساروا عليه .

يقول الحافظ أبو عمرو الداني - رحمه الله - في كتابه " جامع البيان " :" وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولافشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها " (١) .

وقال الزرقاني معقباً على كلام أبي عمرو الداني السابق :" هذا كلام وجيه ، فإن علماء النحو إنما استمدوا قواعدهم من كتاب الله تعالى وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكلام العرب فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية كان القرآن هو الحكم على علماء النحو ، وما قعدوا من قواعد ، ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة له ، نحكمها فيه ، وإلا كان ذلك عكساً للآية ، وإهمالاً للأصل في وجوب الرعاية " (٢) .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/ ١٠، ١١) ، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٤٢٢) .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٤٢٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة :" والقرآن الكريم حجة في العربية بقراءاته المتواترة ، كما هو حجة في الشريعة ، فالقراءات التي فقدت شرط التواتر لا تقل شأناً عن أوثق ما نقل إلينا من ألفاظ اللغة وأساليبها ، ثم أضاف قائلاً : ولو أراد دارس النحو أن يحتكم إلى أسلوب القرآن وقراءاته في كل ما يعرض له من قوانين النحو والصرف ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ذلك أن الشعر قد استبد بجهد النحاة وعولوا عليه بل جاوز كثير منهم حده فنسب اللحن إلى أئمة القراءة ، ورماهم بأنهم لا يدرون ما العربية ، وكان تعويل النحاة على الشعر ثغرة نفذ منها الطاعنون عليهم ، لهذا مست الحاجة إلى إنشاء دراسة شاملة لأسلوب القرآن الكريم في جميع قراءاته ورواياته ، إذ في هذه القراءات ثروة لغوية ونحوية جديرة بالدرس ، وفيها دفاع عن النحو تعضد قواعده وتدعم شواهده " (١) .

وخلاصة القول في ذلك : أن القراءة التي رجحها الإمام الطبري - رحمه الله - لكونها الأفصح في كلام العرب ، لا تفضل القراءة الأخرى ، بل هما في أعلى درجات الفصاحة ، لا تفاوت بينهما ، لمجيئهما في القرآن الكريم الذي نزل بأفصح اللغات وأعلاها ، دون أرذلها وأدناها ، فهو تنزيل رب العالمين خالق اللغات جميعها .

ومن أمثلة ترجيحه للقراءة لكونها أصح مخرجاً في العربية قوله عند الحديث عن القراءات في قوله تعالى **[وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين]**(٢)، حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) فقرأ ذلك عامة القراء بفتح الراء من أصغر وأكبر(٣)... وقرأ ذلك بعض الكوفيين (ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ) رفعاً (٤) عطفاً بذلك على معنى المثقال، لأن معناه الرفع...

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض ، والرد على الذرة ، لأن ذلك قراءة قراء الأمصار ، وعليه عوام القراء ، وهو أصح في العربية مخرجاً ، وإن كان

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة (١/٢) . (٢) سورة يونس : الآية (٦١) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي ويعقوب وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٨٥) .

(٤) وهي قراءة حمزة ويعقوب وخلف . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأخرى وجه معروف " (١) .

إن القراءة المرجوحة عند ابن جرير- رحمه الله - هي قراءة صحيحة متواترة ، قرأ بها حمزة ويعقوب وخلف ، ولها وجه معروف في العربية كما صرح بذلك الإمام الطبري نفسه ، والأولى بالصواب ألا تُرجح إحدى القراءتين على الأخرى لصحة كل منهما .

ثم إن الإمام الطبري نفسه ذكر في غير موضع من تفسيره أن أحق الكلام أن يقرأ بأفصح اللغات التي نزل بها كلام الله تبارك وتعالى (٢) ، وأن كتاب الله نزل بأفصح ألسن العرب (٣) .

وما دام الأمر كذلك فينبغي البحث عن صحة رواية القراءة ، دون النظر إلى أي شيء آخر ، فإن ثبتت صحتها ، فهي لغة فصيحة لأن كتاب الله تعالى نزل بأفصح ألسن العرب كما نص على ذلك ابن جرير نفسه - رحمه الله تعالى .

ومن أمثلة ترجيحه للقراءة لكونها الكلام المعروف على ألسن العرب مع استدلاله على ذلك ، قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ قالوا ياذا القرنين إن ياجوج وماجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً }* (٤) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة قوله (إن ياجوج وماجوج) فقرأته القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم (إن ياجوج وماجوج) بغير همز (٥) على فاعول من يججت ومججت ، وجعلوا الألفين فيهما زائدتين ، غير عاصم بن أبي النجود ، والأعرج ، فإنه ذكر أنهما قرءا ذلك بالهمز فيهما جميعاً ، وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام وكأنهما جعلا يأجوج : يفعول من أججت ، ومأجوج : مفعول .

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا (إن ياجوج وماجوج) بألف بغير همز لإجماع الحجة من القراء عليه ، وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ، ومنه قول رؤبة بن العجاج

لو أنَّ ياجوجَ وماجوجَ معا   وعادَ عادُوا واستَجاشُوا تُبَّعا (٦)

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١١/ ١٣٠) . (٢) المرجع نفسه (١١/ ١١٦) .

(٣) المرجع نفسه (١٢/ ٧٦) . (٤) سورة الكهف : الآية (٩٤) .

(٥) وهي قراءة جميع القراء سوى عاصم ، والقراءة بالف من غير همز قراءة عاصم كما ذكر الإمام الطبري رحمه الله (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٩٥)

(٦) البيت في ديوان رؤبة ص (٩٢) ، واللسان في مادة (أجج) ، ومجاز القرآن لابي عبيدة (١/ ٤١٤) ، تفسير القرطبي (١١/ ٥٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم أمتان من وراء السد " (١) .

قلت : الأولى بالصواب في ذلك أن يقال هما قراءتان صحيحتان قرأ بكل واحدة جماعة من القراء ، وجاءت الرواية بهما جميعاً ، وأن إجماع الحجة من القراء على إحداهما لا يقلل من شأن الأخرى ، وأن لكل قراءة وجهاً معروفاً عند العرب ، وأن القراءة بالهمز هي لغة بني أسد (٢) وهي إحدى اللغات الفصيحة التي نزل القرآن عليها .

* ومن العلل التي ذكرها الإمام الطبري - رحمه الله - معللاً بها اختياره وترجيحه بين القراءات موافقة القراءة المختارة أو الراجحة عنده لخط المصحف ، ومخالفة الأخرى له ، إذ الأولى بالصواب عنده ما كان موافقاً لمرسوم المصحف .

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه }* (٣) حيث يقول :" وأما قوله (لم يتسنه) ففيه وجهان من القراءة : أحدهما (لم يتسن) ، بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف (٤) ... وهو قراءة عامة قراء الكوفة . والآخر منهما : إثبات الهاء في الوصل والوقف (٥) ، وهو قراءة عامة قراء أهل المدينة والحجاز .

والصواب من القراءة عندي في ذلك ، إثبات الهاء في الوصل والوقف ، لأنها مثبتة في مصاحف المسلمين ، ولإثباتها وجه صحيح في كلتا الحالتين في ذلك " (٦) .

قلت : إن لكل قراءة من هاتين القراءتين وجهاً صحيحاً ، وقد أشار الإمام الطبري نفسه إلى ذلك حيث قال في تعليله لكل قراءة منهما :" ومن قرأ كذلك (أي بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف) فإنه يجعل الهاء من يتسنه زائدة صلة كقوله *{ فبهداهم اقتده }* (٧) وجعل تَفَعَّلْت منه : تَسَنَّيْت تَسَنِّياً واعتل في ذلك بأن السنة تجمع سنوات ، فيكون تفعلت على نهجه ، ومن قال السنة سنينه فجائز على ذلك ، وإن كان قليلاً أن يكون تسننت تفعلت ، أبدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قالوا : تَظَنَّيْتُ

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١٦/١٦) .

(٢) انظر : إتحاف فضلاء البشر (٢٩٥) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٩) .

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف ووافقهم ابن محيصن والأعمش واليزيدي . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٦٢) .

(٥) وهي قراءة سوى من ذكر سابقاً . (انظر : المرجع نفسه) .

(٦) جامع البيان عن تاويل اي القران (٣٦/٣-٣٧) .

(٧) سورة الأنعام : الآية (٩٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصله الظن ، وقد قال قوم هو مأخوذ من قوله *[من حمأ مسنون]* (١) وهو المتغير ، وذلك أيضاً إذا كان كذلك ، فهو أيضاً مما بدلت نونه ياء .

ومن قرأ كذلك (أي بإثبات الهاء في الوصل والوقف) فإنه يجعل الهاء من يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ، ويجعل فعلت منه تسنهت ، ويفعل : أتسنه تسنهاً ، وقال في تصغير السنة : سنيهة ، ومنه : أسنهت عند القوم ، وتسنهت عندهم : إذا أقمت سنة " (٢) .

فمما سبق يتبين أن من العلماء من عد الهاء زائدة ، وهي هاء السكت جئ بها للوقف لبيان حركة ما قبلها ؛ ولذلك سميت هاء السكت (٣) . ومنهم من عدها أصلية ؛ لذلك أثبتها في الوصل . وكلٌ له حجته في ذلك كما وضح ذلك الإمام الطبري – رحمه الله .

ثم إن موافقة إحدى القراءتين لمرسوم المصحف لا يعطيها الأحقية في الصواب دون الأخرى إذا كانت القراءتان صحيحتين متواترتين تلقتهما الأمة بالقبول ؛ وذلك لأن للرسم العثماني ضوابط معينة. والاعتماد في القراءة والتلاوة على التلقي والمشافهة ولا يعني وجود حرف في الرسم لزوم القراءة به ، فكم من حرف رسم في المصحف ، ولم يقرأ به أحد البتة ، مثال ذلك زيادة الياء في الرسم في قوله تعالى *[وإيتاءى ذي القربى]* (٤) في سورة النحل ، ولم يتبع أحد من القراء مرسوم المصحف فيها، وكم من كلمة جاء رسمها مخالفاً لأداء النطق لأغراض شريفة منها الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة .

وخلاصة القول في ذلك أن القراءة سنة متبعة ، فإذا ثبتت بالنقل الصحيح وجب قبولها ، والمصير إليها . ولا يصح الاعتماد على رسم المصحف في الترجيح بين القراءات الصحيحة الثابتة ، لأن للرسم قواعد وضوابط ذكرها العلماء في مؤلفاتهم عن الرسم ككتاب المقنع لأبي عمرو الداني وغيره .

يقول الدكتور عبد الفتاح شلبي :" القراءة سنة متبعة ، أساسها التلقي والرواية ، وقد تليت ورويت قبل أن تكتب مصاحف عثمان ، ثم تحرى الكتبة في عهد عثمان هذه الروايات الثابتة بالتلقي

---

(١) سورة الحجر :الآية (٢٦) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٦/٣-٣٧) .

(٣) انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٠٧/١) .

(٤) سورة النحل : الآية (٩٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإذن هي أصل والرسم فرع عنها تابع لها " (١) .

ثم إن منهج الإمام الطبري – رحمه الله – في اعتماده على رسم المصحف في ترجيحه بين القراءات غير مضطرد . ففي حين نجد أنه يرجح القراءة الموافقة لرسم المصحف على الأخرى كما في المثال السابق وكما في حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً]* (٢) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبي عمرو (لأهب لك) (٣) بمعنى : إنما أنا رسول ربك : يقول : أرسلني إليك لأهب لك غلاماً زكياً على الحكاية . وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء (٤) (ليهب لك غلاماً زكياً) بمعنى : إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاماً زكياً .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك ، ما عليه قراء الأمصار ، وهو (لأهب لك) بالألف دون الياء ، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين ، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم غير أبي عمرو وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم " (٥) .

صحيح أن القراءة المرجوحة عند الإمام الطبري – رحمه الله – مخالفة لرسم المصحف إلا أنها قراءة صحيحة متواترة ، وإن المعول عليه في قبول القراءة هو الرواية ، وما دامت القراءة صحيحة الرواية فلا يجوز ردها أو ترجيح غيرها عليها ، ثم إن مخالفة القراءة للرسم مخالفة يسيرة يتجاوز عنها ، ويشفع لها صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول . وفي ذلك يقول ابن الجزري – رحمه الله : "على أن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أوثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفيضة ، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسئلني) في الكهف(٦) ، وقراءة (وأكون من الصالحين) (٧) ، والظاء من (بضنين) (٨) ونحو ذلك من

---

(١) رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح شلبي (٨٩) .

(٢) سورة مريم: الآية (١٩) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى أبي عمرو ويعقوب وورش عن نافع ، وقالون في أحد وجهيه . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢١٧) .

(٤) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش والوجه الثاني لقالون ووافقهم الحسن واليزيدي . (انظر : المرجع السابق) .

(٥) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٦١/١٦) .

(٦) سورة الكهف : الآية (٧٠) . (٧) سورة المنافقون : الآية (١٠) . (٨) سورة التكوير : الآية (٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخالفة الرسم المردود فإن الخلاف في ذلك يغتفر ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد ، وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول ، وذلك بخلاف زيادة كلمة ، ونقصانها ، وتقديمها ، وتأخيرها ، حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني ، فإن حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه " (١) .

وكذلك حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وما هو على الغيب بضنين }*(٢) في سورة التكوير(٣).

أقول في حين نجد أن الإمام الطبري - رحمه الله - يرجح القراءة الموافقة لرسم المصحف على الأخرى ، إلا أنه في مواطن أخرى لا يرجح بل يصف القراءتين بأنهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبايتهما قرأ القارئ فمصيب ، مع أن إحدى القراءتين مخالفة لرسوم المصحف مخالفة يسيرة كما أشرت سابقاً ، من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{وانفقوا من ما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني إلى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين }* (٤) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة قوله (وأكن من الصالحين) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار غير ابن محيصن وأبي عمرو : وأكن ، جزماً (٥) عطفاً بها على تأويل قوله (فأصدق) لو لم تكن فيه الفاء ، وذلك أن قوله (فأصدق) لولم تكن فيه الفاء كان جزماً ، وقرأ ذلك ابن محيصن وأبو عمرو (وأكون) بإثبات الواو ، ونصب (أكون) (٦) عطفاً على قوله (فأصدق) فنصب قوله (وأكون) إذ كان قوله (فأصدق) نصباً .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب " (٧) .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وإذا الرسل اقتت }* (٨) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة غير أبي جعفر ، وعامة قراء الكوفة (أُقّتت) بالألف وتشديد القاف (٩) .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (١/١٢، ١٣).
(٢) سورة التكوير : الآية (٢٤)
(٣) انظر : جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٣٠/ ٨٣).
(٤) سورة المنافقون : الآية (١٠).
(٥) وهي قراءة جميع القراء سوى أبي عمرو . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٨٨) .
(٦) وهي قراءة أبي عمرو . (انظر : المرجع السابق)
(٧) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢٨/١١٨-١١٩) .
(٨) سورة المرسلات : الآية (١١) .
(٩) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف وابن جماز عن أبي جعفر في أحد وجهيه (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦، ٢٩٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقرأ بعض قراء البصرة بالواو وتشديد القاف (وُقِّتت) (١) .

وقرأ أبو جعفر (وُقِتت) بالواو وتخفيف القاف (٢) .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن كل ذلك قراءات معروفات ، ولغات مشهورات بمعنى واحد ، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب " (٣) .

قلت : كان الأولى والأجدر بالإمام الطبري - رحمه الله - أن يسير على هذا المنهج الذي سار عليه في المثالين السابقين ، وهو توجيه العناية إلى الرواية دون النظر إلى رسم المصحف أو أي اعتبارات أخرى ، لأن مخالفة القراءة لرسم المصحف قد يكون له ما يسوغه ، وتكون القراءة مقبولة لاعتبارات أخرى .

فالإمام الطبري - رحمه الله - لم يلتفت في المثالين السابقين للرسم ، إنما وجه كل اهتمامه للرواية فلما ثبتت الرواية ، وكانت القراءة صحيحة ، قبلها دون أن يرجح ما وافق رسم المصحف منها على ما جاء مخالفاً له .

ثم إن الإمام الطبري - رحمه الله - عد قراءتي (وأكن ، وأكون) وكذلك القراءات في (أقتت) في مرتبة واحدة من الصحة ، فلم يفاضل بينها ، رغم أن أبا عمرو قد انفرد بقراءة (أكون) عن إجماع الحجة من القراء - وهي الحجة التي اعتمد عليها في ترجيحه لقراءة ما اجمعت عليه الحجة من القراء على ما انفرد به ما يجوز عليه السهو والخطأ - وكذلك من قرأوا (وقتت) بالواو مع تشديد القاف أو تخفيفها قد خالفوا إجماع الحجة من القراء .

وهذا يحملني على القول بأن الإمام الطبري - رحمه الله - لم يسر على منهج واحد مضطرد في اختياره وترجيحه بين القراءات ، وأن بعض أقواله إذا جمعت مع بعضها ظهر الاختلاف بينها ، وما ذلك إلا لأن هذا المسلك الذي سلكه ابن جرير الطبري وغيره - رحمهم الله - وعفا عنهم في ترجيحهم بين القراءات مسلك بعيد كل البعد عن الصواب .

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو ووافقه اليزيدي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٦ ، ٢٩٧ ، إتحاف فضلاء البشر ٤٣٠) .

(٢) وهي قراءة ابن وردان عن أبي جعفر وابن جماز عنه في الوجه الثاني . (انظر : المرجعين السابقين) .

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٢٩/٢٣٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأرى أن يغلق هذا الباب وألا يفتح البتة ، حفاظاً على قدسية القراءات القرآنية المتواترة التي نزل بها الروح الأمين - عليه الصلاة والسلام - على قلب النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - تيسيراً للأمة ورفعاً للحرج عنها .

* وقد اعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه بين القراءات على إجماع القراء على قراءة نظير القراءة المرجحة أو المختارة بكيفية واحدة . فاتفاقهم على قراءة نظير قراءة ما علة وسبب من أجله يرجح الإمام الطبري - رحمه الله - القراءة .

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً }* (١) حيث يقول : " واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والعراق (وسَيَصْلَوْن سعيراً) بفتح الياء (٢) ... وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين (وسَيُصلون سعيراً) بضم الياء (٣) ، بمعنى يحرقون من قولهم :شاة مصلية ، يعني : مشوية .

قال أبو جعفر : والفتح بذلك أولى من الضم لإجماع القراء على فتح الياء من قوله *{ لا يصلاها إلا الأشقى }*(٤) ، ولدلالة قوله *{ إلا من هو صال الجحيم }* (٥) على أن الفتح بها أولى من الضم"(٦).

سامح الله الإمام الطبري . فإن القراءة سنة متبعة لا تخضع للقياس ، ثم إن القراءة التي عدها مفضولة بحجة أن القراءة الأخرى لها شواهد من القرآن الكريم لها هي الأخرى ما يدل عليها من القرآن الكريم كذلك ، وهو قوله تعالى *{ سأصليه سقر }* (٧) وقوله تعالى *{ فسوف نصليه ناراً }* (٨) .

فكلتا القراءتين إذن معناهما صحيح ، ولهما شواهد من كتاب الله تعالى ، وهما قراءتان صحيحتان متواترتان قرأ بكل واحدة جماعة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب للصواب .

---

(١) سورة النساء : الآية (١٠).

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى ابن عامر وأبي بكر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤٧) .

(٣) وهي قراءة ابن عامر وشعبة . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) سورة الليل الآية (١٥) .

(٥) سورة الصافات : الآية (١٦٣) .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤/٢٧٤)

(٧) سورة المدثر : الآية (٢٦) .

(٨) سورة : النساء : الآية (٣٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [***يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون***] (١) حيث يقول :"

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عظم أهل المدينة ، وبعض الكوفيين والبصريين (قل فيهما إثم كبير) بالباء (٢) ، بمعنى : قل في شرب هذه والقمار هذا كبير من الآثام . وقرأه آخرون من أهل المصرين البصرة والكوفة (قل فيهما إثم كثير) بمعنى الكثرة (٣) من الآثام ، وكأنهم رأوا أن الإثم بمعنى الآثام ، وإن كان في اللفظ واحداً فوصفوه بمعناه من الكثرة .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالباء (قل فيهما إثم كبير) لإجماع جميعهم على قوله (وإثمهما أكبر من نفعهما) وقراءته بالباء ، وفي ذلك دلالة بينة على أن الذي وصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر ، لا الكثرة في العدد ، ولو كان الذي وصف به من ذلك الكثرة ، لقيل وإثمهما أكثر من نفعهما " (٤) .

قلت : إن إجماع القراء على قراءة قوله تعالى (وإثمهما أكبر من نفعهما) بالباء دون الثاء ، لا يحمل على القول بأن القراءة الموافقة لهذا الإجماع هي أولى بالصحة والصواب من الأخرى ، لأن القراءة سنة متبعة ، وقد احتج علماء الاحتجاج لكل قراءة من القراءتين بحجج واضحة ، تحمل على القول بأن كل قراءة من القراءتين لها معنى صحيح ، وأنها متسقة تمام الاتساق ومنسجمة تمام الانسجام مع آيتها ومع آيات أخر من كتاب الله تعالى (٥) .

وما دامت الرواية قد جاءت بكل قراءة من هاتين القراءتين فلا مجال إذن للقياس والاجتهاد في ترجيح إحداهما على الأخرى بألفاظ تفضي إلى تضعيف القراءة الأخرى والتشكيك في أولويتها بالصواب ، مع أنها قراءة متواترة قرأ بها حمزة والكسائي .

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢١٩)

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٧، إتحاف فضلاء البشر ١٥٧) .

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي ووافقهما الأعمش (انظر : المرجعين السابقين) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/٣٦٠) .

(٥) انظر : حجة القراءات لأبي زرعة (١٣٢ - ١٣٣) ، والكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (١/٢٩١ - ٢٩٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو أنه - رحمه الله - اختار هذه القراءة التي رجحها لنفس العلة التي ذكرها في ترجيحه ولكن دون أن يقلل من شأن الأخرى بوصفه القراءة التي اختارها بأنها الأولى بالصواب والذي مفهومه أن الأخرى ليست أولى بالصواب ، كأن يقول : وهذه القراءة هي التي أختار القراءة بها لإجماع جميع القراء على قراءة قوله تعالى (وإثمهما أكبر من نفعهما) بالباء ، مع اعتقاده صحة القراءة الأخرى من حيث المعنى والرواية لم يكن في ذلك حرج حسبما أرى والله أعلم .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون }* (١) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (بما كانوا يَكْذِبون) مخففة الذال مفتوحة الياء (٢) ، وهي قراءة معظم أهل الكوفة ، وقرأه آخرون (يُكَذِّبون) بضم الياء وتشديد الذال (٣) وهي قراءة معظم أهل المدينة والحجاز والبصرة ... ثم قال : ولو كان الصحيح من القراءة ما قرأه القارئون في سورة البقرة *{ ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذِّبون }* لكانت القراءة في السورة الأخرى (٤) : والله يشهد أن المنافقين لمكذِّبون ليكون الوعيد لهم الذي هو عقيب ذلك وعيداً على التكذيب لا على الكذب .

وفي إجماع المسلمين على أن الصواب من القراءة في قوله (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) بمعنى الكذب ، وأن إيعاد الله - تبارك وتعالى - فيه المنافقين العذاب الأليم على ذلك من كذبهم أوضح الدلالة على أن الصحيح من القراءة في سورة البقرة (بما كانوا يَكذِبون) بمعنى الكذب . وأن الوعيد من الله - تعالى ذكره - للمنافقين فيها على الكذب حق ، لا على التكذيب الذي لم يجر له ذكر، نظير الذي في سورة المنافقين سواء " (٥) .

قلت : إن ما ذهب إليه الإمام الطبري - رحمه الله - من وصفه قراءة صحيحة متواترة قرأ بها جماعة من القراء الأثبات بالخطأ ، غاضاً الطرف عن ثبوت هذه القراءة وتلقي الأمة لها بالقبول أمر لا

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٠) .

(٢) وهي قراءة الكوفيين (وهم عاصم وحمزة والكسائي وخلف) . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٠٧/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ١٢٩) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى الكوفيين . (انظر : المرجعين السابقين) .

(٤) سورة المنافقون : الآية (١) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢٣/١ - ١٢٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقبل منه ، ويزداد عجبي عندما أرى عالماً كمكي بن أبي طالب - رحمه الله - يختار القراءة التي عدها الإمام الطبري مرجوحة بل ويصفها بأنها أبلغ من القراءة الأخرى التي عدها الإمام الطبري أبلغ .

فلو أن هؤلاء العلماء الأجلاء أراحوا أنفسهم فنظروا إلى هاتين القراءتين نظرة إجلال وتقدير ، نظرة تتناسب مع جلال كلام الله تعالى لكان ذلك أسلم وأقوم .

فإن هاتين القراءتين صحيحتان متواترتان قرأ بكل قراءة منهما جماعة من القراء . وقد جاءت كل قراءة تؤدي رسالة أراد الله لها أن تؤديها . فقراءة التشديد من التكذيب ، وقراءة التخفيف من الكذب ، وهما صفتان من صفات المنافقين أراد الله لفت أنظار المسلمين إليهما ، ليكونوا على علم بصفات المنافقين المتأصلة فيهم ، فلا يُخدعون بهم ، ولا تنطلي عليهم حيلهم ، فيحسنوا التصرف معهم في أي مكان وجدوا ، وفي أي زمان كانوا .

فكل قراءة من القراءتين تعطي معنى غير الذي تعطيه الأخرى ، ولا يدفع أحد المعنيين الآخر ، بل كلاهما مجتمعان في المنافقين ، وفي القرآن مشاهد كثيرة تدل على تكذيب المنافقين وعدم إيمانهم ، وعلى كذبهم كذلك ، فكلتا القراءتين تعطي معنى ينسجم ويتفق مع حديث القرآن عن المنافقين .

ثم إن العلة التي اعتمد عليها الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه لقراءة يكذبون بالتخفيف لا نسلم له بها ، وذلك أن سياق السورتين يختلف تماماً ، فإن السياق في سورة المنافقون يدل على الكذب حيث قالوا : نشهد إنك لرسول الله ، فبين الله تعالى أنهم كاذبون في شهادتهم هذه (١) .

ومع أن عناية ابن جرير - رحمه الله - بالسياق كبيرة كما يظهر ذلك جلياً في تفسيره إلا أنه غفل عنها في هذا الموضع .

* ومن الأدلة التي ساقها الإمام الطبري - رحمه الله - للتدليل على صحة ما اختار ورجح القراءات الشاذة المروية عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عنهم - .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى (**إنا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم**) (٢) حيث يقول : " قرأت عامة القراء (ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم)

---

(١) انظر : القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس (٢٠-٢١) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر (١) ، بمعنى : يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغت ما أرسلت به ، وإنما عليك البلاغ والإنذار ، ولست مسؤولاً عمن كفر بما أتيته به من الحق ، وكان من أهل الجحيم .

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزماً بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل وجزم اللام منها (٢) ، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً لتبلغ ما أرسلت به ، لا لتسألَ عن أصحاب الجحيم ، فلا تَسألْ عن حالهم .

والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر .

وقد ذكر أنها في قراءة أبيّ (وما تُسألُ) ، وفي قراءة ابن مسعود (ولن تُسألَ) وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع ، والخبر فيه دون النهي " (٣) .

سامح الله الإمام الطبري وغفر له . أيستدل بقراءات شاذة مخالفة لسواد مصاحف المسلمين على ترجيح إحدى القراءتين المتواترتين على الأخرى ، إن هذا لا يقبل ممن هو أقل رتبة في العلم من الإمام الطبري ، فكيف يُقبل منه هذا .

إن القراءة المرجوحة عند الإمام الطبري - رحمه الله وغفر له - هي قراءة صحيحة متواترة تلقتها الأمة بالقبول ، فلا يجوز التقليل من شأنها ، والتهوين من أمرها اعتماداً على قراءة شاذة مردودة لمخالفتها رسم مصاحف المسلمين .

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***[وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار]*** (٤) حيث يقول : " واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراء المدينة ، وبعض أهل البصرة (وسيعلمُ الكافرُ) على التوحيد (٥) . وأما قراء الكوفة فإنهم قرأوه (وسيعلم الكفار) على الجمع (٦) .

---

(١) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع ويعقوب . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٦) .

(٢) وهي قراءة نافع ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/٥١٥-٥١٦) .

(٤) سورة الرعد : الآية (٤٢) .

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٧٠) .

(٦) وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش والحسن . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصواب من القراءة في ذلك القراءة على الجمع وسيعلم الكفار ... وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود (وسيعلم الكافرون) وفي قراءة أبيّ (وسيعلم الذين كفروا) وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك " (١) .

قلت إن لابن جرير - رحمه الله - الحق في اختياره القراءة بأي القراءتين شاء ولكن أن يصف القراءة التي يختارها بأنها صواب ، فهذا ما لا حق له فيه ، فماذا بعد الصواب إلا الخطأ ، وكيف يقال ذلك عن قراءة صحيحة متواترة قرأ بها نصف القراء العشرة وهم المدنيان والبصريان والمكي . وما هي الحجة في ذلك إنهما قراءتان شاذتان مخالفتان لمرسوم مصاحف المسلمين يحتج بهما على ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة أخرى . إن هذا لهو الخطأ عينه .

• والإمام الطبري - رحمه الله - يرجح بعض القراءات لكونها قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - على ما نُقل . من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **{ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون }** (٢) حيث قال بعد ذكره اختلاف القراء في قراءة قوله (هيت لك) :" وأولى القراءات في ذلك ، قراءة من قرأ (هَيْتَ لك) بفتح الهاء والتاء ، وتسكين الياء ، لأنها اللغة المعروفة دون غيرها ، وأنها فيما ذكر قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم " (٣) .

قلت : اختلف القراء في قراءة قوله (هيت لك) فقرأ نافع وابن ذكوان وأبو جعفر بكسر الهاء وياء ساكنة وتاء مفتوحة (هِيْتَ) ، وقرأ هشام في أحد وجهيه بكسر الهاء وفتح التاء مع الهمز (هِئْتَ لك) ، والوجه الآخر هو كسر الهاء مع الهمز وضم التاء (هِئْتُ لك) ، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وياء ساكنة وضم التاء (هَيْتُ) ، وقرأ الباقون بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء (هَيْتَ لك) (٤) .

وهذه القراءات جميعها قراءات صحيحة متواترة ، ولكل قراءة منها وجه صحيح في العربية ، ومعنى الآية على كل قراءة صحيح . وبجميع هذه الأوجه قرأ النبي - صلى الله عليه وسلم . وقراءة النبي - صلى الله عليه وسلم- بإحدى هذه القراءات ومداومته عليها -إن صح ذلك- لا يجعلها هي الأولى

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٣/١٧٥) . (٢) سورة يوسف : الآية (٢٣) . (٣) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٢/١٨١)

(٤) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٩٣ - ٢٩٤) ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ٢٦٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من غيرها ، إذ جميع هذه القراءات في الصحة سواء ، وبأيتها قرأ القارئ فهو مصيب للصواب .

* اعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - كثيراً في ترجيحه لبعض القراءات على ما ورد من الأخبار عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهل التأويل من الصحابة والتابعين ، موافقة لمعنى القراءة ، أو إجماع أهل التأويل على معناها .

فإذا جاءت الأخبار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأهل التأويل من الصحابة والتابعين موافقة لمعنى قراءة من القراءات فهي الراجحة عنده دون غيرها .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود)* (١) حيث يقول : " اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى) بكسر الخاء (٢) على وجه الأمر باتخاذه مصلى ... وقرأه بعض قراء أهل المدينة والشام (واتخَذوا) بفتح الخاء (٣) على وجه الخبر ... والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا (واتخِذوا) بكسر الخاء ، على تأويل الأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى . للخبر الثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي ذكرناه آنفاً (٤) ، وأن عمرو بن علي حدثنا قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قرأ (واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٥) .

قلت : إن كلتا القراءتين صحيحة متواترة قد تلقتها الأمة بالقبول ، وقرأ بكل قراءة منهما جماعة من القراء ، ثم إن غاية ما يدل عليه الخبر الذي من أجله رجح ابن جرير القراءة التي رجحها هو تقوية وتدعيم هذه القراءة ، أما أن يحتج به على خطأ القراءة الأخرى ، وعدم جواز القراءة بها كما صرح

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٥) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع وابن عامر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٢٢/٢) .

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) الخبر هو : حدثنا أبو كريب ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا حميد عن أنس بن مالك قال ، قال عمر بن الخطاب : قلت : يا رسول الله ، لو اتخذت المقام مصلى ؟ فأنزل الله " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " .

(٥) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (٥٢٤/١ - ٥٢٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذلك الإمام الطبري - رحمه الله - بقوله :" فغير جائز قراءتها ، وهي أمر على وجه الخبر " فلا ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي روى عنه هذا الخبر قرأ بكلتا القراءتين ، وأقرأ بهما الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وما دام الأمر كذلك فلا يصح شيء مما قاله الإمام الطبري - غفر الله له - في ذلك .

والأولى بالصواب أن يقال هما قراءتان صحيحتان ، ولكل قراءة منهما معنى صحيح وبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

ثم إن ما استدل به من قول جابر - رضي الله عنه - إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ بها ليس له فيه حجة على ما ذهب إليه ، لأنه لا يلزم من قول جابر هذا ، القول بأن القراءة الأخرى ليست قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا أولاً ، أما ثانياً فربما سمع جابر - رضي الله عنه - هذه القراءة من النبي - صلى الله عليه وسلم - دون الأخرى ، وليس في ذلك أي مطعن ؛ إذ أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يقرئ الصحابة بجميع أوجه القراءات كما سبقت الإشارة من قبل .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **﴿ لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب ﴾** (١) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة قوله (لا يسمعون) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض الكوفيين : (لا يَسْمَعُون) بتخفيف السين من يسمعون(٢) بمعنى أنهم يتسمعون .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين (لا يَسَّمَّعُون) بمعنى لا يتسمعون ، ثم أدغموا التاء في السين فشددوها .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بالتخفيف ، لأن الأخبار الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن أصحابه : أن الشياطين قد تتسمع الوحي ، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع (٤) " ثم ساق بعض الروايات الواردة بهذا المعنى .

---

(١) سورة الصافات : الآية (٨) .

(٢) وهي قراءة المدنيين والبصريين والمكي وابن عامر وشعبة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٣٥٦/٢) .

(٣) وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع السابق) . (٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٣٦/٢٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : إن مجيء الأخبارعن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة - رضي الله عنهم - موافقة لمعنى القراءة بالتخفيف لا يعطيها أولوية بالصواب على القراءة الأخرى ، فإن لكل منهما وجهاً صحيحاً ومعنىً صحيحاً ، بل إن مكي بن أبي طالب - رحمه الله - عد القراءة بالتشديد أبلغ في نفي السمع عنهم فقال محتجاً لقراءة التشديد :" وحسُن حمله على تسمّع ؛ لأن التسمع قد يكون ، ولا يكون معه إدراك سمع ، وإذا نفي التسمع عنهم فقد نفي سمعهم من جهة التسمع ومن غيره ، فذلك أبلغ في نفي السمع عنهم ، ويقال : سمعت الكلام وأسمعته كما تقول : شويته وأشويته بمعنى . وقد قرأ ابن عباس (يُسمّعون) بضم الياء والتشديد ، وقال : يستمعون ولكن لا يسمعون وقد قال تعالى *{ وإذا قرئ القران فاستمعوا له }* (١) وقال *{ ومنهم من يستمع إليك }* (٢) فهو فعل يتعدى باللام وبإلى ، فإتيان إلى بعده يدل على أنه يتسمعون لأن (يسمع) لا يتعدى بإلى إلا على حيلة وإضمار " (٣) .

والأولى بالصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متواترتان ، كلٌ منهما حق وصواب ، قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء الأثبات ، ولكلٍ وجه صحيح ومعنى صحيح ولا تناقض أو تعارض بينهما ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب .

ومن استدلاله بإجماع أهل التأويل على معنى القراءة قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين }* (٤) حيث يقول :

"واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة (مردَفين) بنصب الدال (٥) .

وقرأ بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين (مردِفين) ، أي بكسر الدال (٦) .

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ (بألف من الملائكة مردِفين) بكسر الدال لإجماع أهل التأويل عل ما ذكرت من تأويلهم ، أن معناه : يتبع بعضهم بعضاً ومتتابعين ، ففي إجماعهم عل ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا في ذلك من كسر الدال ،

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٢٠٤) .

(٢) سورة يونس : الآية (٤٢) .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٢/٢٢٢) .

(٤) سورة الأنفال : الآية (٩) .

(٥) وهي قراءة نافع وأبي جعفر ويعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٧٥) .

(٦) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع وأبي جعفر ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعنى أردف بعض الملائكة بعضاً ، ومسموع من العرب : جئت مردفاً لفلان ، أي جئت بعده " (١) .

قلت : إن ما احتج به الإمام الطبري - رحمه الله وغفر له - على ترجيحه لإحدى القراءتين ووصفها بأنها الصواب من القراءة لا نسلم له به ، أما من حيث الرواية فإن كلتا القراءتين صحيح متواتر ، وأما من حيث اللغة ، فإن لكل قراءة معنى صحيحاً . ولا تناقض بينهما ، ولا تعارض كذلك بين أحد هذين المعنيين وما جاء عن أهل التأويل في معنى الآية . لأن (مردَفين) بفتح الدال معناها : أي الله أردفهم أي بعثهم على آثار من تقدمهم . وبكسرها بمعنى : أردف بعضُهم بعضاً (٢) . وحاصل هذين المعنيين واحد ، وهو منسجم تمام الانسجام مع الآية ومع الحدث الذي نزلت فيه الآية .

* ويعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه كذلك على موافقة القراءة لسياق الآية التي هي فيها ، أو موافقة الآية واتساقها وانسجامها مع الآيات في سباقها وسياقها .

فإذا كانت إحدى القراءتين منسجمة ومتسقة مع آيتها ، أو كانت الآية منسجمة ومتسقة مع ما قبلها وما بعدها من الآيات ، فهي الراجحة عنده دون الأخرى .

من أمثلة اختياره لبعض القراءات لاتساقها مع آيتها قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير]* (٣) حيث يقول :" واختلف القراء في قراءة قوله (وكتبه) ، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء أهل العراق (وكتبه) (٤) على وجه جمع الكتاب على معنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسله .

وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة (وكتابه) (٥) بمعنى : والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ، وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم ...

---

(١) جامع البيان عن تاويل آي القران (٩/١٩١ - ١٩٢) .

(٢) حجة القراءات لأبي زرعة (٢٠٧، ٢٠٨) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٨٥) .

(٤) وهي قراءة جميع القراء سوى حمزة والكسائي وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٣٧) .

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الذي هو أعجب إليّ من القراءة في ذلك ، أن يقرأ بلفظ الجمع ، لأن الذي قبله جمع ، والذي بعده كذلك ، أعني بذلك (وملائكته وكتبه ورسله) فإلحاق الكتب في الجمع لفظاً به أعجب إليّ من توحيده وإخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد ، ليكون لاحقاً في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده "(١).

ومن أمثلة ترجيحه لموافقة الآية لسياقها قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون]* (٢) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة ، وقراء الكوفة (أفغير دين الله تبغون ... وإليه ترجعون) على وجه الخطاب (٣) .

وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز (أفغير دين الله يبغون ... وإليه يرجعون) بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب (٤) .

وقرأ ذلك بعض أهل البصرة (أفغير دين الله يبغون) على وجه الخبر عن الغائب ، (وإليه ترجعون) بالتاء ، على وجه المخاطبة (٥) .

وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ (أفغير دين الله تبغون) على وجه الخطاب (وإليه ترجعون) بالتاء ، لأن الآية التي قبلها خطاب لهم ، فإتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام إلى غير نظيره ، وإن كان الوجه الآخر جائزاً لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحياناً على الخطاب كله ، وأحياناً على وجه الخبر عن الغائب ، وأحياناً بعضه على الخطاب ، وبعضه على الغيبة فقوله (تبغون .... وإليه ترجعون) في هذه الآية من ذلك " (٦) .

قلت : ما دام للقراءة الأخرى وجه صحيح فصيح ، كما صرح بذلك الإمام الطبري نفسه ، وقد جاء نظير ذلك في القرآن كثيراً ، وقد نبه على ذلك الأسلوب الفصيح في غير موضع من تفسيره ، فكان ينبغي إذن أن لا يرجح بين القراءتين بل الأولى بالصواب من ذلك أن يقول - كما قال في غيرها من

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥٢/٣) . (٢) سورة آل عمران : الآية (٨٣) .

(٣) وهي قراءة المدنيين والمكي وابن عامر والكوفيين سوى حفص عن عاصم . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤١/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ١٧٧) .

(٤) وهي قراءة حفص ويعقوب . (انظر : المرجعين السابقين) .

(٥) هي قراءة أبي عمرو . (انظر : المرجعين السابقين) .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٢٣٥-٢٣٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القراءات - وجميع القراءات في ذلك معناها متقارب ، فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

ومن ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين]* (١) حيث يقول :" واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) (٢) جميعاً رداً عل صفة القوم الذين وصفهم - جل ثناؤه - بأنهم يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر .

وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز ، وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعاً (٣) (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) بمعنى : وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم ، وكان بعض قراء البصرة (٤) يرى القراءتين في ذلك جائزاً بالياء والتاء في الحرفين .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) بالياء في الحرفين كليهما ، يعنى بذلك الخبر عن الأمة القائمة ، التالية آيات الله ، وإنما اخترنا ذلك لأن ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم ، فإلحاق هذه الآية إذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها ، وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ " (٥) .

يقال في التعقيب على هذا المثال ما قيل في التعقيب على الذي قبله .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يرجح بعض القراءات معتمداً في ذلك على موافقة القراءة للقواعد والأقيسة التي وضعها علماء النحو . فما كان من القراءات معتمداً على قاعدة نحوية قوية رجحه وإلا فالقراءة مرجوحة عنده .

من أمثلة ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون]* (٦) حيث

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١١٥) .

(٢) وهي قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف والدوري عن أبي عمرو في أحد وجهيه . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤١/٢ ، إتحاف فضلاء البشر ١٧٨) .

(٣) وهي قراءة المدنيين والمكي والبصريين وابن عامر وشعبة . (انظر : المرجعين السابقين) .

(٤) هو أبو عمرو بن العلاء كما نص على ذلك ابن الجزري . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٤١/٢) .

(٥) جامع البيان عن تاويل اي القران (٥٧/٤) .

(٦) سورة البقرة : الآية (٢٤٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول :" وقد اختلفت القراء في قراءة قوله (فيضاعفه) ، فقرأه بعضهم بالألف ورفعه (١) ، بمعنى : الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ، نسق يضاعف على قوله يقرض .

وقرأه آخرون بذلك المعنى (فيضعِّفُه) ، غير أنهم قرأوا بتشديد العين وإسقاط الألف (٢) .

وقرأه آخرون (فيضاعفَه له) بإثبات الألف في يضاعف ، ونصبه (٣) بمعنى الاستفهام ، فكأنهم تأولوا الكلام : من المقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ، فجعلوا قوله (فيضاعفه) جواباً للاستفهام .

وأولى هذه القراءات عندنا بالصواب قراءة من قرأ (فيضاعفُه له) بإثبات الألف ، ورفع يضاعف ؛ لأن في قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه) معنى الجزاء ، والجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً ؛ فلذلك كان الرفع في يضاعفه أولى بالصواب عندنا من النصب " (٤) .

قلت : إن لكل قراءة من القراءات الثلاث التي ذكرها الإمام الطبري - رحمه الله - والقراءة الرابعة التي لم يذكرها - وجهاً صحيحاً من حيث الإعراب والمعنى - وهي قراءات صحيحة قرأ بكل قراءة منها بعض القراء العشرة . ثم إنه لا يجوز إخضاع القراءات الصحيحة للقواعد والأقيسة النحوية، وذلك أن القرآن الكريم وقراءاته الثابتة بالتواتر أو بخبر الآحاد هو الحكم على القواعد النحوية التي وضعها علماء النحو دون استيعاب للغة العربية جميعها ، لا العكس .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *[فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى]* (٥) حيث يقول :" اختلفت القرأة في قراءة قوله (إني أنا ربك) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة (نودي يا موسى أني) بفتح الألف من أني (٦) ، " فأن " على قراءتهم في موضع رفع بقوله (نودي) ، فإن معناه : كان عندهم نودي هذا القول .

---

(١) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٨) .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي جعفر . (انظر : المرجع السابق) .

(٣) وهي قراءة عاصم . (انظر : المرجع نفسه) . وتوجد قراءة رابعة لم يذكرها الإمام الطبري - رحمه الله - وهي بتشديد العين وإسقاط الألف ونصب الفاء . وهي قراءة ابن عامر ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/٥٩٣ - ٥٩٤) .

(٥) سورة طه : الآية (١١ - ١٢) .

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقراه بعض عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر (١) (نودي يا موسى إني) على الإبتداء ، وأن معنى ذلك قيل : يا موسى إني .

قال أبو جعفر : والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب ، وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في أن قوله (يا موسى) ، وحظ قوله (نودي) أن يعمل في أن لو كانت قبل قوله (يا موسى) وذلك أن يقال : نودي أن يا موسى إني أنا ربك ، ولا حظ لها في " إن " التي بعد موسى " (٢) .

قلت : ذكر العلماء لهاتين القراءتين توجيهاً غير الذي قاله الشيخ - رحمه الله .

يقول مكي بن أبي طالب - رحمه الله - : " قرأ ابن كثيروأبو عمرو بفتح الهمزة على إضمار حرف الجر: أي نودي بأنني أنا ربك ، فأن في موضع نصب ، فحذف حرف الجر ، أو في موضع خفض ، على إعمال الحرف ؛ لكثرة حذفه مع " أن " .

وقرأ الباقون بكسر الهمزة ؛ لأنهم لما رأوا الكلام حكاية أضمروا القول ، فكسروا " إن " بعد القول على الحكاية ، تقديره : نودي يا موسى فقيل له : إني أنا ربك ، وقيل إنه كسر على الاستئناف ، لأن النداء وقع على موسى ، ثم استأنف " إني " (٣) .

فإن لكل قراءة وجهاً صحيحاً في العربية ، وهما قراءتان متواترتان ، قرأ بكل واحدة عدد من القراء الأثبات فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

• ويرجح الإمام الطبري - رحمه الله - بعض القراءات معتمداً على نظره واستدلاله وقوة عارضته في استنباط المعاني التي تظهر من خلالها القراءة التي يرجحها أنسب بالمقام من القراءة الأخرى .

ومن ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين}*(٤) حيث يقول : " اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (لما أتيتكم) بفتح اللام

---

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر والكوفيين ويعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣١٩) .

(٢) جامع البيان (١٦/١٤٤-١٤٥) .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٢/٩٦) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (٨١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من لما ، إلا أنهم اختلفوا في قراءة (أتيتكم) ، فقرأه بعضهم (أتيتكم) على التوحيد وقرأه آخرون (آتيناكم) على الجمع (١) .

وقرأ ذلك آخرون (لِما آتيتكم) بكسر اللام من لما وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة (٢) .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَما آتيتكم) بفتح اللام ؛ لأن الله – عز وجل – أخذ ميثاق جميع الأنبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه إلى خلقه فيما ابتعثه به إليهم ، كان ممن آتاه كتاباً ، أو ممن لم يؤته كتاباً ، وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله -عز وجل – ورسله ، بأنه كان ممن أبيح له التكذيب بأحد من رسله ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان معلوماً أن منهم من أنزل عليه الكتاب ، وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب ، كان بيناً أن قراءة من قرأ ذلك (لِما آتيتكم) بكسر اللام ، بمعنى : من أجل الذي آتيتكم من كتاب ، لا وجه له مفهوم إلا على تأويل بعيد ، وانتزاع عميق " (٣) .

قلت : لا مجال هنا للنظر والاستدلال ، إنما مجاله في موضوعات كثيرة غير موضوع القراءات ، وفي موضوع القراءات إذا كان في إمعان النظر لاستنباط المعاني العظيمة التي تستفاد من اختلاف القراءات ، أما أن يُعمل النظر والاستدلال للترجيح بين القراءات المتواترة ، وبيان أن المعنى على إحداها لا مفهوم له كما أشار إلى ذلك ابن جرير – رحمه الله – فلا ؛ لأن القراءات المتواترة كلها حق وصواب ، وليست إحداها أولى بالصواب من الأخرى . ولكل قراءة معنى مفهوم ، إذ لا يعقل أن تكون القراءة من عند الله تعالى نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وليس لها معنى مفهوم .

ثم إن تحكيم الأذواق والمقاييس البشرية ليس مجالها القراءات لأن اعتمادها على النقل والرواية ، فإذا ثبت صحة القراءة وجب قبولها والاعتقاد أنها من عند الله تعالى . والقراءات الواردة في هذه الآية الكريمة نقلت نقلاً صحيحاً ، بروايات لا مطعن فيها . فيجب إذن قبولها والمصير إليها دون

---

(١) قرأ بفتح اللام من (لما) و (آتيناكم) على الجمع نافع وأبو جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٤١) .

وقرأ كذلك مع التوحيد في (آتيتكم) جميع القراء إلا المدنيين وحمزة . (انظر : المرجع السابق) .

(٢) وقرأ حمزة بكسر اللام و (آتيتكم) على التوحيد . (انظر : المرجع نفسه) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣/٢٣٠-٢٣١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تردد أو توان .

ثم إن أبا حيان - رحمه الله - بين ما من أجله رجح الإمام الطبري القراءة التي رجحها فقال : "وقوله (لما آتيتكم) إن أريد جميع الأنبياء وهو ظاهر اللفظ ، فإن أريد بالإتيان الإنزال فليس كلهم أنزل عليهم ، فيكون من خطاب الكل بخطاب أشرف أنواعه ويكون التعميم في الأنبياء مجازاً ، وإن أريد بالإتيان كونه مهتدي به وداعياً إلى العمل به صح ذلك في جميع الأنبياء ، ويكون التعميم حقيقة " (١) .

وبناء على ما ذكره أبو حيان - رحمه الله - يكون معنى الكلام على قراءة كسر اللام صحيح مفهوم .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ﴿ *فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين* ﴾ (٢) حيث يقول : " واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (ما جئتم به السحر) على وجه الخبر(٣) من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون أنه سحر ، كأن معنى الكلام على تأويلهم ، قال موسى : الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر .

وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين (ما جئتم به آلسحر) على وجه الاستفهام (٤) من موسى إلى السحرة عما جاءوا به ، أسحر هو أم غيره ؟ .

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام ؛ لأن موسى - صلوات الله وسلامه عليه - لم يكن شاكاً فيما جاءت به السحرة أنه سحر لا حقيقة له ، فيحتاج إلى استخبار السحرة عنه ، أي شيء هو ؟ وأخرى أنه - صلوات الله وسلامه عليه - قد كان على علم من السحرة إنما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه ، فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاءوا به من الباطل ، فيستخبرهم أو يستجيز استخبارهم عنه، ولكنه - صلوات الله عليه - أعلمهم أنه عالم ببطول ما جاءوا به من ذلك بالحق الذي

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (٢/٥١٣) .

(٢) سورة يونس : الآية (٨١) .

(٣) وهي قراءة جميع القراء سوى أبي عمرو وأبي جعفر . (انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢٥٣) .

(٤) وهي قراءة أبي عمرو وأبي جعفر . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتاه ومبطل كيدهم بجده ، وهذه أولى بصفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأخرى " (١) .

سامح الله الإمام الطبري وغفر له ، ما كان ينبغي له وهو العالم العارف بأساليب العرب أن يحمل الاستفهام على حقيقته ، أي السؤال عن شيء يجهله ، والاستفهام في لغة العرب يأتي على صور متنوعة ولأغراض شتى ، منها التقرير ، ومن أمثلته الآية التي معنا ، فإن الاستفهام في الآية حسب القراءة التي قلل الطبري من شأنها ليس معناه أن موسى - عليه وعلى نبينا وأنبياء الله أفضل الصلاة وأزكى السلام - يستفهم من السحرة عما جاءوا به أسحر هو أم غيره ؟ لكونه يجهل ذلك بل معناه التقرير .

وبمثل الذي قلت في معنى الاستفهام في هذه الآية قال مكي بن أبي طالب - رحمه الله - : "ومعنى الاستفهام في هذه القراءة ليس على معنى الاستخبار لأن موسى - صلى الله عليه وسلم - قد علم وايقن أن الذي جاءوا به سحر لكنه استفهام في اللفظ ومعناه التقرير " (٢) .

ويقول أبو زرعة - رحمه الله في بيان معنى الآية على الاستفهام :" قرأ أبو عمرو (ما جئتم به ؟ آلسحر) بالمد ، جعل " ما " بمعنى " أي " والتقدير : أي شيء جئتم ؟ آلسحر ؟هو استفهام على وجه التوبيخ ؛ لأنهم قد علموا أنه سحر ، فقد دخل استفهام على استفهام فلهذا يقف على قوله (ما جئتم به) ثم يبتدئ (آلسحر) بالرفع ، وخبره محذوف ، المعنى : السحر هو " (٣) .

ويقول أبو حيان - رحمه الله - :" فعلى الاستفهام قالوا يجوز أن تكون ما استفهامية مبتدأ ، والسحر بدل منها ، وأن تكون منصوبة بمضمر تفسيره جئتم به ، والسحر خبر مبتدأ محذوف ، ويجوز عندي في هذا الوجه أن تكون ما موصولة مبتداه ، وجملة الاستفهام خبر ، إذ التقدير أهو السحر أو آلسحر هو فهو الرابط .... وهو استفهام على سبيل التحقير والتعليل لما جاءوا به " (٤) .

فالقراءتان إذن صحيحتان متواترتان ، لا يلزم على إحداهما معنى محظور وليست إحداهما أولى بالصواب من الأخرى ، بل كلتاهما حق وصواب .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يعتمد في ترجيحه بين القراءات واختياره لبعضها على ما دل

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١١/١٤٨) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن ابي طالب (٢/٥٢١) .

(٣) حجة القراءات لأبي زرعة (٣٣٥) .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (٥/١٨٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه ظاهر القرآن ، فإذا دل ظاهر القرآن على معنى قراءة من القراءات فهي الراجحة عنده أو المختارة دون سواها .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم)* (١) حيث يقول : " قرأت عامة القراء (ولا تُسألُ عن أصحاب الجحيم) بضم التاء من تسأل ورفع اللام منها على الخبر (٢) بمعنى : يا محمد إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ، فبلغت ما أرسلت به ، وإنما عليك البلاغ والإنذار ، ولست مسؤولاً عمن كفر بما أتيته من الحق ، وكان من أهل الجحيم .

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة (ولا تَسألْ) جزماً بمعنى النهي مفتوح التاء من تسأل ، وجزم اللام منها (٣) ، ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء : إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً لتبلغ ما أرسلت به ، لا لتسأل عن أصحاب الجحيم ، فلا تسأل عن حالهم ....

والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر ، لأن الله - جل ثناؤه - قص قصص أقوام من اليهود والنصارى ، وذكر ضلالتهم ، وكفرهم بالله ، وجراءتهم على أنبيائه ، ثم قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : إنا أرسلناك يا محمد بشيراً ، لمن آمن بك واتبعك ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه ، ونذيراً لمن كفر بك وخالفك ، فبلغ رسالتي ، فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد إبلاغك إياه رسالتي تبعة ، ولا أنت مسؤول عما فعل بعد ذلك ، ولم يجر لمسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه عن أصحاب الجحيم ذكر ، فيكون لقوله (ولا تَسألْ عن أصحاب الجحيم) وجه يوجه إليه . وإنما الكلام موجه معناه إلى ما دل عليه ظاهره المفهوم حتى تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره ، فيكون حينئذ مسلماً للحجة الثابتة بذلك ، ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم ، ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل " (٤) .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١١٩) .

(٢) وهي قراءة جميع القراء سوى نافع ويعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢١) .

(٣) وهي قراء نافع ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

(٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (١/٥١٥-٥١٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : إن القراءة بفتح التاء وجزم اللام على وجه النهي قراءة صحيحة متواترة ، وإذا كانت القراءة كذلك فلابد أن يكون لها وجه صحيح ، كيف لا وهي كلام العليم الحكيم ، ثم إن ما احتج به الإمام الطبري - رحمه الله - من الحجج لا يحمل على توهين قراءة الجزم على النهي ، بل إن غاية ما يدل عليه هو توجيه واحتجاج لقراءة الجمهور ، أما عن وجه قراءة الجزم على النهي فقال مكي بن أبي طالب -رحمه الله - :" قرأ نافع بفتح التاء والجزم على النهي عن السؤال عن ذلك ، وفي النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب ، أي : لا تسأل يا محمد عنهم ، فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد (١)

وقال أبو حيان -رحمه الله- :" يحتمل أن لا يكون نهياً حقيقة ، بل جاء ذلك على سبيل تعظيم ما وقع فيه أهل الكفرمن العذاب ، كما تقول : كيف حال فلان ، إذا كان قد وقع في بلية ، فيقال لك : لا تسأل عنه " (٢) .

وقال القرطبي -رحمه الله- :"(ولا تسألْ) جزماً على النهي ، وهي قراءة نافع وحده ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنه نهى عن السؤال عمن عصى وكفر من الأحياء ؛ لأنه قد يتغير حاله ، فينتقل عن الكفر إلى الإيمان ، وعن المعصية إلى الطاعة .

والثاني : وهو الأظهر ، أنه نهى عن السؤال عمن مات على كفره ومعصيته ، تعظيماً لحاله ، وتغليظاً لشأنه ، وهذا كما يقال : لا تسأل عن فلان ، أي قد بلغ فوق ما تحسب " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى ***(والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ... الآية)*** (٤) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأ بعضهم (وصيةً لأزواجهم) بنصب الوصية (٥) ، بمعنى : فليوصوا وصية لأزواجهم ، أو عليهم وصية لأزواجهم .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٦٢/١) ، وانظر : حجة القراءات لأبي زرعة (١١١) .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٣٦٨/١) ، وانظر : حاشية الجمل على الجلالين (١٠٠/١) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٢/٢ - ٩٣) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٢٤٠) .

(٥) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢٢٨/٢) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقرأ آخرون (وصيةٌ لأزواجهم) برفع الوصية (١) ... بمعنى : كتب عليهم وصية لأزواجهم ....

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأه رفعاً ؛ لدلالة ظاهر القرآن على أن مقام المتوفى عنها زوجها في بيت زوجها المتوفى حولاً كاملاً ، كان حقاً لها قبل نزول قوله [**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً**] (٢) ، وقبل نزول آية الميراث ، ولتظاهر الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنحو الذي دل عليه الظاهر من ذلك ، أوصى لهن أزواجهن بذلك قبل وفاتهم أو لم يوصوا لهن به " (٣) .

قلت : إن موافقة ظاهر القرآن لمعنى إحدى القراءتين لا يعني أن الأخرى معارضة له ، بل إن للأخرى وجهاً صحيحاً متسقاً تمام الاتساق مع ظاهر كتاب الله تعالى ، وذلك أن الوصية قد تكون من الأزواج ويكون معنى يتوفون حينئذ ، يقاربون ، أو يحضرهم الموت .

وقد ذكر الإمام الطبري - رحمه الله - تأويلاً للآية على قراءة النصب فقال :" وإنما تأويل ذلك (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) كتب الله لأزواجهم عليكم وصية منه لهن أيها المؤمنون أن لا تخرجوهن من منازل أزواجهن حولاً ، كما قال تعالى ذكره في سورة النساء [**غير مضار وصية من الله**] (٤) ثم ترك ذكر كتب الله اكتفاء بدلالة الكلام عليه " (٥) .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يختار بعض القراءات مراعاة لفواصل الآي ، فإذا كانت القراءة مشاكلة لرءوس الآي فهي الأعجب إليه والمختارة عنده دون الأخرى . من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى [**ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا**] (٦) حيث يقول :" واختلفت القراء في قراءة قوله (قوارير وسلاسل) (٧) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة غير

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وشعبة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف .(انظر : النشر في القراءات العشر ٢٢٨/٢) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٣٤) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٧٨/٢) .

(٤) سورة النساء : الآية (١٢) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٧٩/٢) .

(٦) سورة الإنسان : الآية (١٥) .

(٧) اختلف القراء في قراءة قوله (سلاسل) فقرأ نافع وأبو بكر والكسائي وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر ورويس عن يعقوب في أحد وجهيهما بالتنوين والوقف عليها بالألف . وقرأ الباقون بلا تنوين في الوصل أما في الوقف :

- فأبو عمرو وروح عن يعقوب وقفاً بالألف . وحمزة وخلف وهشام عن ابن عامر في وجهه الثاني وكذا رويس وروح وقفوا بلا ألف .=

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حمزة (سلاسلا وقواريراً وقواريراً) بإثبات الألف والتنوين وكذلك هي في مصاحفهم ، وكان حمزة يسقط الألفات من ذلك كله ، ولا يجري شيئاً منه ، وكان أبو عمرو يُثبت الألف في الأولى من (قوارير) ولا يثبتها في الثانية ، وكل ذلك عندنا صواب ، غير أن الذي ذكرت عن أبي عمرو أعجبهما إليّ ، وذلك أن الأول من القوارير رأس آية ، والتوفيق بين ذلك وبين سائر رءوس آيات السورة أعجب إليّ إذ كان ذلك بإثبات الألفات في أكثرها " (١) .

قلت : كان الأولى بالإمام الطبري – رحمه الله – إن كان لابد أن يبين اختياره من القراءات – أن يسير على المنهج نفسه الذي سار عليه في المثال السابق ، وذلك أنه لم يرجح بين القراءات الواردة في الآية الكريمة بل وصف القراءات كلها قائلاً :" وكل ذلك عندنا صواب " ثم بين اختياره بلفظ لا يشعر بأي تقليل من شأن القراءات التي لم يقع عليها اختياره فقال :" غير أن الذي ذكرت عن أبي عمرو أعجبهما إليّ " .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *{ أءذا كنا عظاماً نخرة}*(٢) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والحجاز والبصرة (نخرة) (٣) بمعنى : بالية .

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (ناخرة) بألف (٤) ، بمعنى : أنها مجوفة ، تنخر الرياح في جوفها إذا

= –وابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر وحفص عن عاصم لهم الوجهان الوقف بالألف وبدونها .

–واختلف القراء أيضاً في قراءة قوله (قوارير قوارير) فقرأ نافع وأبو بكر والكسائي وأبو جعفر بتنوينهما معاً ، ووقفوا عليهما بالألف . وقرأ ابن كثير وخلف عن نفسه بالتنوين في الأول ، وبدونه في الثاني ، ووقفا بالألف في الأول وبدونها في الثاني . وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وروح عن يعقوب بغير تنوين فيهما ، ووقفوا على الأول بالألف لكونه رأس آية ، ولروح الوجهان الوقف بالألف وبدونها ، وعلى الثاني بدونها ، ولهشام الوجهان الوقف بالألف وبدونها . وقرأ حمزة ورويس عن يعقوب بغير تنوين فيهما أيضاً ، ووقفوا بغير ألف فيهما . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٩٤ – ٢٩٥ ، إتحاف فضلاء البشر ٤٢٨ – ٤٢٩) .

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٩/ ٢١٦) .

(٢) سورة النازعات :الآية (١١) .

(٣) وهي قراءة المدنيين والمكي وأبي عمرو وابن عامر وحفص وروح عن يعقوب . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩٧) .

(٤) وهي قراءة شعبة وحمزة والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرت بها . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول :" الناخرة والنخرة سواء في المعنى ، بمنزلة الطامع والطَمِع ، والباخِل والبَخِل ، وأفصح اللغتين عندنا وأشهرهما عندنا (نخرة) بغير ألف ، بمعنى : بالية ، غير أن رءوس الآي قبلها وبعدها جاءت بالألف ، فأعجب إليّ لذلك أن تُلحق ناخرة بها ، ليتفق هو وسائر رءوس الآيات ، لولا ذلك كان أعجب القراءتين إليّ حذف الألف منهما " (١) .

* وقد يعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه بين القراءات على إجماع العلماء على حكم شرعي موافق لمعنى إحدى القراءتين دون معنى الأخرى .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى **(ويسالونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)** (٢) حيث يقول :" اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (حتى يطهرن) بضم الهاء وتخفيفها (٣) ، وقرأه آخرون بتشديد الهاء وفتحها.... (٤) .

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (حتى يطّهّرن) بتشديدهما وفتحهما بمعنى : حتى يغتسلن ، لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر ... فإذا كان إجماع من الجميع أنها لا تحل لزوجها بانقطاع الدم حتى تطّهّر ، كان بيناً أن أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للّبس عن فهم سامعها ، وذلك هو الذي اخترنا ، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمها ما لا يؤمن معه اللبس على سامعها من الخطأ في تأويلها ، فيرى أن للزوج غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها ، وقبل اغتسالها وتطهرها " (٥) .

يلاحظ في المثال السابق أن الإمام الطبري - رحمه الله - رجح قراءة التشديد لموافقتها لما أجمع عليه العلماء من أن المرأة لا تحل لزوجها بانقطاع الدم حتى تطّهّر . مع أن القراءة الأخرى لا تختلف في معناها عن هذه القراءة ، فهي موافقة تمام الموافقة للحكم الشرعي المجمع عليه ، ولا توقع في اللبس أبداً ،

---

(١) جامع البيان عن تاويل أي القران (٣٠/٢٤-٢٥) . (٢) سورة البقرة : الآية (٢٢٢) .

(٣) وهي قراءة المدنيين والمكي والبصريين والشامي وحفص . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٧) .

(٤) وهي قراءة شعبة وحمزة والكسائي وخلف . (انظر : المرجع السابق) . (٥) جامع البيان عن تاويل أي القرآن (٢/٢٨٥-٢٨٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكيف توقع في اللبس وهي كلام العليم الخبير .

وقد وضح مكي بن أبي طالب - رحمه الله - في احتجاجه لقراءة التخفيف ذلك فقال :" قرأه الحرميان وأبو عمرو وابن عامر وحفص مضموم الهاء ، مخففاً ، على معنى ارتفاع الدم وانقطاعه ، ولكن لم تتم الفائدة إلا بقوله (فإذا تطهرن) أي : بالماء ، فأتوهن ، فبهذا تمت الفائدة والحكم ، لأن الكلام متصل بعضه ببعض ، فلا يحسن أن يكون (يطهرن) مخففاً تتم عليها الفائدة والحكم ، لأنه يوجب إتيان المرأة ، إذا انقطع عنها الدم ، وإن لم تتطهر بالماء ، ويكون قوله (فإذا تطهرن) لا فائدة له ، إذ الوطءُ قد يتم بزوال الدم ، فلابد من اتصال ، فإذا تطهرن بما قبله ، وبه يتم الحكم والفائدة في أن لا توطأ الحائض إلا بانقطاع الدم ، والتطهير بالماء . فلو حُمل الأول على التشديد ، وفتح الهاء محمل الثاني ، للزم أن توطأ الحائض ، إذا تطهرت وإن لم ينقطع عنها الدم . ففي التخفيف بيان الشرطين اللذين مع وجودهما توطأ الحائض ، وهما : انقطاع الدم ، والتطهر بالماء . وليس مع التشديد للطاء فيها دليل على أن انقطاع الدم شرط للوطء . فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته ، وهو الاختيار لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم والتطهير بالماء " (١) .

فانظر كيف أن مكي بن أبي طالب اختار من القراءتين غير ما اختار الإمام الطبري لنفس السبب والعلة تقريباً .

والصواب من القول في ذلك أن كلتا القراءتين صحيحة متواترة ، معناهما صحيح لا لبس فيه ولا غموض ، موافق لما أجمع عليه العلماء من أن المرأة لا تحل لزوجها إلا بانقطاع الدم والتطهر بالماء ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يذكر أثناء حديثه عن القراءات اختيارات العلماء والقراء الذين اختاروا القراءة بإحدى القراءات الواردة في اللفظ ، وحججهم في ذلك ويناقش هذه الحجج ويبين ما يراه صواباً من الاختيار .

من ذلك قوله عند حديثه عن القراءات في قوله تعالى *(وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون)* (٢) حيث يقول :" اختلفت القراء في قراء ذلك ، فقرأه

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (١/٢٩٣ - ٢٩٤) .

(٢) سورة البقرة : الآية (٥١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضهم (واعدنا) (١) بمعنى أن الله تعالى واعد موسى ملاقاة الطور لمناجاته ، فكانت المواعدة من الله لموسى ، ومن موسى لربه ، وكان من حجتهم على اختيارهم قراءة " واعدنا " على وعدنا أن قالوا : كل إيعاد كان بين اثنين للالتقاء أو الاجتماع ، فكل واحد منهما مواعد صاحبه ذلك ، فلذلك زعموا أنه وجب أن يُقضى لقراءة من قرأ (واعدنا) بالاختيار على قراءة من قرأ (وعدنا) . .

وقرأه بعضهم (وعدنا) (٢) بمعنى أن الله الواعد موسى ، والمنفرد بالوعد دونه ، وكان من حجتهم في اختيارهم ذلك أن قالوا : إنما تكون المواعدة بين البشر ، فأما الله جل ثناؤه فإنه المنفرد بالوعد والوعيد في كل خير وشر ، قالوا : وبذلك جاء التنزيل في القرآن كله ، فقال جل ثناؤه *[إن الله وعدكم وعد الحق]* (٣) وقال *[وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم]* (٤) قالوا : فكذلك الواجب أن يكون هو المنفرد بالوعد في قوله (وإذ وعدنا موسى) .

والصواب عندنا في ذلك من القول . أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة . وقرأت بهما القراء ، وليس في القراءة بإحداهما إبطال معنى الأخرى ، وإن كان في إحداهما زيادة معنى على الأخرى من جهة الظاهر والتلاوة ؛ وأما من جهة المفهوم بهما فمتفقتان ، وذلك أن من أخبر عن شخص أنه وعد غيره اللقاء بموضع من المواضع ، فمعلوم أن الموعود ذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان ، مثل الذي وعده من ذلك صاحبه إذا كان وَعْدُه ما وَعَدَه إياه من ذلك عن اتفاق منهما عليه ، ومعلوم أن موسى -صلوات الله عليه - لم يَعده ربه الطور إلا عن رضا موسى بذلك ، إذ كان موسى غير مشكوك فيه أنه كان بكل ما أمر الله به راضياً ، وإلى محبته فيه مسارعاً ، ومعقول أن الله تعالى لم يعد موسى ذلك إلا وموسى إليه مستجيب ، وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الله عز ذكره قد كان وعد موسى الطور ، ووعده موسى اللقاء وكان الله عز ذكره لموسى واعداً ومواعداً له المناجاة على الطور ، وكان موسى واعداً لربه مواعداً له اللقاء ، فبأي القراءتين من وعد ، وواعد قرأ القارئ ، فهو الحق في ذلك من جهة التأويل واللغة مصيب لما وصفنا من العلل قبل ، ولا معنى لقول القائل : إنما تكون المواعدة بين البشر ، وأن الله بالوعد

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكوفيين . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/ ٢١٢) .

(٢) وهي قراءة ابي عمرو وابي جعفر ويعقوب . (انظر : المرجع نفسه) .

(٣) سورة إبراهيم : الآية (٢٢) . (٤) سورة الأنفال : الآية (٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوعيد منفرد في كل خير وشر، وذلك أن انفراد الله بالوعد والوعيد في الثواب والعقاب والخير والشر والنفع والضر ، الذي هو بيده وإليه ، دون سائر خلقه لا يحيل الكلام الجاري بين الناس في استعمالهم إياه عن وجوهه ولا يغيره عن معانيه ، والجاري بين الناس من الكلام المفهوم ما وصفنا من أن كل إيعاد كان بين اثنين فهو وعد من كل واحد منهما صاحبه ومواعدة بينهما ، وأن كل واحد منهما واعد صاحبه مواعد ، وأن الوعد الذي يكون به الانفراد من الواعد دون الموعود إنما هو ما كان بمعنى الوعد الذي هو خلاف الوعيد " (١) .

ومن أمثلة ذلك ايضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى ***{ اياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون }*** (٢) حيث يقول :" وأما قوله (فدية طعام مسكين) فإن القراء مختلفة في قراءته ، فبعض يقرأ بإضافة الفدية إلى الطعام ، وخفض الطعام(٣) ، وذلك قراءة معظم قراء أهل المدينة ، بمعنى : وعلى الذين يطيقونه أن يفدوه طعام مسكين ؛ فلما جعل مكان أن يفديه الفدية أضيف إلى الطعام ، كما يقال : لزمني غرامة درهم لك بمعنى لزمني أن أغرم لك درهماً .

وآخرون يقرأونه بتنوين فدية ؛ ورفع الطعام (٤) بمعنى الإبانة في الطعام عن معنى الفدية الواجبة على من أفطر في صومه الواجب ، كما يقال لزمني غرامةٌ درهم لك ، فتبين بالدرهم عن معنى الغرامة ما هي وما حدها ، وذلك قراءة عظم قراء أهل العراق .

وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ (فديةُ طعام) بإضافة الفدية إلى الطعام لأن الفدية اسم للفعل ، وهي غير الطعام المفدى به الصوم ، وذلك أن الفدية مصدر من قول القائل : فديت صوم هذا اليوم بطعام مسكين ، أفديه فدية ، كما يقال : جلست جلسة ، ومشيت مشية ، والفدية فعل والطعام غيرها ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتبين أن أصح القراءتين إضافة الفدية إلى الطعام ، وواضح خطأ قول من

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (١/٢٧٩ - ٢٨٠) . (٢) سورة البقرة (الآية (١٨٤) .

(٣) وهي قراءة نافع وابن ذكوان وابي جعفر . (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٢٢٦) .

(٤) وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وهشام والكوفيين ويعقوب . (انظر : المرجع السابق) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : إن ترك إضافة الفدية إلى الطعام أصح في المعنى من أجل أن الطعام عنده هو الفدية ، فيقال لقائل ذلك : قد علمنا أن الفدية مقتضية مفدياً ومفدّياً به ، وفدية ، فإن كان الطعام هو الفدية ، والصوم هو المفدّى به ، فأين اسم فعل المفتدي الذي هو فدية ، إن هذا القول خطأ بين غير مشكل " (١) .

قلت : لقد اختار مكي بن أبي طالب غير الذي رجحه الطبري ، ثم إن الفدية جاءت في القرآن الكريم وأريد بها ذات الشيء لا اسم الفعل كما في قوله تعالى ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ﴾(٢) فقد بينت هذه الآية أن المراد بالفدية نفس الشيء المفدى به وهو الصدقة أو الصيام أو النسك ، وهذه أشياء يُفدى بها وهي ذوات .

وقد يطلق المصدر ويراد به اسم المفعول كما في قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «من أحدث في إمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٣) أي مردود .

وإذا سمينا الفدية طعاماً فيكون ذلك على قراءة الإضافة من باب إضافة بعض إلى كل مثل هذا خاتمُ حديد ، وثوب خَزٍّ (٤) .

وعلى القراءة بغير إضافة يكون من باب بدل الشيء من الشيء ، وهو هو ، فبين الله به من أي نوع هي ، أبالطعام أو غيره (٥) .

فتبين من ذلك أن كلتا القراءتين مؤداهما واحد وهما قراءتان متواترتان فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب .

وبعد هذه الجولة في منهج الإمام الطبري – رحمه الله – في الترجيح بين القراءات ومع كل ما سبق التنبيه عليه من ملاحظات في كلام الطبري – رحمه الله – إلا أن منهجه في الترجيح في القراءات يكشف لنا عن شخصيته العلمية الفريدة ، ويوقفنا على العلل التي كان يعتمد عليها العلماء والقراء في اختياراتهم في القراءات ، فإن العلل التي اعتمد عليها الإمام الطبري – رحمه الله – في

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٤١/٢) . (٢) سورة البقرة : الآية (١٩٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٩٥٩/٢ ح ٢٥٥٠) ، ومسلم في صحيحه : كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣ ح ١٧) ، وأبو داود في سننه : كتاب السنة ، باب في لزوم السنة (١٢/٥ ح ٤٦٠٦) ، وأحمد في مسنده (٢٤٠/٦ ، ٢٧٠) .

(٤) انظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب (٢٨٢/١) . (٥) انظر : المرجع نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجيحه بين القراءات والتي بينتها مفصلة في هذا المبحث هي العلل نفسها التي اختار القراء من أجلها القراءة ببعض القراءات دون الأخرى .

والإمام الطبري - رحمه الله - إنما أراد من ترجيحه بين القراءات بيان اختياره ، وعلة هذا الاختيار ، ولكنه - رحمه الله - بالغ في الاستدلال على صحة اختياره وقوته مبالغة حملته على إنكار بعض القراءات ، والترجيح بينها ترجيحاً أفضى إلى توهين القراءة المرجوحة ، وتضعيفها ، والتشكيك فيها ، ولو أنه - رحمه الله - علل اختياره بعد بيانه دون هذا المحظور لم يكن في ذلك بأس ، ولكان كلامه في ذلك مقبولاً ، فإن العلماء والقراء كانوا يختارون من القراءات بعضها ، فيداومون على القراءة بها حتى تنسب إليهم ، ولكنهم لم يقللوا من شأن القراءة الأخرى ، فضلاً عن ردها ، بل يعتقدون صحتها ، وأنها من عند الله تعالى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الترجيح في التفسير مقارناً بالترجيح في القراءات

وفيه مبحثان

المبحث الأول : منهج الإمام الطبري في الترجيح في التفسير

المبحث الثاني : المقارنة بين منهجه في الترجيح في كل من القراءات والتفسير

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

الترجيح في التفسير مقارناً بالترجيح في القراءات

المبحث الأول

منهج الإمام الطبري في الترجيح في التفسير

لقد بدت شخصية الإمام الطبري - رحمه الله - العلمية أوضح ما تكون في ترجيحه بين أقوال أهل التأويل في معاني كلام الله تعالى ، فهو - رحمه الله - لم يكن ينقل كل ما وقعت عليه يده من أقوال أئمة التأويل من الصحابة والتابعين دون تعقيب عليه ، بل كان ينعم نظره وفكره فيما يذكر من التفاسير ، ويرجح ما يراه صواباً ، فكان موقفه موقف الناقد المحص ، يقبل بعضها ويرد بعضها .

لقد اعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه بين أقوال أئمة التأويل - رحمهم الله - على أمور كثيرة اتخذها علة وسبباً لترجيح رأي على آخر سأبينها فيما يلي :

* من منهجه - رحمه الله - ترجيح القول الذي يوافق ظاهر التنزيل ؛ لأنه لا يصار إلى صرف النص القرآني عن ظاهره إلا بدليل قوي يسوغه ، فما كان من الأقوال موافقاً لظاهر التنزيل فهو القول الراجح ، وهو الأولى بالصواب ؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين ، فيجب تحكيم المنطق اللغوي أولاً ليكون التفسير موافقاً للمفسر . وقد كثر اعتماده على ذلك في تفسيره . ونجد ذلك في مواطن كثيرة منه . من ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ... الآية }*(١) حيث يقول :" وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه من الصحابة والتابعين ، والخالفين بعدهم من قولهم : إن بني إسرائيل لو كان أخذوا أدنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أن حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن ، إلا

---

(١) سورة البقرة : الآية (٦٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن يخصّ بعض ما عمه ظاهر التنزيل كتاب من الله أو رسول الله - صلى الله عليه وسلم " (١) .

ومن أمثلة اعتماده الأصل السابق في ترجيحه قوله عند تفسيره لقوله تعالى **{ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون }** (٢) حيث يقول :" وأولى هذه التأويلات بقول الله -جل ثناؤه - مخبراً عن ملائكته قيلها له (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) تأويل من قال :" إن ذلك منها استخبار لربها بمعنى أعلمنا يا ربنا ، أجاعل أنت في الأرض من هذه الصفة ، وتارك أن تجعل خلفاءك منا ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنه فاعل ، وإن كانت قد استعظمت لما أخبرت بذلك أن يكون لله خلق يعصيه.

وأما دعوى من زعم أن الله - جل ثناؤه - كان أذن لها بالسؤال عن ذلك ، فسألته على وجه التعجب ، فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التنزيل ، ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر ، وغير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التي تقوم بها الحجة " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى **{ الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين }** (٤) حيث يقول :" وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله : ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه . فأما قول من وجهه إلى أن معناه وتقلبك في الناس ، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة ، وإن كان له وجه ؛ لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله ، فإنه ليس المفهوم من قول القائل : فلان مع الساجدين ، أو في الساجدين أنه مع الناس أو فيهم ، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود السجود المعروف ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر ، وكذلك أيضاً في قول من قال : معناه : تتقلب في أبصار الساجدين ، وإن كان له وجه ، فليس ذلك الظاهر من معانيه " (٥) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لسورة القدر ، بعد أن بين أقوال العلماء في قوله تعالى

---

(١) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٣٤٨/١) .

(٢) سورة البقرة :الآية (٣٠) .

(٣) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٢٠٨/١-٢٠٩) .

(٤) سورة الشعراء : الآية (٢١٨، ٢١٩) .

(٥) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١٢٥/١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ *ليلة القدر خير من ألف شهر* ﴾ (١) حيث قال بعضهم: "العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألف شهر، وقال آخرون: معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وقال آخرون: المقصود بألف شهر ملك بني أمية. حيث يقول: "وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وأما الأقوال الأخر فدعاوى معانٍ باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في التنزيل" (٢)

ومن ذلك أيضاً ترجيحه القول الذي يعتمد على تأويل كلام الله تعالى بما هو الأظهر من معانيه.

من أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً* ﴾ (٣) بعد أن ذكر أقوال أهل التأويل في المعنى الذي كانت اليهود تزكي به أنفسها حيث قال بعضهم: كانت تزكيتهم أنفسهم قولهم ﴿ *نحن أبناء الله وأحباؤه* ﴾ (٤)، وقال بعضهم: بل كانت تزكيتهم أنفسهم تقديمهم أطفالهم لإمامتهم في صلاتهم، زعماً منها أنهم لا ذنوب لهم، وقال آخرون: بل تزكيتهم أنفسهم كانت قولهم: إن أبناءنا سيشفعون لنا ويزكوننا، وقال آخرون: بل ذلك كان منهم تزكية من بعضهم لبعض. حيث يقول: "وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى تزكية القوم الذين وصفهم الله بأنهم يزكون أنفسهم، وصفهم إياها بأنها لا ذنوب لها ولا خطايا، وأنهم لله أبناء وأحباء، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه؛ لأن ذلك هو أظهر معانيه لإخبار الله عنهم أنهم إنما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها، وأما الذين قالوا: معنى ذلك: تقديمهم أطفالهم للصلاة فتأويل لا تدرك صحته إلا بخبر حجة يوجب العلم" (٥).

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى* ﴾ (٦) بعد أن بين أقوال أهل التأويل في معنى ذلك، حيث قال بعضهم: هذا إخبار من الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أنه يعلمه هذا القرآن ويحفظه عليه، ونهى منه أن يعجل بقراءته، ومعنى الاستثناء: فلا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه ولا تذكره، وذلك هو ما

---

(١) سورة القدر: الآية (٣).
(٢) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (٣٠/٢٦٠).
(٣) سورة النساء: الآية (٤٩).
(٤) سورة المائدة: الآية (١٨).
(٥) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٥/١٢٦-١٢٨).
(٦) سورة الأعلى: الآية (٧،٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسخه الله من القرآن فرفع حكمه وتلاوته ، وقال آخرون : معنى ذلك : سنقرئك يا محمد فلا تترك العمل بشيء منه إلا ما شاء الله أن تترك العمل به مما ننسخه ، حيث يقول :" والقول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال : معنى ذلك : فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ذلك أظهر معانيه " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[وامرأته حمالة الحطب]* (٢) بعد أن ذكر قولي العلماء في معنى ذلك ، حيث قال بعضهم : كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة . وقال آخرون : قيل لها ذلك (حمالة الحطب) لأنها كانت تحطب الكلام ، وتمشي بالنميمة ، وتعيِّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالفقر . حيث يقول :" وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال : كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ لأن ذلك هو أظهر معنى ذلك " (٣) .

والإمام الطبري - رحمه الله - يختار من الأقوال القول الذي يُبقي النص القرآني على عمومه ، ويعده هو الأولى بالصواب ، ويرى أنه لا يصح تقييد عموم الآية دون حجة قوية ، ودليل صحيح يسوغ ذلك ، وذلك أن الأصل إجراء المطلق على إطلاقه ما لم يأت دليل يخصصه ، لذا تجده في أكثر من موضع في تفسيره يقف عند المعنى العام للآية القرآنية دون الخوض في التأويلات التي تصرف الآية عن عمومها دون دليل واضح أو برهان صحيح ، والتي لا ينبني على معرفتها كبير فائدة .

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً]* (٤) حيث يقول :" وأولى ما قيل في تأويل قوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أنه معني به كل فاحشة من بذاءة باللسان على زوجها ، وأذى له ، وزنا بفرجها ، وذلك أن الله -جل ثناؤه- عم بقوله (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) كل فاحشة مبينة ظاهرة ، فكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٠/ ١٥٤) .

(٢) سورة المسد : الآية (٤) .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٠/ ٣٢٨-٣٢٩) .

(٤) سورة النساء : الآية (١٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هي زنا أو نشوز ، فله عضلها على ما بين الله في كتابه ، والتضييق عليها حتى تفتدي منه ، بأي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة ، بظاهر كتاب الله - تبارك وتعالى - وصحة الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدِلون }* (٢) حيث يقول :" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدِلون ، فعم بذلك جميع الكفار ، ولم يخصص منهم بعضاً دون بعض ، فجميعهم داخلون في ذلك : يهودهم ، ونصاراهم ، ومجوسهم ، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين }* (٤) حيث يقول :" والقول في ذلك عندنا أن الله - جل ثناؤه - أخبر عباده أن آدم وزوجه أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عن الأكل منها ، فأتيا الخطيئة التي نهاهما عن إتيانها بأكلهما ما أكلا منها بعد أن بين الله - جل ثناؤه - لهما عين الشجرة التي نهاهما عن الأكل منها ، وأشار لهما إليها بقوله (ولا تقربا هذه الشجرة) ولم يضع الله - جل ثناؤه - لعباده المخاطبين بالقرآن دلالة على أي أشجار الجنة كان نهيه آدم أن يقربها بنص عليها باسمها ، ولا بدلالة عليها ، ولو كان لله في العلم بأي ذلك من أي رضا لم يُخل عباده من نصب دلالة لهم عليها يصلون بها إلى معرفة عينها ، ليطيعوه بعلمهم بها ، كما فعل ذلك في كل ما بالعلم به له رضا .

فالصواب في ذلك أن يقال : إن الله - جل ثناؤه - نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة ، دون سائر أشجارها ، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه ، فأكلا منها كما وصفهما الله - جل ثناؤه - به ، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة ، فأنى يأتي ذلك من أتى " (٥) .

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٤/٣١١) . (٢) سورة الأنعام : الآية (١) .

(٣) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٧/١٤٥) . (٤) سورة البقرة : الآية (٣٥) . (٥) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١/٢٣٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ وءاخرين منهم لمّا يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم }* (١) بعد ذكره لقولي العلماء في المراد منهم أهم العجم أم جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – كائناً من كان إلى يوم القيامة ، حيث يقول :" وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي من قال : عُني بذلك كل لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبي – صلى الله عليه وسلم – في إسلامهم من أي الأجناس ؛ لأن الله – عز وجل – عم بقوله (وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم) كل لاحق بهم من آخرين ، ولم يخص منهم نوعاً دون نوع ، فكل لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأولين الذين كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتلو عليهم آيات الله " (٢) .

ومن أمثلة اختياره القول الذي يعم جميع ما قاله أهل التأويل في معنى الجملة القرآنية ، قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون }* (٣) بعد أن بين أقوال أهل التأويل في معنى قوله (ولباس التقوى) حيث قال بعضهم : هو الإيمان ، وقال آخرون : هو خشية الله وقال آخرون : هو الحياء ، وقال آخرون : هو العمل الصالح ، وقال آخرون : هو السمت الحسن ، وقال آخرون: ستر العورة . حيث يقول :" وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله (ولباس التقوى) استشعار النفوس تقوى الله في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه ، والعمل بما أمر به من طاعته ، وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح ، والحياء ، وخشية الله ، والسمت الحسن ، لأن من اتقى الله كان به مؤمناً وبما أمره به عاملاً ، ومنه خائفاً ، وله مراقباً ، ومن أن يُرى عند ما يكرهه من عباده مستحيياً ، ومَن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سمته وهديه ، ورئيت عليه بهجة الإيمان ونوره " (٤) .

* والإمام الطبري – رحمه الله – يعتمد في ترجيحه لأحد الأقوال الواردة في معنى الآية على النظر والاستدلال وإنعام الفكر، وهو في ذلك قوي العارضة، يقدم الدليل والبرهان لإثبات صحة ما يختار ويرجح ، ولإقناع القارئ أن الرأي أو القول الذي اختاره هو أولى بالصواب من غيره من الأقوال.

---

(١) سورة الجمعة : الآية (٣) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٨/٩٦) .

(٣) سورة الأعراف : الآية (٢٦) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨/١٤٨ – ١٥١) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون }* (١) ، بعد ذكره اختلاف أهل التأويل فيمن عنى الله بهذه الآية حيث قال بعضهم : عنى بذلك أهل الصفتين المتقدمتين ، أي المؤمنون بالغيب من العرب والمؤمنون بما أنزل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - وإلى من قبله من الرسل ، وإياهم جميعاً وصف بأنهم على هدى منه ، وأنهم هم المفلحون . وقال آخرون : بل عنى بذلك الذين يؤمنون بما أنزل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - وبما أنزل إلى من قبله ، وهو مؤمنوا أهل الكتاب الذين صدقوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به ، وكانوا مؤمنين من قبل بسائر الأنبياء والكتب . حيث يقول :" وأولى التأويلات عندي بقوله (أولئك على هدى من ربهم) ما ذكرت من قول ابن مسعود وابن عباس ، وأن تكون أولئك إشارة إلى الفريقين.... وإنما رأينا أن ذلك أولى التأويلات بالآية ، لأن الله - جل ثناؤه - نعت الفريقين بنعتهم المحمود ، ثم أثنى عليهم فلم يكن - عز وجل - ليخص أحد الفريقين بالثناء مع تساويهما فيما استحقا به الثناء من الصفات ، كما غير جائز في عدله أن يتساويا فيما يستحقان به الجزاء من الأعمال ، فيخص أحدهما بالجزاء دون الآخر، ويحرم الآخر جزاء عمله ، فكذلك سبيل الثناء بالأعمال ؛ لأن الثناء أحد أقسام الجزاء" (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين }* (٣) بعد أن بين أقوال أهل التأويل في معنى السلم في هذا الموضع حيث قال بعضهم : معناه الإسلام ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : ادخلوا في الطاعة ، وقال آخرون ممن قرأها بفتح السين : معناه ادخلوا في الصلح والمسالمة وترك الحرب وإعطاء الجزية ، وقد أوله بهذا التأويل بعض من قرأ بكسر السين أيضاً .

حيث يقول :" وأولى التأويلات بقوله (ادخلوا في السلم) قول من قال : معناه ادخلوا في الإسلام كافة ... وإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل في قوله (ادخلوا في السلم) وصرفنا معناه إلى الإسلام ، لأن الآية مخاطب بها المؤمنون ، فلن يعدو الخطاب إذ كان خطاباً للمؤمنين من أحد أمرين ، إما أن يكون خطاباً للمؤمنين بمحمد المصدقين به وبما جاء به ، فإن يكن ذلك كذلك ، فلا معنى أن يقال لهم ،

---

(١)سورة البقرة: الآية (٥).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠٦/١-١٠٧).

(٣)سورة البقرة: الآية (٢٠٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهم أهل الإيمان : ادخلوا في صلح المؤمنين ومسالمتهم ؛ لأن المسالمة والمصالحة إنما يؤمر بها من كان حرباً بترك الحرب ، فأما الموالي فلايجوز أن يقال له : صالح فلاناً ، ولا حرب بينهما ولا عداوة ، أو يكون خطاباً لأهل الإيمان بمن قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – من الأنبياء المصدقين بهم وبما جاءوا به من عند الله المنكرين محمداً ونبوته ، فقيل لهم : ادخلوا في السلم : يعني به الإسلام لا الصلح ؛ لأن الله –عز وجل – إنما أمر عباده بالإيمان به ، وبنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وما جاء به ، وإلى ذلك دعاهم دون المسالمة والمصالحة ، بل نهى نبيه – صلى الله عليه وسلم – في بعض الأحوال عن دعاء أهل الكفر إلى المسالمة فقال { فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وانتم الأعلون والله معكم } (١) وإنما أباح له – صلى الله عليه وسلم – في بعض الأحوال إذا دعوه إلى الصلح ابتداء المصالحة ، فقال له – جل ثناؤه – {وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها } (٢) فأما دعاؤهم إلى الصلح ابتداء فغير موجود في القرآن فيجوز توجيه قوله (ادخلوا في السلم) إلى ذلك " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ... الآية } (٤) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في معنى (ولا تعضلوهن) حيث قال بعضهم : "ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهم عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما يمتن ، فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن وقال آخرون : ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهن ضراراً ، ولا حاجة لكم إليهن فتضروا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن من صدقاتهن . وقال آخرون : المعني بالنهي عن عضل النساء في هذه الآية : أولياؤهن . وقال آخرون : بل المنهي عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه إياها. حيث يقول :" وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) قول من قال : نهى الله – جل ثناؤه – زوج المرأة عن التضييق عليها والإضرار بها ، وهو لصحبتها كاره ، ولفراقها محب ؛ لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة ؛ لأنه لا سبيل لأحد إلى عضل امرأته إلا لأحد رجلين : إما لزوجها

---

(١) سورة محمد : الآية (٣٥).
(٢) سورة الأنفال : الآية (٦١).
(٣) جامع البيان عن تاويل آي القرآن (٢/٣٢٢-٣٢٤).
(٤) سورة النساء : الآية (١٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالتضييق عليها وحبسها على نفسه ، وهو لها كاره ، مضارة منه لها بذلك ، ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك ، أو لوليها الذي إليه إنكاحها ، وإذا كان لا سبيل إلى عضلها لأحد غيرهما ، وكان الوليّ معلوماً أنه ليس ممن آتاها شيئاً ، فيقال : إن عَضَلَها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها ، كان معلوماً أن الذي عنى الله - تبارك وتعالى - بنهيه عن عضلها ، هو زوجها الذي له سبيل إلى عضلها ضراراً لتفتدي منه " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *(ثم رددناه أسفل سافلين)* (٢) بعد أن بين أقوال أهل التأويل في تأويل ذلك حيث قال بعضهم : معنى ذلك ثم رددناه إلى أرذل العمر ، وقال آخرون : معنى ذلك : ثم رددناه إلى النار في أقبح صورة ، حيث يقول :" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصحة ، وأشبهها بتأويل الآية قول من قال : معناه : ثم رددناه إلى أرذل العمر ، إلى عمر الخَرَفَى . الذين ذهبت عقولهم من الهَرَم والكِبَر ، فهو في أسفل من سفل : في إدبار العمر وذهاب العقل .

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب في ذلك ؛ لأن الله - تعالى ذكره - أخبر عن خلقه ابن آدم ، وتصريفه في الأحوال . احتجاجاً بذلك على منكري قدرته على البعث بعد الموت ، ألا ترى أنه يقول (فما يكذبك بعد بالدين) يعني : بعد هذه الحجج ، ومحال أن يحتج على قوم كانوا منكرين معنى من المعاني ، بما كانوا له منكرين ، وإنما الحجة على كل قوم بما لا يقدرون على دفعه ، مما يعاينونه ويحسُّونه ، أو يقرُّون به ، وإن لم يكونوا له مُحسين ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكان القوم للنار التي كان الله يتوعدهم بها في الآخرة منكرين ، وكانوا لأهل الهَرَم والخَرَف من بعد الشباب والجَلَد شاهدين . عُلِم أنه إنما احتجّ عليهم بما كانوا له مُعاينين ، من تصريفه خلقه ، ونقله إياهم من حال التقويم الحسن والشباب والجَلَد إلى الهَرَم والضعف ، وفناء العمر ، وحدوث الخَرَف " (٣) .

* وكثيراً ما يعتمد الإمام الطبري - رحمه الله - في ترجيحه لقول من أقوال أهل التأويل في معنى آية قرآنية أو جملة قرآنية أو كلمة قرآنية على ما ورد من أخبار عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أو عن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، تؤيد المعنى الذي اختاره ، أو القول الذي رجحه . فإذا كان

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القران (٤/٣٠٨-٣٠٩) .

(٢) سورة التين : الآية (٥) .

(٣) جامع البيان عن تاويل اي القران (٣٠/٢٤٤-٢٤٥) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحد الأقوال موافقاً لما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أو عن الصحابة والتابعين فهو القول الراجح والأولى بالصحة والصواب من غيره .

من أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى (*يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلن تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً*) (١) بعد أن ذكر أقوال أهل التأويل في اللمس حيث قال بعضهم : عني بذلك الجماع ، وقال آخرون : عنى الله بذلك كل لمس بيد كان أو بغيرها من أعضاء جسد الإنسان . حيث قال : "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله بقوله (أو لامستم النساء) الجماع دون غيره من معاني اللمس لصحة الخبر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ " (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى (*الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون*) (٣) بعد أن بين أقوال العلماء في معنى ذلك حيث قال بعضهم : الظلم هنا الشرك ، وقال آخرون : ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم ، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله . حيث يقول :" وأولى القولين بالصحة في ذلك ما صح به الخبر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال " الظلم الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع هو الشرك " (٤) .

ومن أمثلة ترجيحه لبعض الأقوال لتظاهر الأخبارعن الصحابة بذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى (*يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ... الآية*) (٥) بعد أن بين قولي العلماء في معنى ذلك ، حيث قال بعضهم : عنى بذلك السكر من الشراب ، وقال آخرون : معنى ذلك : وأنتم سكارى من النوم . حيث يقول :" وأولى القولين في ذلك بتأويل الآية تأويل من قال : ذلك نهي من

---

(١) سورة النساء : الآية (٤٣) .

(٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٥/١٠١–١٠٥) .

(٣) سورة الأنعام : الآية (٨٢) .

(٤) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (٧/٢٥٥–٢٥٩) .

(٥) سورة النساء : الآية (٤٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الله المؤمنين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى من الشراب قبل تحريم الخمر ، للأخبار المتظاهرة عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن ذلك كذلك نهي من الله ، وأن هذه الآية نزلت فيمن ذكرت أنها نزلت فيه " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى ***{ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم }*** (٢) بعد أن بين أقوال العلماء في سبب نزول الآية ، حيث قال بعضهم : نزلت بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام امتحاناً له أحياناً ، واستهزاء أحياناً ، وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أجل مسألة سائل ، سأله عن شيء في أمر الحج ، وقال آخرون : نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن البحيرة والسائبة الوصيلة والحامي . حيث يقول :" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسائل ، كمسألة ابن حذافة إياه من أبوه ، ومسألة سائله إذ قال : إن الله فرض عليكم الحج : أفي كل عام ؟ وما أشبه ذلك من المسائل ، لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين وعامة أهل التأويل " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لسورة الكوثر ، بعد أن بين أقوال العلماء في معنى الكوثر حيث قال بعضهم : هو نهر في الجنة ، وقال آخرون : الخير الكثير ، وقال آخرون : هو حوض أعطيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجنة . حيث يقول :" وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : هو اسم النهر الذي أعطيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الجنة ، وصفه الله بالكثرة لِعِظَم قدره .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك ، لتتابع الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن ذلك كذلك " (٤) .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٩٥-٩٦).

(٢) سورة المائدة : الآية (١٠١).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧/٨٠-٨٤).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٠/٣٢٠-٣٢٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* وقد اعتمد - رحمه الله - في ترجيحه بين الأقوال الواردة عن أهل التأويل في معنى كلام الله تعالى على إجماع الحجة من أهل التأويل على تأويل من التأويلات ، وانفراد أحدهم بقول شذ به عما أجمعت عليه الحجة . فما أجمعت عليه الحجة من أهل التأويل هو المختار والراجح عنده دون الآخر .

من أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى **{ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون }** (١) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ،حيث قال بعضهم : لم يجئ هؤلاء بعد ، وقال آخرون : هم المنافقون . حيث يقول :" وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال : إن قول الله - تبارك اسمه - (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن كان معنياً بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة ، وقد يحتمل قول سلمان عند تلاوة هذه الآية (ما جاء هؤلاء بعد) أن يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبراً منه عمن جاء منهم بعدهم ، ولما يجئ بعد ؛ لأنه عني أنه لم يمض ممن هذه صفته أحد .

وإنما قلنا أولى التأويلين بالآية ما ذكرنا ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك صفة من كان بين ظهراني أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المنافقين ، وأن هذه الآيات فيهم نزلت ، والتأويل المجمع عليه أولى بتأويل القرآن من قول لا دلالة على صحته من أصل ولا نظير " (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى **{ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً }** (٣) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في معنى الرؤيا التي أراها الله نبيه - صلى الله عليه وسلم- حيث قال بعضهم : هي رؤيا عين ، وهي ما رأي النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أسري به من مكة إلى بيت المقدس ، وقال آخرون : هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة ، وقال آخرون : هي رؤيا منام ، إنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى في منامه قوماً يعلون منبره

---

(١)سورة البقرة :الآية (١١).

(٢) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١/ ١٢٥ - ١٢٦).

(٣)سورة الإسراء :الآية (٦٠).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث يقول :" أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى به رؤيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس ليلة أسرى به ، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك ، وإياه عنى الله - عز وجل - بها " (١) .

وقوله في تفسير الآية السابقة ، بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في الشجرة الملعونة حيث قال بعضهم : هي شجرة الزقوم ، وقال آخرون : هي الكَشُوث (٢) . حيث يقول : وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال : عنى بها شجرة الزقوم ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى [***سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية***] (٤) بعد أن ذكر اختلاف العلماء في معنى حسوماً . حيث قال بعضهم : متتابعة ، وقال آخرون : عنى بقوله حسوماً الريح ، وأنها تحسم كل شيء ، فلا تبقى من عاد أحداً . حيث يقول :" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عُني بقوله حسوماً : متتابعة ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك " (٥) .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يعتمد في ترجيحه لأحد أوجه التأويل الواردة في معنى النص القرآني على سباق النص وسياقه ولواحقه ، لذا تجده يرجح القول الذي ينسجم ويتسق مع السياق القرآني ؛ لأن ذلك يبقي على ترابط الآيات ويبعدها عن أن تكون كل آية مفصولة عن التي قبلها أو بعدها. وهو أمر لا يصح أن يكون في كلام فصيح فضلاً عن أن يكون في كتاب الله تعالى .

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى [***إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون***] (٦) بعد أن بين أقوال أهل التأويل في تأويل ذلك .

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٥-١١٠-١١٣) .

(٢) الكشوث ، والكشوثا ، والكشوثاء : نبت يتعلق بالأغصان ، ولا عرق له في الأرض ، وهي لفظة سوادية ، (انظر : اللسان مادة : كشث) .

(٣) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٥-١١٣-١١٥) .

(٤) سورة الحاقة : الآية (٧) .

(٥) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢٩/٥٠-٥٢) .

(٦) سورة آل عمران : الآية (٩٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث قال بعضهم : عنى الله - عز وجل - بقوله (إن الذين كفروا) أي ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد إيمانهم (ثم ازدادوا كفراً) بكفرهم بمحمد (لن تقبل توبتهم) عند حضور الموت ، وحشرجته بنفسه . وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد إيمانهم بأنبيائهم (ثم ازدادوا كفراً) يعني ذنوباً (لن تقبل توبتهم) من ذنوبهم وهم على الكفر مقيمون ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفروا بعد إيمانهم بأنبيائهم ، ثم ازدادوا كفراً ، يعني بزيادتهم الكفر بما هم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون ، لن تقبل توبتهم : لن تنفعهم.توبتهم الأولى وإيمانهم ؛ لكفرهم الآخر وموتهم ، وقال آخرون : معنى قوله (ثم ازدادوا كفراً) ماتوا كفاراً ، فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم ، لن تقبل توبتهم عند موتهم .

حيث يقول :" وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال : عنى بها اليهود ، وأن يكون تأويله : إن الذين كفروا من اليهود بمحمد - صلى الله عليه وسلم - عند مبعثه بعد إيمانهم به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ومقامهم على ضلالتهم لم تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم- ، ويراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب ؛ لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت ، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذ كانت في سياق واحد " (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ... الآية]* (٢) بعد أن بين أقوال العلماء في المراد بالخبيث . حيث قال بعضهم : يوم أحد ميز المنافق عن المؤمن ، وقال آخرون : حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد . حيث يقول :" والتأويل الأول أولى بتأويل الآية ؛ لأن الآيات قبلها في ذكر المنافقين ، وهذه في سياقها ، فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا*

---

(١) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٣/٢٤٢-٢٤٤) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٧٩) .

(٣) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٤/١٨٧-١٨٨) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما أنزل الله على بشر من شيء ... الآية] (١) بعد أن بين اختلاف أهل التاويل في المعنى بذلك حيث قال بعضهم : كان قائل ذلك رجلاً من اليهود ، وقال آخرون : بل عنى بذلك جماعة من اليهود سألوا النبي - صلى الله عليه وسلم - آيات مثل آيات موسى ، وقال آخرون : هذا خبر من الله - جل ثناؤه - عن مشركي قريش أنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . حيث يقول: " وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من قال : عنى بذلك (وما قدروا الله حق قدره) مشركي قريش ؛ وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولاً ، فأن يكون ذلك أيضاً خبراً عنهم أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود ، ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلاً مع مافي الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية من إنكاره أن يكون الله انزل على بشر شيئاً من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود ... " (٢) .

ومن امثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى [*ولا تمنن تستكثر*] (٣) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في ذلك . حيث قال بعضهم : معنى ذلك ولا تعط يا محمد عطية لتعطى أكثر منها ، وقال آخرون : معنى ذلك ولا تمنن عملك على ربك تستكثر ، وقال آخرون : لا تضعف أن تستكثر من الخير ، وقال آخرون : لا تمنن بالنبوة على الناس، تأخذ عليه منهم أجراً حيث يقول: " وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال : معنى ذلك : ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح .

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ؛ لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهن أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالجد في الدعاء إليه ، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه ، فهذه بأن تكون من أنواع تلك أشبه منها بأن تكون من غيرها " (٤) .

* والإمام الطبري - رحمه الله - يعتمد في ترجيحه لأحد أقوال أئمة التأويل على وجود نظير هذا المعنى في آية أخرى من كتاب الله تعالى ، إذ أن حمل معنى آية من كتاب الله على معنى آية أخرى ؛ وذلك بجمع النظير إلى النظير ، أولى من تفسيرها بأي تفسير آخر ، قد يكون مخالفاً لما أولت به آية أخرى مجاورة لها .

---

(١) سورة الأنعام : الآية (٩١) .
(٢) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (٢٦٦/٧ - ٢٦٨) .
(٣) سورة المدثر : الآية (٦) .
(٤) جامع البيان عن تاويل اي القرآن (١٤٨/٢٩ - ١٥٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى { ***وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين*** } (١) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (فأتوا بسورة من مثله) حيث قال بعضهم : بسورة من مثل هذا القرآن، وقال آخرون : من مثل محمد من البشر . حيث يقول :" والتأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة هو التأويل الصحيح ؛ لأن الله – جل ثناؤه – قال في سورة أخرى { ***أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله*** } (٢) ومعلوم أن السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه فيجوز أن يقال : فأتوا بسورة من مثل محمد " (٣) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى { ***ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ...الآية*** } (٤) بعد أن بين أقوال العلماء في معنى (روح القدس) حيث قال بعضهم : هو جبريل – عليه الصلاة والسلام – ، وقال آخرون : هو الإنجيل ، وقال آخرون : هو الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى ، حيث يقول :" وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال : الروح في هذا الموضع جبريل ؛ لأن الله – جل ثناؤه – أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله { ***إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل*** } (٥) فلو كان الروح الذي أيده الله به هو الإنجيل لكان قوله (إذ أيدتك بروح القدس) ، (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) تكرير قول لا معنى له " (٦) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى { ***إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون*** } (٧) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل فيمن عنى الله – تعالى ذكره – باللاعنين . حيث قال

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢٣).

(٢) سورة يونس : الآية (٣٨).

(٣) جامع البيان عن تاويل اي القران (١/١٦٥-١٦٦) .

(٤) سورة البقرة : الآية (٨٧).

(٥) سورة المائدة : الآية (١١٠).

(٦) جامع البيان عن تاويل اي القران (١/٤٠٤-٤٠٥) .

(٧) سورة البقرة : الآية (١٥٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضهم : عنى بذلك دواب الأرض وهوامها ، وقال آخرون : عنى بذلك الملائكة والمؤمنين ، وقال آخرون : يعني باللاعنين : كل ما عدا بني آدم والجن .

حيث يقول :" وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : اللاعنون الملائكة والمؤمنون ؛ لأن الله - تعالى ذكره - قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله الملائكة والناس أجمعين ، فقال تعالى ذكره *[إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين]* (١) فكذلك اللعنة التي أخبر الله - تعالى ذكره - أنها حالة بالفريق الآخر الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس ، هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار ، وهم اللاعنون ؛ لأن الفريقين جميعاً أهل كفر " (٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية]* (٣) بعد أن بين اختلاف العلماء في معنى الطاغية ، حيث قال بعضهم : هي طغيانهم وكفرهم بالله ، وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأهلكوا بالصيحة التي قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها ، حيث يقول : "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك فأهلكوا بالصيحة الطاغية ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به ، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به ، فقال *[وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية]* (٤) ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله ، كان الخبر أيضاً عن عاد كذلك ، إذ كان ذلك في سياق واحد " (٥) .

* ومن منهجه - رحمه الله - ترجيح القول الذي يوافق الأشهر والأفصح والأكثر شيوعاً عند العرب . فكثيراً ما كان يعلل ترجيحه لبعض الأقوال التي يرجحها بأن هذا القول أو ذاك هو المعروف من كلام العرب ، وفي مقابل ذلك فقد كان يرد بعض الأقوال لمخالفتها المعروف من كلام العرب ؛ وذلك أن القرآن الكريم نزل بأفصح اللغات وأشهرها عند العرب فلا يصح أن يحمل على الشواذ من معاني كلام العرب . وكان - رحمه الله - يستدل أحياناً بفعل العرب ، وبما ورد عنهم من شعر ونثر على صحة

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٦١) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢/٥٤-٥٦) .

(٣) سورة الحاقة : الآية (٥) .

(٤) سورة الحاقة : الآية (٦) .

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٩/٤٩) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجيحه لما رجحه من الأقوال الواردة عن أئمة التفسير في معنى كلام الله تعالى .

ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً* ﴾ (١) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في معنى الملك العظيم الذي عناه الله في هذه الآية . حيث قال بعضهم : هو النبوة ، وقال آخرون : بل ذلك تحليل النساء لمحمد – صلى الله عليه وسلم – فقد أحل الله له مثل الذي أحله منهن لداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء ، وقال آخرون : بل معنى ذلك ملك سليمان ، وقال آخرون : بل كانوا أيدوا بالملائكة . حيث يقول :" وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، وهي قوله (وآتيناهم ملكاً عظيماً) القول الذي روى عن ابن عباس أنه قال : يعني ملك سليمان ؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب دون الذي قال : إنه ملك النبوة ، ودون قول من قال : إنه تحليل النساء والملك عليهن ؛ لأن كلام الله الذي خوطب به العرب غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه ، إلا أن تأتي دلالة ، أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ذلك يجب التسليم لها " (٢) .

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً* ﴾ (٣) بعد أن بين أقوال أهل التأويل في الخيانة التي كانت ممن نزلت فيه هذه الآية ، فوصفه الله بها . حيث قال بعضهم : كانت سرقة سرقها ، وقال آخرون : كانت جحوده وديعة كان أودعها . حيث يقول :" وأولى التأويلين في ذلك بما دل عليه ظاهر الآية قول من قال : كانت خيانته التي وصفه الله بها في هذه الآية جحوده ما أودع ؛ لأن ذلك هو المعروف من معاني الخيانات في كلام العرب ، وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من معاني كلام العرب ما وجد إليه سبيل أولى من غيره " (٤) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ *قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين* ﴾ (٥) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا)

---

(١) سورة النساء : الآية (٥٤) . (٢) جامع البيان من تأويل آي القرآن (٥/١٤٠-١٤١) . (٣) سورة النساء : الآية (١٠٥) .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٢٦٥-٢٧٠) . (٥) سورة المائدة : الآية (١١٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث قال بعضهم : معناه نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه نحن ومن بعدنا ، وقال آخرون : نأكل منها جميعاً ، وقال آخرون : معنى قوله عيداً عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهاناً . حيث يقول : "وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه تكون لنا عيداً : نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه ، ونصلي له فيه ، كما يعيّد الناس في أعيادهم ، لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا دون القول الذي قاله من قال : معناه عائدة من الله علينا ، وتوجيه معاني كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه إلى المجهول منه ما وجد إليه السبيل " (١) .

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً]* (٢) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في المعني بالسرى في هذا الموضع. حيث قال بعضهم : عني به النهر الصغير ، وقال آخرون : عني به عيسى . حيث يقول :" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عني به الجدول ؛ وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها ، وقال لها (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي) من هذا الرطب (واشربي) من هذا الماء (وقري عيناً) بولدك ، والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ، ومنه قول لبيد :

فتوسّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وصدّعا مسجورةً مُتجاوراً قُلاّمُها (٣) " (٤) .

ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *[وإذا الوحوش حشرت]* (٥) بعد أن بين اختلاف أهل التأويل في معنى ذلك . حيث قال بعضهم : معنى ذلك ماتت ، وقال آخرون : بل معنى ذلك وإذا الوحوش اختلطت ، وقال آخرون : بل معنى ذلك جمعت . حيث يقول :" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى حشرت : جمعت ، فأميتت ؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر : الجمع . ومنه قوله تعالى *[والطير محشورة]* (٦) يعني : مجموعة ، وقوله *[فحشر فنادى]* (٧) وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله ، لا على الأنكر المجهول " (٨) .

---

(١) جامع البيان عن تأويل اي القرآن (١٣٢/٧) . (٢) سورة مريم: الآية (٢٤) .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة العامري من معلقته المشهورة (انظر : شرح ديوان لبيد ، تحقيق د. إحسان عباس ، وانظر : جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (١٣٢) وقال صاحب الجمهرة : عرض السري : أي ناحية النهر الصغير ، صدعاً : فرقاً ، مسجورة: أي عيناً مملوءة ، قلامها : ضرب من شجر الحمض .

(٤) جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٦٩/١٦-٧١) . (٥) سورة التكوير : الآية (٥) .

(٦) سورة ص : الآية (١٩) . (٧) سورة النازعات : الآية (٢٣) . (٨) جامع البيان عن تاويل اي القران (٦٧/٣٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

المقارنة بين منهجه في الترجيح في كل من القراءات والتفسير

من خلال استعراض منهج الإمام الطبري - رحمه الله - في الترجيح في كل من القراءات والتفسير نقف على معالم شخصيته العلمية ، فالإمام الطبري - رحمه الله - كان في كل ما سبق بيانه قوي العارضة ، ثاقب الفكر ، قوي الفهم ، غزير العلم ، ذا قدرة عالية من حيث العرض والنقد والتمحيص والقبول والرد ، فهو - رحمه الله - لم يكن جامعاً لما قاله أئمة التأويل من الصحابة والتابعين ومن تبعهم فحسب ، وفيما سبق ذكره من معالم منهجه في الترجيح أوضح دليل وأسد برهان وأقوم حجة على ذلك . وبهذا يتبين لنا خطأ مقالة من قال عن الإمام الطبري أن تفسيره متمحض للمأثور ، فهو وإن كان اعتماده على المأثور من أقوال السلف في التفسير كثيراً إلا أنه قصد من ذكر الروايات الواردة في معنى الآية نقدها وتمحيصها ، وترجيح ما هو أقوى دليلاً منها ، وهو في ذلك كله لم يترك تعليل الآراء التي يذهب إليها ، أو بيان العلة التي من أجلها رد هذا القول أو ذلك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجال كل من القراءات والتفسير مختلف ، وطبيعة كل من الموضوعين ليست واحدة ، وإن كان بينهما التقاء في بعض الأحيان ، ومع ذلك فإنه عند مقارنة منهجه في الترجيح في القراءات بمنهجه في الترجيح في التفسير ، والعلل التي اعتمد عليها في كل من المنهجين نلاحظ تقارباً كبيراً بين المنهجين ؛ وذلك يكشف لنا عن عقلية الإمام الطبري ، وشخصيته العلمية ، والضوابط التي تحكم طريقته في الترجيح . وهذه الأشياء التي اتفق فيها المنهجان تعد أساساً ومعلماً بارزاً في شخصية الإمام الطبري العلمية .

ومن معالم شخصية الإمام الطبري العلمية في الترجيح ما يلي :-

أولاً : ترجيح ما أجمعت الحجة من القراء أو أهل التأويل عليه ، فهو يرى أن إجماع الحجة مصدر علمي تقوم به الحجة ، ويُعد دليلاً وعلة للترجيح ؛ وذلك لأن احتمال الخطأ أو السهو في هذه الحالة بعيد .

ثانياً : اعتماده في الترجيح على اللغة العربية ، ومدى موافقة القراءة أو القول للأفصح والأشهر من لغة العرب ؛ وذلك لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، فلابد إذن أن يكون تأويله جارياً على سَنَن العربية ، والقرآن الكريم كذلك نزل بأفصح لغات العرب وأشهرها وأكثرها ذيوعاً عندهم ، فلابد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذن من أن يختار من التأويلات الواردة في معنى كلام الله أشهرها وأظهرها ، ومن القراءات أفصحها ، لأن ذلك هو الذي يتناسب مع بلاغة القرآن الكريم وبلوغه القمة السامقة في الفصاحة ، تحقيقاً لإعجازه البياني ، الذي وقف العرب وهم أرباب الفصاحة ، وزعماء البيان ، أمامه عاجزين عن معارضته .

ثم إن القرآن الكريم نزل وفق لغة المخاطبين به ، ففهموه بسهولة وفق دلالة ألفاظه الظاهرة ، ودون حاجة إلى تكلف وتعسف ، وما دام الأمر كذلك ، فلا يصح أن يُعدل عن معناه الظاهر المفهوم من دلالة ألفاظه العربية إلى الباطن الذي يستنبط من هذا الظاهر ما دام إلى فهمه وفق المعنى الظاهر ، ووفق ما تعرفه العرب من كلامها سبيل .

ثالثاً : ومن معالم منهجه في الترجيح اختيار القول الذي يعتمد على حمل النظير على النظير وجمع الآيات التي تتحدث عن شيء واحد ، وتفسير إحداها بالأخرى ؛ تحقيقاً للتناسق بين آيات القرآن الكريم ، فما كان مجملاً من آيات الله تعالى في مكان قد يكون مفصلاً في مكان آخر ، وما يكون مطلقاً في موضع قد يكون مقيداً في موضع آخر .

رابعاً : ومن معالم منهجه العلمي والذي يعد أصلاً من أصوله العلمية في ترجيحه بين القراءات أو بين أقوال أهل التأويل : النظر في سياق الآية وسباقها ولواحقها قبل اختياره لما يختار ، أو ترجيحه لما يرجحه من أقوال ، فما كان من أقوال أئمة التأويل أو من القراءات متسق ومنسجم مع سياقه وسباقه فهو الراجح دون سواه ، وذلك لأن مراعاة سياق الآية - أو حتى الكلمة القرآنية - وسباقها عند تأويلها هو الطريق المأمون الذي يقلل من احتمالات الخطأ في فهم كلام الله تعالى؛ وذلك أن آيات القرآن الكريم ليست مزقاً متفرقة ، ولا نتفاً متناثرة لا يجمعها جامع ولا يربط بينها رابط ، بل هي مترابطة ترابطاً محكماً ، متآخية تآخياً قوياً متماسكاً ، كأعضاء جسم الإنسان ، وكيف لا يكون ذلك والقرآن الكريم بهذا الترتيب الذي بين أيدينا من عند الله ، مطابقاً تمام المطابقة لما هو موجود في اللوح المحفوظ، فلابد إذن من مراعاة سياق الآية؛ لأنهاوضعت في هذا المكان بدقة وإحكام يتناسبان مع عظمة هذا الكتاب المجيد، وبلاغته وروعة أسلوبه الذي يأسرالقلوب ويمتع النفوس .

خامساً : ومن معالم منهجه - رحمه الله - في الترجيح كذلك الاعتماد على ما ورد من آثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة الكرام ، ومن تلقى عنهم وأخذ منهم من التابعين ، فإن القراءة التي يستند معناها على ما ورد من آثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وعن الصحابة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتابعين هي الأولى بالصواب عنده ، وهي التي يختار القراءة بها دون الأخرى ، وكذلك تأويل الآية القرآنية إن كان موافقاً لما ورد من آثار عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أو عن الصحابة أو عن كبار التابعين ممن اشتهر بالتفسير فهو التأويل المختار ، والذي هو أولى بالصواب من غيره ، وفي مقابل ذلك نراه يرد من التأويلات ما خالف ما ورد من آثار ؛ وذلك لأن النبي هو أقدر الناس على فهم مراد الله تعالى من كتابه ، وبخاصة كلام الله تعالى الذي لا مجال لمعرفتها إلا ببيانه – صلى الله عليه وسلم – وكذلك صحابته الكرام – رضي الله عنهم – الذين لازموا النبي وسمعوا منه ، وهم مع ذلك العرب الأقحاح الذين نزل القرآن الكريم يخاطبهم بما يفهمون من لغتهم ، وهم كذلك شهدوا التنزيل ، وعلموا لِمَ نزلت الآية ، وفيم نزلت ، فهذه الأشياء تمنحهم قدرة تفوق قدرة غيرهم على فهم آيات الله تعالى فهماً صحيحاً صائباً ، لأن معرفة الجو الذي نزلت فيه الآية يساعد ويعين على تأويلها تأويلاً صحيحاً ، يتناسب مع هداية القرآن الكريم ، كيف وهم قد شهدوا هذا الجو وعاشوا فيه ، فلا شك أنهم أصوب الناس رأياً فيما اجتهدوا فيه وصح نقله عنهم ، وآمن الناس نقلاً فيما نقلوه مما سمعوه من النبي -صلى الله عليه وسلم- كيف لا وفيهم من دعا له النبي قائلاً : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ".

سادساً : ومن معالم منهجه كذلك ترجيح القول الذي يبقي النص القرآني على عمومه ، فيختار القول الذي ينتظم جميع الأقوال التي قالها أهل التأويل فتراه ينظر في الآية القرآنية الكريمة فيتأملها، وينظر فيما قاله أهل التأويل في تأويلها فإن كانت أقوالهم كلها متقاربة ، وتجمعها كلمة واحدة ، اختار هذا التأويل الذي يشتمل على جميع الأقوال التي قيلت في الآية وكذلك الحال في القراءات فاختياره للقراءة يعتمد على اشتمالها على معنى القراءة الأخرى ، إن كانت القراءتان من مشكاة واحدة وإلا فيكون اعتماده على غير ذلك من العلل التي سبق بيانها في منهجه في الترجيح في القراءات .

سابعاً : ومن معالم منهجه – رحمه الله – كذلك الاعتماد على النظر والاستدلال وإعمال الرأي فيما فيه مجال ، وهو في ذلك قوي العارضة ، متفتح الذهن ، ثاقب الفكر ، يغوص إلى المعاني الكامنة وراء الألفاظ ، يستدل ويعلل بها ترجيحه واختياره لبعض الآراء أو رده ورفضه لبعضها بطريقة ذكية يجعل بها القارئ يسلم له ، باقتناع صحة ما ذهب إليه من الآراء ، وهو في ذلك يمتاز بفكره الثاقب ، ونظره الصائب ، يورد اعتراضات ، ويناقشها ، ويسلط نقده على بعض الأقوال مثبتاً بطلانها ، معللاً ذلك بما أوتي من عقل راجح مع علم غزير ، ويستمر في عرضه هذا متنقلاً من مقدمة إلى أخرى حتى يوصل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القارئ إلى الرأي الصواب السالم من أي اعتراض .

ثامناً : ومن معالم منهجه - رحمه الله - في الترجيح ربط ترجيحه في التأويل بترجيحه في القراءات فتراه في غير موضع من تفسيره يرجح أحد الأقوال الواردة في تأويل الآية القرآنية بناء على ترجيحه لإحدى القراءتين ، وذلك لما بين القراءات والتفسير من صلة ، مثال ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى *{ وما هو على الغيب بضنين }* (١) حيث يقول : اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة (بضنين) بالضاد (٢) ، بمعنى : أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علمه الله ، وأنزل إليه من كتابه .

وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين (بظنين) بالظاء (٣) ، بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء .....

ثم قال :" وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة ، وإن اختلفت قراءتهم به ، وذلك (بضنين) بالضاد ، لأن ذلك كله كذلك في خطوطها " (٤) ثم رتب على اختياره لهذه القراءة ، اختياره للمعنى الذي تدل عليه دون المعنى الذي تدل عليه القراءة الأخرى ، وإن كان المعنى الآخر صحيحاً فقال : " فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأوله ، وما محمد على ما علمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس ، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلموه " (٥) .

فهذه هي معالم منهج الإمام الطبري - رحمه الله - في الترجيح بشكل عام ، وهي تبين الأسس والثوابت التي اعتمدها - رحمه الله - ، وهو لا شك منهج علمي ينم عن شخصيته العلمية الفريدة .

ومن الجدير بالذكر أنه مع هذا الاتفاق في الأسس التي اعتمد عليها الإمام الطبري -رحمه الله- في ترجيحه إلا أن بعض العلل قد انفرد بها منهجه في كل من القراءات والتفسير ، ويرجع ذلك لما بين الموضوعين من فوارق واختلافات في طبيعة كلٍّ، وذلك كتعليله لترجيحه في القراءات بموافقة رسم المصحف، ومراعاة فواصل السورة وما إلى ذلك من الأشياء التي تتناسب مع القراءات دون التفسير.

---

(١) سورة التكوير : الآية (٢٤) . (٢) وهي قراءة المدنيين وابن عامر وعاصم وحمزة وروح وخلف (انظر : النشر في القراءات العشر ٢/٣٩٨)

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس . (انظر : المرجع السابق). (٤) جامع البيان (٣٠/٨١ - ٨٣) . (٥) المرجع نفسه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

القراءات عند الإمام الطبري في الميزان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

القراءات عند الإمام الطبري في الميزان

لقد أجمع المؤرخون وغيرهم ممن ترجموا للإمام الطبري - رحمه الله - على جلالة قدره ، وعظيم فضله ، ورسوخ كعبه في كثير من العلوم ، وبخاصة التفسير وعلوم القرآن ، فقد كان - رحمه الله - من علماء عصره المشهورين بالعلم والمعرفة ، وقد كان - رحمه الله - مقصد طلاب العلم ، يقصدونه ليتتلمذوا عليه ، وينهلوا من علمه الذي لا ينضب .

وقد أثنى عليه كثير من علماء عصره ، وممن جاءوا من بعده ، وشهدوا له بالأسبقية والفضل والتمكن ، وأنه بَزَّ غيره من علماء عصره في مجالات متنوعة .

وقد جمع الإمام الطبري - رحمه الله - من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وما لم يجتمع في غيره من علماء عصره ، وكان - رحمه الله - حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، فقد أخذها عن شيوخ أثبات انقطعوا للقراءة والإقراء ، فقد رُوي أنه أخذ القراءة عن سليمان بن عبد الرحمن بن حامد ، وعن العباس بن الوليد بن مزيد ببيروت ، وعن عبد الحميد بن بكار ، وروى الحروف سماعاً عن العباس بن الوليد ، ويونس بن عبد الأعلى ، وكان ممن روى عنه القراءة ابن مجاهد علم القراءات المشهور(١) .

وقد ألف - رحمه الله - في القراءات كتاباً حسناً ، ولكنه مع الأسف ذهب وعفت آثاره شأنه في ذلك شأن عشرات بل مئات الكتب النفيسة القيمة .

ومع كل هذا الثناء والإطراء من العلماء الأجلاء على الإمام الطبري - رحمه الله - لكنني أجد من وصفه بالسطحية وعدم التعمق في القراءات ، وذلك هو الكوثري حيث يقول : " ولم يكن ابن جرير من الحذاق في علم القراءة ، ولا من المتفرغين لدراسته وتدريسه ، وهذا هو مصدر أخطائه كما نبه على ذلك الحذاق من أهل هذا العلم " (٢) .

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١٠٧/١).

(٢) مقولات الكوثري (٢٠٧، ٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن ما ذهب إليه الكوثري – رحمه الله – ونسبه إلى الحذاق من أهل هذا العلم الذين لا نعرف منهم شيئاً لا يسلم له به ، فإن الإمام الطبري – رحمه الله – كان إماماً في علم القراءة كما كان إماماً في علم التفسير ، كما كان إماماً في غيرهما من العلوم ، وهو – رحمه الله – وإن لم يعط علم القراءات كله ، ولم يقتصر في أخذه عليه كما فعل غيره من العلماء الذين كان اهتمامهم منصباً على القراءات ، فتمحضوا لها إقراءاً وتدريساً ، وقضوا حياتهم في ذلك . أقول إن الإمام الطبري – رحمه الله – وإن لم يعط القراءات كله إلا أنه كان عالماً بها متقناً لها ، وليس أدل على ذلك من فتسيره الذين بين أيدينا ، فقد حشد – رحمه الله – فيه كماً كبيراً من القراءات ناسباً إياها لمن قرأ بها ، محتجاً ومعللاً وموجهاً لها ، مختاراً لبعضها ، ومعللاً هذا الاختيار ، وإن المتأمل للقراءات في تفسيره يعلم تمام العلم أنه – رحمه الله– كان له باع طويل فيها .

ثم إن الإمام الطبري – رحمه الله – وإن بدت منه بعض الهفوات ، إلا أن ذلك لا يقلل من شأنه ، ولا يطعن في تمكنه في علم القراءات . فإن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة .

من الأمور التي تعد للإمام الطبري – رحمه الله – تلك الآثار العظيمة النفع ، الكثيرة الفوائد التي تركها أثراً باقياً له إلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى ، ينهل منها العلماء ، ويتتلمذ عليها طلاب العلم ، وعلى رأس هذه الآثار ، موسوعته العظيمة ، تفسير (جامع البيان عن تأويل أي القرآن) الذي حوى علوماً كثيرة ، ومعارف متنوعة ، والذي ما فتئ العلماء قديماً وحديثاً يشيدون بفضله وعظيم فوائده وأنه لم يصنف مثله . وقد كان للحديث عن القراءات فيه نصيب وافر ، فهو – رحمه الله – لم يمس القراءات في تفسيره مساً خفيفاً كبعض المفسرين ، بل ذهب يستقصي جميع أوجه الخلاف في ألفاظ القرآن الكريم ، وأتى على ذكر جميع القراءات الواردة في اللفظة القرآنية ، ولا أكون مجانباً للصواب إن قلت إن نسبة غير قليلة من القراءات التي أوردها – رحمه الله – في تفسيره لا توجد إلا عنده ، وكان – رحمه الله – في ذلك دقيقاً ، لا يمر على القراءة إلا وينبه علي صحتها إن كانت صحيحة ، وشذوذها إن كانت كذلك مع بيان سبب شذوذها ، ويشير إلى مخالفة القراءة لمرسوم مصاحف المسلمين إن كانت كذلك .

ومن الأمور التي تعد له –رحمه الله– أنه لم يسرد القراءات سرداً دون توثيق أو نسبة ، فقد كان ينسب القراءة لمن قرأ بها سواء كانوا أهل بلد أم أحد القراء المشهورين من الصحابة والتابعين وغيرهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عد محمد عارف الهرري في رسالته التي قدمها لنيل درجة الماجستير في (القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه) نسبة الإمام الطبري - رحمه الله - القراءات لأهل بلد ملحظاً يؤخذ عليه ، وذكر أن الأولى بالإمام الطبري - رحمه الله - أن ينسب القراءة لمن قرأ بها من القراء السبعة أو العشرة (١) .

إن ما أخذه محمد الهرري على الإمام الطبري - رحمه الله - لا يعد عيباً في منهجه البتة وذلك أن منهج الإمام الطبري - رحمه الله - في ذلك يتفق ومناهج العلماء في عصره ، فإن القراءات في عصره - رحمه الله - كانت كثيرة جداً ، والقراء المشهورون والمنقطعون للقراءة والإقراء لا يحصى عددهم في كل مصر من أمصار المسلمين . وكان بعضهم أعلى رتبة وأجل قدراً من هؤلاء السبعة (٢) .

ثم إن القراء السبعة والعشرة إنما اشتهر أمرهم بعد اختيار ابن مجاهد - رحمه الله - لهم ، وكانوا قبل ذلك كغيرهم من القراء في عصرهم .

هذا بالإضافة إلى أن العلماء في القرون الأولى كانوا يكرهون أن تنسب القراءة لأحد القراء . يقول أبو حاتم السجستاني - رحمه الله - : " أول من تتبع بالبصرة وجوه القراءات وألفها ، وتتبع الشاذ منها هارون بن موسى الأعور . قال : وكان من القراء ، فكره الناس ذلك ، وقالوا : قد أساء حين ألفها ، وذلك أن القراءة إنما يأخذها قرون وأمة عن أفواه أمة ، ولا يلتفت منها إلى ما جاء من راو راو " (٣)

ثم إن النسبة لأهل بلد تعطي القراءة قوة فوق قوتها ، فهي قراءة لم يقرأ بها نافع وعاصم فحسب ، إنما قرأ بها أهل المدينة جميعهم ، أو أهل الكوفة كلهم .

ومن الأمور التي تعد للإمام الطبري - رحمه الله - احتجاجه للقراءات ، وتوجيهها على المعاني المختلفة ، فقد كان - رحمه الله - يصدر في ذلك عن دراية واعية ، وفكر ثاقب ، وعلم غزير في القراءات والتفسير واللغة والنحو والبيان وغير ذلك . وإنه - رحمه الله - وظّف كثيراً من العلوم التي تلقاها عن شيوخه ، ووعاها ، ورسخ كعبه فيها للاحتجاج للقراءات وتوجيهها وتعليلها .

---

(١) انظر : القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه لمحمد الهرري (١٥٢) .

(٢) انظر : الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب (٣٦) .

(٣) منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري (٦٩ - ٧٠) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم إن المنهج الذي اعتمد عليه ، والذي يرتكز على تناول القراءة والنظر فيها من حيث ارتباطها بالتفسير ، هو منهج سديد ، وذلك أن فائدة اختلاف القراءات إنما تكمن في بيان معنى القراءة ووجهها من حيث الآية التي وردت فيها .

فالإمام الطبري - رحمه الله - وجه معنى كل قراءة حسب ورودها في آيتها من حيث النظر في سياق الآية وسياقها . وهو منهج انفرد به الإمام الطبري - رحمه الله - عن غيره ممن احتج للقراءات . وذلك أن العلماء الذين ألفوا في الاحتجاج للقراءات إنما تناولوا غالباً توجيه القراءة والاحتجاج لها مفردة ، دون ربطها بسياق آيتها والآيات المجاورة لها . وقد كان للإمام الطبري - رحمه الله - في ذلك صولات وجولات . ومنهجه في تناول القراءة من حيث ارتباطها بالتفسير منسجم مع غرضه من تأليف كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) حيث يقول :" وقد استقصينا حكاية الرواية عمن روى عنه في ذلك قراءة في كتاب القراءات ، وأخبرنا بالذي نختار من القراءة فيه ، والعلة الموجبة صحة ما اخترنا من القراءة فيه ، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع ، إذ كان الذي قصدنا له في كتابنا هذا ، البيان عن وجوه تأويل آي القرآن دون وجوه قراءتها " (١) .

ومن الأمور التي تستفاد من منهج الإمام الطبري - رحمه الله - في الترجيح والاختيار التعرف على العلل التي اعتمد عليها العلماء والقراء في اختياراتهم في القراءة . فاختيارهم لم يكن عشوائياً دون أسباب جعلت بعضهم يميل إلى إحدى القراءات ويداوم عليها ، ويختار القراءة بها فتنسب إليه ، وآخر يميل إلى غيرها ، ويختارها ، ويداوم عليها فتنسب له . وهذه الأسباب التي كانت توجب لبعض القراءات الاختيار عند بعض العلماء والقراء هي العلل والأسباب التي اعتمد عليها الإمام الطبري -رحمه الله - في ترجيحه بين القراءات ، واختياره القراءة ببعضها .

ومع ما للقراءات في تفسير الإمام الطبري - رحمه الله - من فوائد كثيرة وجليلة . إلا أن هناك بعض الملحوظات التي لابد من التنبيه عليها ليكون قارئ التفسير على علم ومعرفة بها ، وأنا إذ أقرر ذلك لا أتهم إمامنا الطبري - رحمه الله - أنه قصد من ذلك الطعن في القراءات ، حاشاه ذلك ، فإنه لم يقصد الطعن والتشكيك فيها ، وإن آل الأمر إلى ذلك ، إنما أراد الاستدلال على صحة اختياره ، فبالغ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٥/١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ذلك فحصل منه ما حصل .

ثم إن ما وقع فيه الإمام الطبري - رحمه الله - لا يقلل من شأنه ، ولا يمس من فضله وكرامته ، فهو الإمام العلامة الذي شهد له كل من عرفه بعظيم فضله ، وسعة علمه ، ومنافحته ودفاعه عن القرآن الكريم والسنة المشرفة ، ورد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام عليهما .

ورحم الله الإمام ابن قتيبة حيث يقول في مقدمة كتابه (إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد) :" وقد يتعثر في الرأي جِلَّة أهل النظر ، والعلماء المبرزون ، والخائفون لله الخاشعون : فهؤلاء صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورضي عنهم - وهم قادة الأنام ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكمة ، وأولى البشر بكل فضيلة ، وأقربهم من التوفيق والعصمة . ليس منهم أحد قال برأيه في الفقه إلا وفي قوله ما يأخذ به قوم ، وفيه ما يرغب عنه آخرون .... وكذلك التابعون .... ولا نعلم أن الله - عز وجل - أعطى أحداً من البشر موثقاً من الغلط ، وأماناً من الخطأ ، فنستنكف له منها ، بل وصل عباده بالعجز ، وقرنهم بالحاجة ، ووصفهم بالضعف والعجلة ، فقال (وخلق الإنسان ضعيفاً) و (خلق الإنسان من عجل) و (وفوق كل ذي علم عليم) ، ولا نعلمه خص بالعلم قوماً دون قوم ، ولا وقفه على زمن دون زمن ، بل جعله مشتركاً مقسوماً بين عباده ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول ، وينبه المقل منه على ما أغفل منه المكثر ، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم ، وتال يعتبر على ماض . وأوجب على كل من علم شيئاً من الحق أن يظهره وينشره ، وجعل ذلك زكاة العلم ، كما جعل الصدقة زكاة . وقد قيل : اتقوا زلة العالم ؛ وزلة العالم لا تعرف حتى تكشف ، وإن لم تعرف هلك بها المقلدون ؛ لأنهم يتلقونها من العالم بالقبول ، ولا يرجعون إلا بالإظهار لها ، وإقامة الدلائل عليها ، وإحضار البراهين " (١) .

وأنا إذ أنبه على بعض ما أراه من ملحوظات على إمامنا الطبري - رحمه الله - في موضوع القراءات في تفسيره على قلتها في جانب صوابه ، وشكرنا ما نفعنا الله به من علمه وآثاره . أقول : وأنا أنبه على ذلك لا أدعي الأسبقية في ذلك ، فقد نبه كثير من علمائنا القدماء ، وبعض المحدثين على هذه القضايا ، وبينوا وجه الحق فيها .

فمن العلماء القدماء الإمام المحقق ابن الجزري - رحمه الله - حيث يقول :" وأول من نعلمه أنكر

---

(١) انظر : مقدمة محقق (تاويل مشكل القران لابن قتيبة) للسيد أحمد صقر (١٢ - ١٣) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه القراءة (أي قراءة ابن عامر) وغيرها من القراءات الصحيحة ، وركب هذا المحذور ابن جرير الطبري بعد الثلاثمائة ، وقد عد ذلك من سقطات ابن جرير ، حتى قال السخاوي : قال لي شيخنا أبو القاسم الشاطبي : إياك وطعن ابن جرير على ابن عامر " (١) .

وقد نبه من المحدثين على هذه القضية الدكتور لبيب السعيد في كتابه الموسوم بـ (دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر) .

وقد عالج هذه القضية أيضاً أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس - حفظه الله - في بحثه القيم (القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية) .

وقد عالج هذه القضية أيضاً محمد عارف الهرري في رسالته التي قدمها لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتفسير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام - بعنوان (القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة) .

واخطر قضية تؤخذ على الإمام الطبري - رحمه الله - ترجيحه بين القراءات الصحيحة ترجيحاً أفضى إلى الطعن في بعض القراءات ، ووصفها بالضعف والشذوذ ، وعدم استقامة معنى الآية عليها . فإن القارئ لكلام الطبري - رحمه الله - يشعر أن القراءة المرجوحة عنده لا يصح أن تكون قرآناً . وذلك لما يترتب على القراءة بها من محاذير ، ككون القراءة المرجوحة يلزم عليها تكرار في الآية لا يليق ببلاغة القرآن الكريم ، بل ينبغي أن نجل الكلام الذي هو في القمة السامقة من البلاغة والفصاحة عن مثل هذا . من ذلك قراءة (مالك) في سورة الفاتحة ، ولا يشك أحد في أن القراءة بمالك وملك من الشهرة والاستفاضة والقبول ما لا يخفى على أحد . وكذلك قراءة (فازالهما) في قوله تعالى (***فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه***) وقد سبق الحديث عن هاتين القراءتين وغيرهما من القراءات عند الكلام عن منهجه في الترجيح والاختيار .

ثم إن ترجيح الإمام الطبري بين القراءات لم يكن من حيث المعنى فحسب ، بل كان من حيث المعنى والرواية واللغة وغير ذلك من الأمور التي سبق بيانها بوضوح في المبحث الذي خصص لذلك .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٦٤) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا بالإضافة إلى أن ترجيح الإمام الطبري - رحمه الله - من حيث المعنى كان يفضي كثيراً إلى توهين القراءة المرجوحة والتقليل من شأنها .

ومن الملحوظات التي تؤخذ عليه أيضاً رده بعض القراءات الصحيحة بعلل لا تقوى على رد قراءة ثبتت صحتها وتلقتها الأمة بالقبول . فالإمام الطبري - رحمه الله - كان يخضع بعض القراءات للأقيسة النحوية . فإن خالفت القراءة القاعدة النحوية التي وضعها علماء النحو فتراه يردها ويطعن فيها . من ذلك طعنه على قراءة حمزة بجر لفظ (الأرحام) في أول سورة النساء .

وهذه قضية خطيرة ، وقد وقع فيها بعض علماء اللغة والتفسير ، وإخضاع القراءة للأقيسة النحوية أمر غير مقبول . فإن القراءة إذا ثبتت صحتها فهي قطعاً كلام الله تعالى ، وهي من القرآن وما دامت كذلك والقرآن إنما جاء بأفصح اللغات ، فهي لغة فصيحة وإن خالفت الأقيسة النحوية ، لأن اللغة إن وردت في القرآن الكريم فهي الفصيحة وإن عدها بعض علماء اللغة شاذة تحفظ ولا يقاس عليها فهذا الكلام يقبل في غير القرآن الكريم وقراءاته الذي بلغ وقراءاته الصحيحة المتواترة القمة السامقة من الفصاحة والبلاغة .

وقد تتبع كثير من علماء اللغة وغيرهم القراءات التي ردها بعض النحويين ، وطعنوا فيها ، وبينوا بالدليل والبرهان خطأهم فيما ذهبوا إليه ، وأن ما اعتلو به على ذلك ليس بشيء . ومن أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى ما كتبه أبو حيان في (البحر المحيط) ، والإمام الفخر الرازي في (التفسير الكبير) ، وما كتبه الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه (الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة

وبعد أن منَّ الله علي بإتمام هذا البحث ، وعشت معه أوقاتاً طيبة ممتعة ، أخلص إلى النتائج التالية :

١- إن الإمام الطبري - رحمه الله - من العلماء الأعلام المبرزين في علوم كثيرة متنوعة منها علم القراءات ، وإن جهوده في علم القراءات جهود عظيمة ، لها أهميتها وقيمتها العلمية التي لا غنى لطالب التفسير عنها .

٢- إن القراءات القرآنية تعد مصدراً من مصادر الاحتجاج للنحو وقواعده ، ولا غضاضة في الاحتجاج لها للرد من يضعفها ويوهن منها .

٣- القراءات القرآنية هي الحكم على ما وضعه علماء النحو من قواعد وأقيسة وليس العكس . ولا يجوز التعدي على حرمة القراءات الصحيحة وقدسيتها بردها أو الطعن فيها لمخالفتها تلك الأقيسة التي لم تستوعب اللغة جميعها .

٤- القراءات القرآنية سنة متبعة أساسها التلقي والرواية ، فإذا ثبتت صحتها وجب قبولها والمصير إليها ، ولا يجوز ردها لأي سبب من الأسباب .

٥- لقد جمع الإمام الطبري - رحمه الله - في منهجه في القراءات بين الاختيار والترجيح . وكان منهجه في الترجيح غير مرضي ؛ لأنه أفضى إلى رد بعض القراءات الصحيحة وتوهينها والتقليل من شانها . وهو أمر لا يقبل لأن القراءات الصحيحة جميعها من عند الله تعالى .

٦- إن الاختيار عند العلماء والقراء لم يكن عشوائياً إنما كان يستند إلى ضوابط معينة على أساسها كانوا يختارون القراءة ببعض القراءات مع اعتقادهم صحة القراءات الأخرى .

٧- إن اختلاف القراءات القرآنية يعد مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن وهو دليل على أن القرآن تنزيل رب العالمين .

٨- إن تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن للإمام الطبري هو موسوعة علمية بحق ، ويحتاج إلى من يقف معه ، ويعيش معه أياماً وليالي لإبراز قيمته العلمية ، وهو بحاجة إلى من يهذبه ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوضح غامضه ويشرح عباراته ؛ ليكون في متناول أيدي طلاب العلم ، فهو كنز بحاجة إلى من يسهل للناس الوصول إليه ، ويدلهم عليه وللدكتور صلاح الخالدي جهود في ذلك نرجو أن يكون ينعها قريباً .

٩- إن منهج الإمام الطبري - رحمه الله - في الترجيح في التفسير بحاجة إلى دراسة علمية متأنية مركزة عميقة ، وتعليق علمي واضح .

١٠- إن كثيراً من قضايا علم القراءات لم يحرر القول فيها تحريراً علمياً منطقياً يقوم على الحجة والبرهان ، وهي حرية بالدرس والبحث ، منها قضية ضوابط قبول القراءة وردها ، وقضية تواتر القراءات العشر وغيرها من القضايا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص الرسالة

بعد أن أكرمني الله - عز وجل - ومنَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة أقول :

اقتضت طبيعة البحث في (منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره) أن يكون في تمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

أما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن تعريف القراءات لغة وإصطلاحاً ، والعلاقة بين القراءات والقرآن ، ونشأة القراءات ، وابتداء نزولها ، وصلتها بالأحرف السبعة .

أما الفصل الأول : فخصصته للحديث عن حياة الإمام الطبري - رحمه الله - فتحدثت فيه :

أولاً : عن عصر الإمام الطبري من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية .

وثانياً : عن حياة الإمام الطبري الشخصية فذكرت اسمه ، وكنيته ، ونسبته ، ونسبه ، ومولده، ونشأته ، ووفاته .

وثالثاً : عن حياته العلمية ، فركزت على رحلاته في طلب العلم ، وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، وتلاميذه الذين أخذوا عنه العلم ، وعلمه وآثاره التي تركها .

أما الفصل الثاني : فخصصته للحديث عن قضايا القراءات في مقدمة تفسيره ، وهي :

١- معنى نزول القرآن على سبعة أحرف .

٢- هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة .

٣- صلة القراءات بالأحرف السبعة .

أما الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن منهج الإمام الطبري في القراءات ، فذكرت المعالم العامة لمنهجه في القراءات ؛ وذلك ببيان أنواع القراءات التي ذكرها في تفسيره ، ومنهجه في نسبة القراءة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى قارئها ، وضوابط قبول القراءة وردها عنده ، ثم انتقلت إلى بيان منهجه في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها وتعليلها ، ثم ختمت هذا الفصل بالحديث عن الترجيح والاختيار في القراءات ومنهج الإمام الطبري فيه .

أما الفصل الرابع : فقد جعلته للترجيح في التفسير مقـارناً بالترجيـح في القراءات ، فتحدثت فيه :

أولاً : عن منهجه في الترجيح في التفسير .

ثانياً : مقارنة منهجه في الترجيح في التفسير بمنهجه في الترجيح في القراءات .

أما الفصل الخامس : فقد خصصته لتقييم حديث الإمام الطبري عن القراءات وذلك ببيان ما له وما عليه في حديثه عنها .

أما الخاتمة : فذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال كتابتي في هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهارس

وتشتمل على

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار

ثالثاً : فهرس الشعر

رابعاً : ثبت المصادر والمراجع

خامساً : فهرس الموضوعات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

الآية	رقمها	الصفحة
{ مالك يوم الدين }	٤	٩٣، ١٥٣، ١٩٥، ٢٤٢
{ غير المغضوب عليهم }	٧	١٩٨

سورة البقرة

{ أولئك على هدى من ربهم }	٥	٢٩٤
{ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً }	١٠	١٦١ ، ٢٦٣
{ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض }	١١	١٣٣ ، ٢٩٩
{ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا }	٢٠	١١٥
{ وإن كنتم في ريب مما نزل على عبدنا فأتوا بسورة }	٢٣	٣٠٣
{ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة }	٣٠	٢٦٢ ، ٢٨٩
{ وقلنا يا أدم اسكن أنت وزوجك الجنة }	٣٥	٢٩٢
{ فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه }	٣٦	٢٣٨ ، ٢٤٥
{ فتلقى أدم من ربه كلمات فتاب عليه }	٣٧	١٢٥ ، ١٦٠
{ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل }	٥١	٢٨٣
{ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد }	٦١	١٥٥
{ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة }	٦٧	٢٨٨
{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني }	٧٨	٢١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم }	٨٥	٢٢٠
{ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل }	٨٧	٣٠٣
{ وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم }	٨٨	١٧٣ ، ١٩٧
{ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا }	١٠٤	١٧٤
{ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً }	١١٩	٢١٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨
{ قال لا ينال عهدي الظالمين }	١٢٤	١٢٣
{ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا }	١٢٥	٢١٦ ، ٢٦٧
{ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً }	١٢٦	٢٠٢
{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس }	١٤٣	٢١٢
{ وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم }	١٤٤	١٥٦
{ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك }	١٤٥	١٥٦
{ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام }	١٤٩	١٣٦ ، ١٥٦
{ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام }	١٥٠	١٥٦
{ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى }	١٥٩	٣٠٣
{ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله }	١٦١	٣٠٤
{ ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب }	١٦٥	١٣٦
{ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير }	١٧٣	٢١٢
{ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب }	١٧٧	١٥٦
{ فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه }	١٨٢	٢١٣
{ أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر }	١٨٤	٢٨٥
{ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن }	١٨٥	١٩٧
{ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية }	١٩٦	٢٨٦
{ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم }	١٩٨	١٥٠ ، ١٥٥
{ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله }	٢٠٤	٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة]	٢٠٨	٢٩٤
[أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذي خلو من قبلكم]	٢١٤	١٦٨
[يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس]	٢١٩	٢٦٢
[ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير]	٢٢٠	١٧٢
[ويسألونك عن المحيض قل هو أذى]	٢٢٢	٢٨٢
[ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره]	٢٢٦	٢٤٢
[والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن]	٢٣٤	٢٨٠
[ولا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن]	٢٣٦	٢٢٨
[فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً]	٢٣٩	١٧٤
[والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم]	٢٤٠	٢٧٩
[من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له]	٢٤٥	٢٧٢
[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض]	٢٥١	٢٢٧
[فبهت الذي كفر]	٢٥٨	١٦٠
[أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها]	٢٥٩	١٧٧
[فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه]	٢٥٩	١٧٧ ، ٢٥٦
[وانظر إلى العظام كيف ننشزها]	٢٥٩	١٢٢، ١٢٤، ١٧٧، ١٨٤
[فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير]	٢٥٩	١٧٧ ، ٢٠٣
[وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة]	٢٨٠	١٢٢ ، ١٧٦
[أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى]	٢٨٢	٢٤٩
[فرهان مقبوضة]	٢٨٣	٢١٥
[آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله]	٢٨٥	٢٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة آل عمران

{ الله لا إله إلا هو الحي القيوم }	٢	١٦٥
{ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء }	٢٦	٢٤٤
{ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل }	٢٧	١٦٨
{ إلا أن تتقوا منهم تقاة }	٢٨	٢٤٨
{ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى }	٣٦	٢٤٩
{ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب }	٣٩	٢١٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥١
{ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس }	٤١	١٩٩
{ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل }	٤٨	٢٢١
{ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً }	٨٠	٢١٥
{ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة }	٨١	٢٧٤
{ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض }	٨٣	٢٧١
{ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً }	٩٠	٣٠٠
{ وتسود وجوه }	١٠٦	١٣٣
{ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه }	١١٥	٢٧٢
{ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها }	١٢٠	٢٣٥
{ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله }	١٤٠	١٥٩
{ ويعلم الصابرين }	١٤٢	٢١٤
{ وما كان قولهم إلا أن قالوا }	١٤٧	٢٠٠
{ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد }	١٥٣	١٦٦
{ وما كان لنبي أن يغل }	١٦١	٢٠٥ ، ٢١٧
{ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز }	١٧٩	٣٠١
{ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات }	١٨٤	١٦٧ ، ٢٢٣
{ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس }	١٨٧	٢٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة النساء

{ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة }	١	١٧٨
{ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً }	٥	٢٣٩
{ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً }	١٠	٢٦١
{ ... غير مضار وصية من الله }	١٢	٢٨٠
{ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً }	١٩	٢٩١ ، ٢٩٥
{ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم }	٢٤	١٧٥
{ ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات }	٢٥	٢٤٨
{ ... فسوف نصليه ناراً }	٣٠	٢٦١
{ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم }	٣١	٢١٠
{ ويأمرون الناس بالبخل }	٣٧	١٢٢
{ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى }	٤٣	٢٩٧
{ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم }	٤٩	٢٩٠
{ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله }	٥٤	٣٠٥
{ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم }	٦٥	١٤
{ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا }	٨٢	أ
{ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا }	٩٤	٢٤٦
{ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس }	١٠٥	٣٠٥

سورة المائدة

{ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه }	١٨	٢٩٠
{ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله }	٥٣	١٧٦ ، ٢٢٢
{ .... بل يداه مبسوطتان }	٦٤	٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم }	١٠١	٢٩٨
{ فإن عثر على أنهما استحقا إثماً }	١٠٧	٢٢٦
{ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك }	١١٠	٣٠٣
{ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة }	١١٤	٣٠٥

سورة الأنعام

{ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور }	١	٢٩٢
{ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا }	٢٣	٢٠٠
{ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون }	٣٣	٢٠٩
{ .... يقص الحق .... }	٥٧	١٤٥
{ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة }	٧٤	٢٠٨
{ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم }	٨٢	٢٩٧
{ .... فبهداهم اقتده ..... }	٩٠	٢٥٦
{ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا }	٩١	٣٠١
{ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم }	١٣٧	١٩١
{ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم }	١٣٨	١٧٨
{ ... كلوا من ثمره .... }	١٤١	٢١٥

سورة الأعراف

{ فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما }	٢٠	١٧٣
{ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً }	٢٦	٢٩٣
{ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء }	٤٠	١٦٦
{ ... بعذاب بئيس ... }	١٦٥	١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا }	٢٠٤	٢٦٩

سورة الأنفال

{ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم }	٧	٢٨٤
{ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم }	٩	٢٠٦ ، ٢٦٩
{ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها }	٦١	٢٩٥

سورة التوبة

{ ... أن الله بريء من المشركين ورسوله }	٣	١٨٤
{ ... ويتوب الله على من يشاء }	١٥	٢١٤
{ ... تجري تحتها الأنهار }	١٠٠	١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٥٦
{ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم }	١١٠	١٧٥
{ ... فيقتلون ويقتلون ... }	١١١	١٢٥
{ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم }	١٢٨	أ

سورة يونس

{ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة }	٢٢	١٩٧
{ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله }	٣٨	٣٠٣
{ ومنهم من يستمع إليك }	٤٢	٢٦٩
{ وما تكونوا في شأن وما تتلوا منه من قرآن }	٦١	٢٥٤
{ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر }	٨١	٢٧٦
{ فاليوم ننجيك ببدنك }	٩٢	١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة هود

{ فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك }	١٧	١٢٣
{ ... وغيض الماء ... }	٤٤	١٣٣
{ قال يا نوح إنه ليس من أهلك }	٤٦	٢٥٢
{ هؤلاء بناتي هن أطهر لكم }	٧٨	١٢٢ ، ١٢٤
{ يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه }	١٠٥	٢٢٦

سورة يوسف

{ ... ما لك لا تأمنا على يوسف }	١١	١٣٣
{ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب }	٢٣	٢٦٦
{ يوسف أعرض عن هذا }	٢٩	١٩٥
{ ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم }	٣١	١٢٤
{ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين }	٣٥	٢٨٠
{ ... وادكر بعد أمة ... }	٤٥	١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٥
{ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا }	٦٣	١٦٢
{ ... هذه بضاعتنا ردت إلينا }	٦٥	١٣٣
{ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه }	٧٦	٢٣٠

سورة الرعد

{ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً }	٤٢	٢٦٥

سورة إبراهيم

{ ... إن الله وعدكم وعد الحق ... }	٢٢	٢٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم }	٤٦	١٦٣

سورة الحجر

{ ... من حمامسنون }	٢٦	٢٥٧

سورة النحل

{ فخر عليهم السقف من فوقهم }	٢٦	٢١٥
{ ... وإيتاءي ذي القربى }	٩٠	٢٥٧

سورة الإسراء

{ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل }	٣٣	١٠١
{ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس }	٦٠	٢٩٩
{ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً }	٩٢	٢١٩

سورة الكهف

{ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين }	١٧	١٥٤
{ وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى }	٥٥	٢٢٩
{ وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً }	٧٩	١٥٥
{ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض }	٩٤	٢٥٥

سورة مريم

{ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً }	٥	١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً }	١٩	٢٥٨
{ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا }	٢٤	٣٠٦
{ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون }	٣٤	١٦٤

سورة طه

{ فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك }	١١ - ١٢	٢٧٣
{ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى }	٦٠	٢٢٠
{ قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم }	٦٣	١٢٤ ، ٢٠٨
{ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً }	٦٤	٢٢٠
{ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس }	٩٧	١٦٧

سورة الأنبياء

{ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون }	٢١	١٧٨
{ وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم }	٨٠	١٦٤
{ فاستجبنا له ونجيناه من الغم }	٨٨	٢٢٣
{ وهم من كل حدب ينسلون }	٩٦	١٤٥
{ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم }	٩٨	١٦٦

سورة الحج

{ ومن الناس من يعبد الله على حرف }	١١	١١١ ، ١٢٦
{ لندخلنهم مدخلاً يرضونه }	٥٩	٢١٠

سورة النور

{ إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم }	١٥	١٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة الفرقان

{ يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً }	٢٥	٢٢٥
{ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً }	٦٣	٢٤٧

سورة الشعراء

{ ويضيق صدري ولا ينطلق لساني }	١٣	١٢٤
{ الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين }	٢١٨ ، ٢١٩	٢٨٩

سورة النمل

{ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض }	٢٥	٢١٨
{ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم }	٨٢	١٦٥

سورة القصص

{ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء }	٣٢	١٦٣
{ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني}	٣٤	١٦٣

سورة العنكبوت

{ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا }	٢٤	٢٠٠
{ وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم }	٦٠	١٢٣

سورة الروم

{ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى }	١٠	٢٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة لقمان

[ألم * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين]	١ - ٢	٢٤١
[إن الله هو الغني الحميد]	٢٦	١٢٢

سورة الأحزاب

[ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه]	٤	١٥٩

سورة سبأ

[... وهل نجازي إلا الكفور]	١٧	١٢٢
[فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا]	١٩	١٢٢ ، ١٢٤
[حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم]	٢٣	١٢٢

سورة يس

[تنزيل العزيز الرحيم]	٥	٢٠٧
[إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون]	٢٩	١٢٢
[ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون]	٣٥	١٢٢ ، ١٣٢
[ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان]	٦٠	١٣٣

سورة الصافات

[لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب]	٨	٢٦٨
[قال فالحق والحق أقول]	٨٤	٢٠٧
[إلا من هو صال الجحيم]	١٦٣	٢٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة ص

{ والطير محشورة كل له أواب }	١٩	٣٠٦
{ إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة }	٢٣	١٢٤
{ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته }	٢٩	أ

سورة غافر

{ ... لمن الملك اليوم لله الواحد القهار }	١٦	٢٤٥
{ ... وصوركم فأحسن صوركم }	٦٤	٢٤٦

سورة فصلت

{ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات }	١٦	٢١٤

سورة الشورى

{ ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص }	٣٥	٢١٤

سورة الزخرف

{ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن }	٣٣	٢١٤
{ وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك }	٧٧	١٢٣

سورة الجاثية

{ ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون }	١٤	٢٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة محمد

الآية	رقمها	الصفحة
{ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون }	٣٥	٢٩٥

سورة الحجرات

الآية	رقمها	الصفحة
{ وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً }	١٤	١٨٠

سورة ق

الآية	رقمها	الصفحة
{ وجاءت سكرة الموت بالحق }	١٩	١٢٢ ، ١٢٤

سورة الذاريات

الآية	رقمها	الصفحة
{ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام }	٢٥	١٦٢
{ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين }	٤٣	١٣٣

سورة القمر

الآية	رقمها	الصفحة
{ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر }	١٧	]
{ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر }	١٩	٢١٤

سورة الرحمن

الآية	رقمها	الصفحة
{ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام }	٢٧	٦٤

سورة الواقعة

الآية	رقمها	الصفحة
{ وطلح منضود }	٢٩	١٢٢ ، ١٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة الحديد

{ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس }	١٣	١١٤
{ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل }	٢٤	١٢٢

سورة الجمعة

{ وءاخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم }	٣	٢٩٣
{ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا }	٩	١٢٣

سورة المنافقون

{ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين }	١٠	٢٧، ١٨٠، ١٨٢، ٢٥٩

سورة الطلاق

{ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب }	٢، ٣	٧٤

سورة الحاقة

{ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية }	٥	٣٠٤
{ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية }	٦	٣٠٤
{ سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً }	٧	٣٠٠
{ ما أغنى عني ماليه }	٢٨	١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة المدثر

{ ولا تمنن تستكثر }	٦	٣٠٢
{ سأصليه سقر }	٢٦	٢٦١

سورة القيامة

{ لا تحرك به لسانك لتعجل به }	١٦	٨
{ إن علينا جمعه وقرآنه }	١٧	٨
{ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه }	١٨	٨ ، ١
{ ثم إن علينا بيانه }	١٩	٨

سورة الإنسان

{ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً }	١٥	٢٨٠

سورة المرسلات

{ وإذا الرسل أقتت }	١١	٢٧، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٥٩

سورة النازعات

{ أئذا كنا عظاماً نخرة }	١١	٢٨١
{ فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى }	٢٣	٣٠٦

سورة عبس

{ ثم إذا شاء أنشره }	٢٢	١٧٨ ، ١٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة التكوير

{ وإذا الوحوش حشرت }	٥	٣٠٦
{ وما هو على الغيب بضنين }	٢٤	٣١١ ، ٢٥٩

سورة الانفطار

{ الذي خلقك فسواك فعدلك }	٧	٢٤٦
{ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً }	١٩	٢٤٥

سورة الأعلى

{ الذي خلق فسوى }	٢	٢٤٦
{ سنقرئك فلا تنسى * إلا ما شاء الله }	٦ ، ٧	٢٩٠

سورة البلد

{ لقد خلقنا الإنسان في كبد }	٤	٣٠٧

سورة الليل

{ فأنذرتكم ناراً تلظى }	١٤	٢٢٥
{ لا يصلاها إلا الأشقى }	١٥	٢٦١

سورة التين

{ ثم رددناه أسفل سافلين }	٥	٢٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة القدر

{ ليلة القدر خير من ألف شهر }	٣	٢٩٠

سورة القارعة

{ وتكون الجبال كالعهن المنفوش }	٥	١٢٢، ١٢٣، ١٢٤

سورة المسد

{ وامرأته حمالة الحطب }	٤	٢٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
- إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن .	١٣ ، ١١٩
- أذكر الله رجلاً سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف " .	١٠٧
- أقرأني جبريل على حرف فراجعته .	١١ ، ١٠٣
- إن جبريل وميكائيل - عليهما السلام - أتياني ...	١٠٦
- أن جبريل - عليه السلام - قال : يا محمد اقرأ القرآن على حرف .	١٠٦ ، ١١٤
- أن رجلين اختلفا في آية من القرآن ... إن القرآن أنزل على سبعة أحرف .	١٠٦
- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قرأ (واتخِذوا من مقام إبراهيم مصلى) .	٢٦٧
- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-كان عند أضاة بني غفار ... أسأل الله معافاته ومغفرته .	١١ ، ١٠٥
- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-قرأ (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بفتح الفاء .	٢٢
- إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ولا حرج .	١٠٦
- أن هذه الآية نزلت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-في قطيفة فقدت .	٢٠٥ ، ٢١٧
- سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ... أرسله يا عمر .	١٠٤
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .	٢٨٦
- من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له .	٢٢٠
- لقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جبريل عند أحجار المراى ... إني بعثت إلى أمة أميين .	١٠٥
- اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير .	١٠٠
- كنت في المسجد فدخل رجل يصلي ... يا أُبيّ أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف	١٠٤
- يا رسول الله لو اتخذت المقام مصلى .	٢١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الشعر

صدر البيت	الصفحة
- أثافي سفعاً في معرس مرجلٍ .	٢١١
- إذا الجوزاء أردفت الثريا .	٢٠٦
- ألا يا سلمى يا هند هند بني بدر .	٢١٨
- إن كنت أزننتني بها كذباً .	١٩٥
- أيها الفتيان في مجلسنا .	١٩٨
- باتت تشكي إليّ النفس مجهشة .	١٩٦
- الحمد لله ممسانا ومصبحنا .	٢١٠
- عين هلا بكيت أربد إذ .	٣٠٧
- فاطرق إطراق الشجاع ولو رأى .	٢٠٩
- فتوسطا عرض السرى وصدعا .	٣٠٦
- قد رفع العجاج ذكرى فادعني .	٥٧
- كذبتم وبيت الله لا تنكحونها .	١٩٥
- لقد علم الأقوام ما كان داءها .	٢٠٠
- لو أن ياجوج وماجوج معا .	٢٢٥
- ليس من مات فاستراح بميت .	٢١٢
- يا لهف نفسي كان جدة خالد .	١٩٦
- يا ليت شعري والمنى لا تنفع .	٢٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الإبانة عن معاني القراءات ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) . تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان . دار المأمون للتراث - دمشق ، الطبعة الأولى (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) .

- الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) . تعليق الأستاذ محمد شريف سكّر . مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

- أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي ، للدكتور عفيف دمشقيه . الطبعة الأولى (١٩٧٨م) .

- الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ، للدكتور حسن ضياء الدين العتر . دار البشائر الإسلامية - بيروت . الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م) .

- الأعلام ، لخير الدين الزركلي . دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة الرابعة (١٩٧٩م) .

- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، شرح الدكتور يوسف الطويل . دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م) .

- الأنساب ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي . دار الجنان - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ) .

- البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) . دقق أصوله وحققه الدكتور أحمد أبو ملحم وآخرون . دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) .

- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار المعرفة - بيروت (بدون) .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الفكر ، الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) .

- تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان . نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر (١٩٦٢م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التاريخ الإسلامي العالم ، للدكتور علي إبراهيم حسن . مطبعة المعرفة - القاهرة (بدون) .

- تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار سويدان - بيروت (بدون) .

- تاريخ التراث العربي ، لفؤاد سزكين . الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٧م) (بدون) .

- تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . (بدون) .

- تاريخ القرآن ، للدكتور عبد الصبور شاهين . دار الكاتب العربي - القاهرة (١٩٦٦م) .

- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) . شرح وتحقيق السيد أحمد صقر . دار إحياء الكتب العربية - القاهرة (بدون) .

- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ، للمعتصم بالله طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري . مطبعة المنار - مصر ، الطبعة الأولى (١٣٣٤ هـ) .

- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الثانية (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) .

- تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون) .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤ هـ) . مطبعة فضالة - المحمدية (بدون) .

- تفسير البحر المحيط ، لأثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) . مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض (بدون) .

- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦ هـ) . تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سواد . دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) .

- تفسير الجلالين ، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، المعروف بالخازن (ت ٦٤١) . مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر (بدون) .

- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل . لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) . دار إحياء الكتب العربية - مصر ، الطبعة الأولى (١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م) .

- التفسير ورجاله ، لمحمد الفاضل بن عاشور . منشورات المكتبة العصرية - بيروت (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م)

- تهذيب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند ، الطبعة الأولى (١٣٢٥ هـ) ، تصوير دار صادر .

- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سودة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) . تحقيق أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية - بيروت (بدون) .

- جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . دار صادر - بيروت (بدون) .

- الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) . تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي (بدون) .

- الحجة في القراءات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان (ت ٣٧٠ هـ) . تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم . دار الشروق - بيروت ، الطبعة الثالثة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م) .

- حجة القراءات ، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة . تحقيق الدكتور سعيد الأفغاني . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) .

- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢) . تحقيق محمد علي النجار . دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثانية (بدون) .

- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، لمحمد عبد الخالق عضيمة . دار الحديث - القاهرة . الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط . مطبعة دار العلم - دمشق ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر ، للدكتور لبيب السعيد ، دار المعارف - القاهرة (بدون) .

- الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين ، للدكتور أحمد مكي الأنصاري . دار الاتحاد العربي للطباعة - مصر (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م) .

- ديوان أمية بن أبي الصلت . جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، الطبعة الثانية (١٩٧٧م) .

- ديوان زهير بن أبي سلمى . تحقيق وشرح كرم البستاني . دار صادر - بيروت (١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) .

- ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي . تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي . مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة (١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م) .

- ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري . تحقيق دراية الخطيب ولطفي الصقال ، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م) .

- ديوان الهذليين - القسم الثاني . مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ، الطبعة الأولى (بدون) .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) . دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون) .

- زبدة العرفان وهو كتاب في القراءات ، لعبد الفتاح پالوي (بدون) .

- السنن ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) . تحقيق عزة عبيد الدعاس ، دار الدعوة - تركيا (١٩٨٠م) .

- السنن ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) (ت ٢٧٥ هـ) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار الدعوة - تركيا (١٩٨١م) .

- سنن النسائي ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . عناية عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الثانية (١٤٠٩ هـ) .

- سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، للدكتوره خديجة الحديثي . مطبوعات جامعة الكويت رقم ٣٧ (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م) .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الجنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) . دار المسيرة - بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

- شرح ديون لبيد بن ربيعة العامري . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت (١٩٦٢م) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، لأحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) . شرحه وعلق عليه وقابل نسخه محمد حسين شمس الدين . دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) .

- صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) . تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا . مطبعة الهندي - سوريا .

- صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) . تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا ، الطبعة الأولى (١٣٧٤ هـ) .

- صحيح مسلم بشرح النووي ، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام النووي (ت ٦٧٦ هـ) . مؤسسة مناهل العرفان - بيروت (بدون) .

- صفوة الصفوة ، لجمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) . تحقيق محمود فاخوري . مطبعة النهضة الجديدة - القاهرة . الطبعة الأولى (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م) .

- الطبري ، للدكتور أحمد محمد الحوفي . وزارة الثقافة والإرشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباغة والنشر (بدون) .

- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ) . تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الأولى (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م) .

- طبقات الفقهاء ، لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦ هـ) . تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الرائد العربي - بيروت (١٩٧٠م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- طبقات المفسرين ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) . دار الكتب العلمية- بيروت (بدون) .

- طبقات المفسرين ، لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي (ت ٩٤٥ هـ) . دار الكتب العلمية - بيروت (بدون) .

- العالم الإسلامي في العصر العباسي ، لحسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف . دار الفكر العربي الطبعة الأولى (بدون) .

- العبر في خبر من غبر ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد . طبعة الكويت (١٩٦٠م) .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) . دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م) .

- غيث النفع في القراءات السبع ، لولي الله علي النووي الصفاقسي (ت ١١١٧هـ) بهامش سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي ، لأبي القاسم علي بن عثمان القاصح العذري البغدادي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، الطبعة الثالثة (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . تحقيق عبد العزيز بن باز - دار الفكر - بيروت (بدون) .

- الفتوحات الإلاهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي ، الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤ هـ) . دار إحياء التراث العربي (بدون) .

- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن ، للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) . تحقيق محمد إبراهيم سليم . مكتبة ابن سينا - مصر (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) .

- الفهرست للنديم محمد بن إسحاق النديم ، المعروف إسحاق بأبي يعقوب الوراق . تحقيق رضا - تجدد (بدون) .

- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) . تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني . الطبعة الثانية (١٣٩٢ هـ) - بيروت .

- في أصول النحو ، للدكتور سعيد الأفغاني . مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الثالثة (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- في علوم القراءات ، للدكتور السيد رزق الطويل . المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) .

- القراءات القرآنية ، للدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي . مطابع التقنية - الرياض (بدون) .

- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ، للدكتور عبد الهادي الفضلي . دار المجمع العلمي - جدة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) .

- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس . مجلة دراسات - المجلد الرابع عشر ، العدد السابع (١٩٨٧م) .

- القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه ، لمحمد عارف عثمان موسى الهرري ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) .

- الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) . تحقيق وتعليق محمد أحمد الدالي . مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م) .

- كتاب الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي . دارالحديث - بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م) .

- كتاب سيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) . تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) .

- كتاب المصاحف ، لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني . دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) . دار المعرفة - بيروت (بدون) .

- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) . تحقيق الدكتور محي الدين رمضان . مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) .

- اللباب في تهذيب الأنساب ، لعز الدين ابن الأثير الجزري . مكتبة المثنى - بغداد (بدون) .

- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) . دار صادر - بيروت (١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- لسان الميزان ، لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) . دار الفكر (١٤٠٧ هـ) .

- لغة القرآن الكريم ، للدكتور عبد الجليل عبد الرحيم . مكتبة الرسالة الحديثة - عمان ، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر . دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة (١٤٠٢ هـ) .

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين (بدون) .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) . تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة (١٩٨٦م) .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١ هـ) . تحقيق وتعليق الرحالي الفاروق وآخرين . طبع على نفقة أمير دولة قطر ، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ-١٩٧٧م) .

- المحمدون من الشعراء وأشعارهم ، لعلي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦ هـ) . تحقيق حسن معمري . منشورات دار اليمامة - الرياض (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م) .

- المدارس النحوية ، للدكتور شوقي ضيف . دار المعارف - مصر (بدون) .

- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) . تحقيق طيار آلتي قولاج . دار صادر - بيروت (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية - بيروت (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) .

- المستدرك على الصحيحين في الحديث ، لأبي عبد الله الحاكم بن عبد الله بن البيع (ت ٤٠٥ هـ) . دار الفكر - بيروت (١٣٩٨ هـ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) . دار الفكر - بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٨ هـ) .

- مسند أبي داود الطيالسي ، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ) . دار المعرفة - بيروت (بدون) .

- مطلع العصر العباسي الثاني (الاتجاهات السياسية والحضارية في خلافة المتوكل على الله) ، للدكتورة نادية حسني صقر . دار الشروق - جدة ، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) .

- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) . تحقيق علي محمد البجاوي . دار الفكر العربي (بدون) .

- المعجزة الكبرى ، لمحمد أبي زهرة (بدون) .

- معجم الأدباء المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لأبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي الدار " شهاب الدين " دار إحياء التراث العربي - بيروت . الطبعة الأخيرة (بدون) .

- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة . دار إحياء التراث العربي - بيروت (بدون) .

- معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي . دار صادر - بيروت (١٣٧٦ هـ).

- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، لعادل نويهض . مؤسسة نويهض الثقافية - بيروت . الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

- معجم مقاييس اللغة ، لإبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) . تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر - بيروت (بدون تاريخ) .

- المعجم الوسيط . أخرج هذه الطبعة الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون . دار إحياء التراث العربي . الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق بشار عواد معروف وآخرين . مؤسسة الرسالة - بيروت . الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

- المغنى في توجيه القراءات العشر المتواترة ، للدكتور محمد سالم محيسن . دار الجيل - بيروت . الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مقالات الكوثري ، للشيخ محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١ هـ) . مطبعة الأنوار - القاهرة (بدون تاريخ) .

- مقدمتان في علوم القرآن ، تحقيق المستشرق أرثر جفري . مكتبة الخانجي - مصر (١٩٥٤ م) .

- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ، لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤ هـ) . تحقيق محمد أحمد دهان . مطبعة الترقي - دمشق (١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠ م) .

- مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن ، للدكتور أحمد حسن فرحات . دار الفرقان - عمان . الطبعة الأولى (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م) .

- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني . دار الفكر (بدون) .

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) . مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر أباد الدكن . الطبعة الأولى (١٣٥٧ هـ) .

- منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط ، للدكتور عبد المجيد عبد السلام المحتسب. القاهرة (١٩٦٨م)

- منهج الفرقان في علوم القرآن ، للشيخ محمد علي سلامة . مطبعة شبرا - مصر (١٩٣٧م) .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) . تحقيق علي محمد البجاوي . دار الفكر (بدون تاريخ) .

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) . تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي . مكتبة المنار - الزرقاء ، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م) .

- نزول القرآن على سبعة أحرف ، لمناع القطان . مكتبة وهبه - القاهرة . الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١ م) .

- النشر في القراءات العشر ، لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) بعناية علي محمد الضباع . دار الكتب العلمية - بيروت (بدون) .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ابن الأثير (ت٦٠٦هـ) . تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي . دار إحياء الكتب العربية . الطبعة الأولى (١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هداية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادي . طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة - استانبول (١٩٥٥م) ، منشورات مكتبة المثنى - بغداد .

- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي . باعتناء س . ديدوينغ . دار النشر فرانز شتايز بقيسبادن . الطبعة الثانية (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م) .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١ هـ) . حققه الدكتور إحسان عباس . دار صادر - بيروت (بدون) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
التمهيد : القراءات القرآنية	١
تعريف القراءات لغة واصطلاحاً	١
العلاقة بين القراءات والقرآن	٦
نشأة القراءات	٨
بدء نزول الأحرف السبعة	١١
صلة القراءات بالأحرف السبعة	١٥
أنواع القراءات وأقسامها	١٥
تقسيم مكي بن أبي طالب للقراءات	٢٠
تقسيم ابن الجزري للقراءات	٢٢
خلاصة القول في أقسام القراءات	٢٤
الفصل الأول : الإمام الطبري وعصره	٢٥
المبحث الأول : عصره	٢٥
المطلب الأول : الحالة السياسية	٢٥
المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية	٣١
المطلب الثالث : الحالة العلمية	٣٣
المبحث الثاني : حياته الشخصية	٣٦
المطلب الأول : اسمه وكنيته ونسبته ونسبه	٣٦
المطلب الثاني : مولده ونشأته	٣٨
المطلب الثالث : وفاته	٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث : حياته العلمية ٤٢

المطلب الأول : رحلاته في طلب العلم ٤٢

المطلب الثاني : شيوخه ٤٧

المطلب الثالث : تلاميذه ٥٣

المطلب الرابع : علمه وآثاره ٥٦

أولاً : العلوم التي جمعها ٥٦

ثانياً : مؤلفات الإمام الطبري وآثاره ٥٨

الفصل الثاني : قضايا القراءات في مقدمة تفسيره ٦٢

المبحث الأول : معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ٦٣

أولاً : الأحرف السبعة في السنة المطهرة ٦٣

ثانياً : رأي الطبري وموافقيه في معنى الأحرف السبعة ٧١

الرأي المختار ٧٨

المبحث الثاني : هل المصحف العثماني مشتمل على الأحرف السبعة ٨٣

المبحث الثالث : صلة القراءات بالأحرف السبعة ٩١

الفصل الثالث : منهج الإمام الطبري في القراءات ٩٨

المبحث الأول : المعالم العامة لمنهجه في القراءات ٩٨

المطلب الأول : أنواع القراءات التي استعرضها ٩٨

المطلب الثاني : نسبة القراءة إلى قارئها ١٠٢

المطلب الثالث : ضوابط قبول القراءة وردها عند الإمام الطبري ١١٤

المبحث الثاني : منهج الإمام الطبري في الاحتجاج للقراءات وتوجيهها ١٢٨

الاحتجاج لغة ١٢٨

نشأة الاحتجاج للقراءات ١٢٩

منهجه في الاحتجاج للقراءات ١٣٩

المبحث الثالث : الترجيح والاختيار في القراءات ومنهجه فيه ١٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع : الترجيح في التفسير مقارناً في الترجيح في القراءات ٢٢٤

المبحث الأول : منهج الإمام الطبري في الترجيح في التفسير ٢٢٤

المبحث الثاني : المقارنة بين منهجه في الترجيح في كل من القراءات والتفسير ٣٤٣

الفصل الخامس : القراءات عند الإمام الطبري في الميزان ٢٤٧

الخاتمــة ٣٥٤

ملخص الرسالة ٣٥٦

فهرس الآيات القرآنية ٣٥٨

فهرس الأحاديث والآثار ٣٧٦

فهرس الشعر ٣٧٧

ثبت المصادر والمراجع ٣٨٢

فهرس الموضوعات ٣٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ABSTRACT

This study is about the methodology of Al-Tabari the Quranic recitations as manifested in his book of exegesis. It consists of an introduction, five chapters and a conclusion.

In the Introduction, the researcher defined the Quranic recitation linguistically and idiomatically. He also identified the relationship between recitation and the Quran and discussed the Origin, development and the relationship between the Quaranic recitations and the seven letters.

The FIRST CHAPTER was devoted to the life of Imam Tabari and included the following points:-

1- The political, social and intellectual features of the age of Al-Tabari.
2- The personal life of Al-Tabari, name, nickname , birth, lineage, development and death.
3- The Intellectual life of Al-Tabari concentrated on his journeys in seeking knowledge, his teachers whom he was educated by and his students who gained lot of his education and its effect.

The SECOND CHAPTER delt with the various issues related to the recitations such as:

1- The meaning of the revelation of the Quran in seven recitations.
2- Whether or not the Ottoman copy of the Quran has the seven recitations.
3- The connection between the recitations and the seven letters.

٤٠٦٧٥٦

The THIRD CHAPTER discussed the methodology of Al-Tabari in the recitations. This chapter also included the general features of Al-Tabari's methodolgoy, the types of recitations he mentioned in his exegesis, his method of documentation, conditions of accepting or rejecting the recitation, interpretation ans supporting evidence for the recitations, and his method of preference and selection of these recitations.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The FOURTH CHAPTER compared his preference in the exegesis and that in the recitations , and included these two issued:

1- Al-Tabari's methodology in preference in exegesis.

2- A comparison between preference in the recitations and that in exegesis.

The FIFTH CHAPTER is a critical evaluation of Al-Tabari's work on the Quranic recitations.

The Conclusion is devoted to the major findings and recommendations of the research.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit